العراف الأعمى
نصير حسين
بصمات

نوع العمل : رو اية

الكاتب / الكاتبة : نصير حسين

تصميم الغلاف : غادة عبد الرحمن

تصميم داخلي : غادة عبد الرحمن

تعبئة وتنسيق : مريم مرو اني

تدقيق لغوي: ندى الجندي

فريق عمل بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

تحت إشراف:

غادة عبد الرحمن &دينا عبد الفتاح

تذكر أنك قرأت هذا على موقع

دار بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

كتب دار بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

انشر معنا على الموقع وتواصل معنا مباشرة

«««للنشر والإعلان والتواصل معنا اضغط هنا»»»

بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

الإهداء

إلى كلِّ طفلٍ يلهو في زقاقٍ، وكلِّ شابٍ يسيرُ نحو الأمل، وكلِّ شيخٍ جالس على قارعة طريق تحتَ سماءِ وطني العربي الحبيب.

إلى كلِّ محبٍ للسلام في العالم.

.....

الموتُ أمرٌ حتمي، وهو بدايةُ الحقيقةِ، فما قبلهُ حلمٌ أو كابوسٌ، وما بعدَهُ حلو أو مرٌّ، لا تشغل بالكَ بهذا، اصبر وانتظر..

بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

الفصل الأول

-الـفـارس الـضـائـع-

- أواهٍ، تبًّا لهذهِ القشور، كم مرة قلتُ لكِ يا أمي لا ترمِ قشورَ الفاكهة اللعينة على السلم؟! أتريدين قتلي؟!

معذرةً أحبتي، كيف حالكم؟ أقدمُ نفسي؛ أنا الفارسُ الضائع، أو هذا ما يطلقونهُ عليَّ أصدقائي، لا عملَ لدي سوى التجوال بينَ الكواكبِ والمجراتِ، فأرى وأسمعُ حكاياتٍ وأحاديثَ وقصص، أعيشُ معَ والدتي في منزلنا العائمِ هذا.. لحظة من فضلكم لا تذهبوا بعيدًا.

- أمي، أمي، هل الفطور جاهز؟ أفٍ (عدس)! ألم تملي منه يا أماه؟

عدتُ إليكم أحبتي، وسأخبركم اليوم عن كوكبٍ بعيدٍ جدًا، وكما اعتاد الكثيرون البداية، معَ "كان يا ما كان".

كان يا ما كان في آنفِ العصر، وغابر الزمان.. لحظة هذا أسلوبٌ قديمٌ وممل، أليسَ كذلكَ؟ سأبدأُ على طريقتي معَ شيءٍ مِنَ الموسيقى والدربكة.

فيما مضى كانَ هناكَ كوكبٌ صغيرٌ جميلٌ يعرفُ بـ(الأزرقِ)، جلّه مياه عذبةٌ صافيةٌ، وفيهِ أربعُ جزرٍ جميلةٍ متناثرة على سطحِهِ ترتبطُ فيما بينها بأعمدةٍ صخريةٍ تحتَ الماءِ تنتهي مجتمعةً في الأعماقِ.

كلُّ جزيرةٍ تتميزُ بطبيعةٍ خاصةٍ بِها؛ فالشرقيةُ أراضيها خصبة، كثيرة المعادنِ، تعرفُ بـ"أريضةَ" والغربيةُ تسمى "قرقر" هي أكبر الأربعة مساحةً، أما الشماليةُ؛ فـ"يفاع" تميزها مرتفعاتها، وجبالها الشاهقة؛ أخيرًا الجنوب (سبسب)، هي كثيرةُ الرمالِ.

بشكلٍ رئيسي تقطنُ تلكَ الجزرَ مخلوقاتٌ عاقلةٌ مثلكم بنو البشر تُعرفُ باسمِ "جديس".. بالتأكيد لم تسمعوا عنها.

هذهِ المخلوقاتُ ذات صفاتٍ خَلقية خاصة؛ فهي ذاتُ أطوالٍ تتراوحُ بينَ المترِ والمترِ ونصف؛ تسير على اثنين؛ أي مثلكم ليسَ مثلي، وألونها تبدأ بالبنفسجي الفاتح الذي تتخلله بعض الحمرة أو الصفرة، وتنتهي بالبنفسجي الداكن، وهذا يتبعُ مناخَ الجزيرةِ التي تعيشُ عليها.

نسيتُ إخباركم عن شيءٍ هامٍ فيما يخصُ الكوك؛ ففي سمائِهِ ثلاث شموسٍ جميلةٍ متدرجةِ الأحجامِ اثنان منها مجوف، وأخرى لا.

أعودُ لأكملَ لكم وصفَ جديس؛ الرأس بيضوي كبيرٌ تحملُهُ رقبةٌ نحيفة، في أسفلِ الجمجمةِ عندَ نقطةِ التقاءِ الرقبة بالرأسِ منَ الخلفِ توجدُ زيادة تشبهُ المنشارَ لا أعرفُ ما فائدتها، ولم يخبرني أحدٌ.

المهم.. الوجهُ يحتوي على عينين كبيرتين تحتلان نصفَهُ أو أقل بقليلٍ؛ في أولِ العمرِ تكونان دائريتين تمامًا، وعندَ التقدمِ في السنِ تنتقلان إلى الشكلِ البيضوي تدريجيًا؛ أما بؤبؤ العينِ، فلونُهُ أصفر صافٍ في الحالةِ المزاجيةِ المعتدلةِ، ويتغيرُ اللونُ حسبَ مزاجِ صاحبهما تلقائيًّا؛ على الجبينِ وفي وسطهِ تجديدًا هناكَ أربع فتحاتٍ؛ اثنان للتنفسِ واثنتان لشمِ الروائح.. الأفواهُ صغيرةٌ ذات شفاهٍ رقيقةٍ جدًا، وعلى جانبي الذقنِ نتوءين حلزونيين يستخدمان لسماعِ الأصواتِ.

أصدقكم القول: لقد وجدتُ تلكَ المخلوقاتِ لطيفةً، على الأقلِ هذا رأيي الشخصي.. رؤوسُ إناثهم يغطيها شعرًا رائعًا كالحريرِ، وبألوانٍ عديدةٍ؛ أما الذكورُ فصلع!

سيتساءل عددٌ منكم قائلًا: لِمَ هذا المجنون يدفع بكلِّ هذا الكمِ مِنَ المعلوماتِ، ونحنُ لا نزالُ في أولِ الطريقِ، بل ما زلنا لا نعرفُ حيثياتِ القصةِ، لم نطأ عتبتها الأولى، ومِنَ الأفضلِ الدخولُ في الأحداثِ مباشرةً بدلَ كلِّ هذا اللفِ والدورانِ.

سأجيبكم: تساؤلاتكم مشروعةٌ وفي محلِها، إلا أني أعرفُ مِنَ الموضوعِ ما لا تعرفونَهُ؛ لذا أستميحكم عذرًا بسعةِ الصدرِ والصبر لكشفِ المخفي، والمستورِ.. هيَّا بنا نعودُ إلى جديسٍ.

تلكَ المخلوقاتُ ذاتُ صدورٍ عريضةٍ، وبطونٍ ممشوقةٍ، وخصورٍ نحيفةٍ يتبعها انتفاخ في الحوضِ بشكلٍ ملحوظٍ، ففخذين مفتولين، وركبةٍ مندفعة إلى الأمامِ بشكلٍ مبالغٍ فيهِ، ثُمَّ يتصلُ بهما ساقين نحيلتين، والأقدامُ تحتوي على ثلاثةِ أصابع كبيرةِ الحجمِ؛ أما الذراعان، فطويلان مقارنةً بالجسم، وكفُ اليدِ الواحدةُ يحوي سبعةَ أصابع متساويةٍ في

الطولِ ما عدا واحد.. يمتلكون في مؤخراتِهم ذيولًا صغيرةً جدًا تهتز بطريقة مضحكة، ومثيرة للغرابة عند الإحساس بالخطر، أو الاضطراب.

نأتي الآن لأماكنِ سكناهم: كلٌّ منطقةٍ تتميزُ بمساكنٍ خاصةٍ بها تتلاءم والظروف، أو الاحتياجاتِ لتلكَ المنطقة، فسكانُ أريضةَ بيوتهم تشبهُ إلى حدٍ ما بيوتَ النحلِ عندكم.

يبدو أني استنزفتُ وقتًا أكثرَ من اللازمِ، أعذروني على الثرثرةِ.. الآن أترككم معَ "قلمي" ليطلعكم على الأحدثِ، وأنصرفُ لتناول فطوري الممل، ثُمَّ أعودُ إليكم.. إلى اللقاءِ قريبًا.

.....

بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

الفصل الثاني
-الشرنقةُ-

الأرضُ الشرقيةُ صباحًا.

زوجةُ القريعِ:

- صباحٌ سعيدٌ عزيزي، أتمنى أنَّكَ قضيتَ ليلةً سعيدةً؟

- ما الخطبُ؟ أراكِ قد استيقظتِ مبكرًا!

- أنسيتَ؟! اليومُ هو موعدُ خروجِ ابننا (صيب) من شرنقتِهِ.

- مرحى.. متأكدةٌ من ذلكَ؟

- اليومَ أتمَ أربعينَ عامًا، وأصبحَ فتًى، حانَ وقتُ خروجِهِ إلى العالمِ.

خرجَ من مخدعِهِ مسرعًا، وهو يقولُ بصوتٍ مرتفعٍ:

- اجمعوا لي الجميع، كلّ المختصين والعلماءِ والأطباءِ في الجمهوريةِ.

الخادمةُ مرجانة.

- سيادتكم.. الجميعُ في الانتظارِ، فمنذُ الأمسِ لم ننم.

- ما هذا؟! الكلُّ يعلمُ موعدَ قدومِ ولدي، وأنا الوحيدُ الغائبُ الحاضرُ عَنِ الحدثِ.

أطلقَ (شداد) ضحكةَ ابتهاجٍ.

- هيا (هجر) اتبعيني والباقون إلى القبةِ، لا أريدُ أن يفتحَ ابني عينيه على العالم ولا يرى أباهُ في انتظارِهِ.

القلوبُ تخفقُ بشدةٍ مع كلِّ طابقٍ يتجاوزهُ المصعد في رحلتِهِ القصيرة إلى أعلى.

- انظري سيدتي (أم الطائفة)، قد وصلَ المختصون قبلنا، وهم ينتظرون أوامرَ سيدنا.

- حضرتكم متى تحبُ أن نبدأ؟

يفركُ الكفين بشدةٍ ويظهر عليهِ الاضطرابُ.

- ها، ها ابدأ الآن.. انتظر لحظة.. اسمع؛ كن في غايةِ الحذرِ لا أريدُ أيَّ أخطاءٍ، فالغلطة بل مجردُ التفكيرِ في ارتكابِ هفوةٍ سيكونُ ثمنها رؤوسكم جميعًا.. فهمتَ؟

- هوّن عليكَ عزيزي، هم الأفضلُ في جمهوريتنا.

العملُ بدأ؛ المختصون بدأوا بفصلِ مصدري الحرارةِ، والغذاءِ عن الشرنقةِ.

تأبطتْ هجرُ ساعدَ زوجِها.

الجميعُ نظرَ بتركيزٍ ولهفةٍ عندما أخرجَ كبيرُ الأطباءِ مشرطَهُ الشاطرِ واللامع، ثُمَّ بدأ يشقُ الغلافَ الخارجي للشرنقةِ شاطرًا إياها لنصفين.

الزلالُ الأصفرُ يخرجُ بكثافةٍ.

زادَ المنظرُ من توترِ الزوجين.

- اهدئي، لن يحدثَ أيُّ مكروهٍ؛ فقط تحلي بالصبرِ.

بعدَ مضي القليلِ مِنَ الوقتِ أدارَ كبيرُ الأطباءِ جسمهُ ناحيةَ الأبوين، وهو يحملُ ابنيهما بينَ أحضانِهِ.

- تباركَ العظيمُ بما وهبَّ لزوجتِهِ، إنَّهُ جديسٌ صحي قوي.

انقضتْ الأمُ على الطبيبِ منتزعةً ابنها آخذةً إياه بينَ أحضانها، ودموعُ الفرحِ غلبتها.

- انظر سيدي، كم هو جميلٌ صيب! صيب، يا ولدي.. أتسمعني؟!

مرجانة:

سيدتي إنَّهُ يحتاجُ لبعضِ الوقتِ حتى يتمكنَ منَ النطقِ، لا يزالُ مرهقًا.

بعدَ مضي عدةِ أسابيعٍ...

القريع:

- اسمع يا كبيرَ الوزراءِ، أريدكَ أن تجلبَ لي أفضلَ المعلمين في الجمهوريةِ؛ حتى يباشرون بتعليمَ الموقر "صيب".

- سمعًا، وطاعةً.

الخادمةُ مستغيثةٌ بأمِ الطائفةِ.

- سيدتي هجرُ هلمي بسرعة، سيدي الصغير يركضُ بينَ الغرف، وهو عارٍ.. وا عاراه!

بصوتٍ حازمٍ.

- قف مكانكَ، ما تظنُّ نفسكَ فاعلًا أيها المجنون؟

- كنتُ للمكان أستكشفُ، أمي.

- تستكشفُ المكانَ وأنتَ عارٍ؟! هذا عيبٌ ولا يجوزُ.

- إلى أينَ أمي؟

- إلى أبيكَ لتحصلَ على مباركتِهِ.

الحاجبُ بصوتِهِ الرنان:

سيدي، كبيرُ الوزراءِ وبرفقتِهِ عدد منَ المعلمين والعلماءِ يستأذنون للدخولِ.

صباحٌ مباركٌ عليكم سيدنا، ومالكِ رقابنا.

الحاجبُ يعاودُ الإعلامَ:

سيدتي وسيدي الصغير يطلبان الإذنَ بالدخولِ.

استقرتْ الزوجةُ على يمينِ شدادٍ، وصيبٌ على يسارِهِ.

- اعلم بني أنَّ مَن ترى أمامكَ هم خيرةُ الأساتذةِ والمعلمين في جمهوريتنا؛ منذُ اللحظةِ أنتَ طوعُ أمرهم ستتلمذ على أيديهم؛ لذا عليكَ تعلمَ ما يجبُ تعلمه، وما لا ينبغي لغيرك أن يعلمَهُ، فلا تخيب ظنّي بكَ.

- اطمئن سيدي، إني أرى فيهِ حصافةً ونجابةً وذكاءً ونفسً صافيةً، ألم تلحظ صفاءَ عينيه؟

- لاحظتُ يا هجرُ، لكنَّهُ أملُ هذهِ الجمهورية بعدي، وعليهِ بذلُ أقصى ما يملكُ من طاقةٍ.

- طوعُ أمركَ ستجدني حضرتكم.

- أحسنتَ بني هذهِ بادرة خيرٍ، اذهب الآن، واستمتع بوقتك، فمن الغد ستكونُ تحتَ أمرِ أساتذتِكَ.

لم يبقَ في القاعةِ إلا كبيرُ الوزراءِ وسيدهُ:

- ما هي أخبارُ صادراتنا؟

- صادراتُنا مِنَ المحاصيلِ كافة في أعلى مستوياتها؛ كذلكَ بالنسبةِ للمعادنِ، لكنَّ (بلادَ قرقر) لم يدفعوا ما عليهم منذُ فترةٍ طويلةٍ؛ أرجو من سيادتِكُم مخاطبةَ الحاكم (قمبيز) بهذا الشأنِ، فهو يكنُ لَكمْ بالغَ الاحترامِ.

- اصبر عليهم قليلًا لعلَّ طارئًا ما أخرهم، ننتظرُ بعضَ الوقتِ ثُمَّ ننظرُ في الأمرِ.

- لكنَّ الفصلَ الجديد يوشكُ على البدءِ، وأنتم سيدُ العارفين بمدى حاجتِنا للأموالِ لتوفيرِ الطعامِ، والاحتياجاتِ الأُخرى للجمهوريةِ.

- اممم.. هوّن عليكَ، واصبر.

- على مهلكَ بني لا تسرع، انتظرني.

- آسف أماه، أريدُ التجوالَ في كاملِ المكانِ، ألم تسمعي أبي؟

- فقط احذر، وخذ معكَ (جندل).

أمرت الأمُ بأن يحظرَ الخادمُ الصغيرُ الذي أعدُ مسبقًا ليكونَ في خدمةِ الموقرِ.

- طوعُ أمركِ سيدتي.

- اذهبْ معَ صيب، ولا تفارقهُ لحظةً حتى يرجعَ إلى مخدعِهِ، وتتأكدَ من أنَّهُ آوى إلى فراشِهِ.

- أخبرني يا جندلُ، مِن كم طبقةٍ يتكون كورُ أبي هذا؟

- من ستةٍ وستين طبقةً، وهو أعلى مبنى في (مهدِ أريضةَ) العاصمةِ.

- طيب، ولماذا كلّ الممراتِ والقاعاتِ بهذا الشكلِ؟

- تقصدُ أنَّها سداسيةُ الأضلاعِ؟ هذا ما لا أعرفهُ سيادتكم، لكنَّهُ تصميمٌ درجنا عليهِ مذ وضعَهُ الأجدادُ القدامى، وحوفظَ عليهِ احترامًا للتراثِ.

استمرت الجولة دونَ كللٍ أو مللٍ.

الموقرُ يسألُ عن كلِّ ما يصادفُهُ متلقيًّا الأجوبةَ من خادمِهِ أو ممّن يصادفُ؛ أخيرًا وصلا إلى آخرِ طبقةٍ منَ الكورِ.

- ما أجملَ المنظرَ! المدينةُ كلُّها تحتَ ناظري رغمَ أطرافها المترامية، وهذانِ المصباحان الغريبان يحاولان الاختفاء وراءَ الأبنيةِ.

- المعذرةُ هذهِ (نانا)، وتلكَ (أنانكي)، شمسا كوكبنا، وبعدَ غيابِهما بالكاملِ ستشرقُ (البيضاء)، وتغيبُ في منتصفِ النهارِ القادمِ.

- ما الذي يحدثُ حولنا؟!

- إنَّها مراسمُ الاحتفالاتِ، فقد أمرَ عظمتُهُ بأن تحتفلَ الجمهوريةُ بمناسبةِ خروجكَ مِنَ الشرنقةِ لمدةِ أسبوعٍ يقدم فيهِ الطعامُ، وتعزفُ أجملُ الألحانِ، وتقذفُ المجامرُ التي أدهشتكَ للتوِ لتنيرَ الأجواءَ بهجةً.

- كيفَ تعرفُ كلَّ هذا وأنتَ تبدو بعمري؟!

- أنا أكبر منكَ في السنِ عامًا واحدًا فقط غيرَ أنَّ جسمي ضئيلٌ.

بحزنٍ قالها:

- هذهِ مشيئةُ أمنا الكبرى.

- طيب الآن عليكَ مرافقتي لنخرجَ، ونتابعَ الاحتفالَ عن كثبٍ.

- هذا غيرُ مصرحٍ بهِ لكَ في الوقتِ الحاضرِ سيدي.

شيءٌ مِنَ الانفعالِ والغضبِ.

رافقني إلى غرفتي، وأمر لي بالطعامِ أحس بالجوعِ الشديدِ.

قبلَ المغادرةِ جذبَ تركيزَه شيءٌ.

- انتظر لحظة.

ركزَ وأطلقَ بصرَهُ بعيدًا، ثُمَّ قالَ:

- ما ذاكَ المكانُ البعيدُ هناك؟

- أيُّ مكانٍ تقصدُ سيدي؟

- الذي فيهِ أنوار كثيرة.

- آها، إنَّهُ السوقُ؛ هو المكانُ الذي نبتاعُ منهُ ما نحتاجُ لحياتنا.

بفخرٍ قالَ:

- أمي تعملُ هناكَ.

- هيا بنا للطعام، ثُمَّ للنومِ.

- تفضل من بعدكَ.

في اليومِ التالي، وبعدَ تناولِ طعامِ الصباحِ.

- صباحُ خيرٍ حضرتكم.

- مَن أنتَ؟ كيفَ دخلتَ إلى مخدعي دونَ إذنٍ؟

- آسفٌ لدخولي بهذهِ الطريقةِ، لكنَّ سيدتي أمرتني بإلقاءِ نظرةٍ عامةٍ عليكم، وأن أتأكدَ بأنكم بعافيةٍ وخيرٍ.

الأمُ تنظرُ في قاعتِها الخاصة.

- أرجو المعذرةَ سيدتي، أجريتُ ما أمرتني بهِ.

نظراتٌ فيها حدة مغلفة بلهفة.

أكملَ كلامَهُ:

سيدي الصغيرُ بكاملِ الصحةِ قد تفقدتُ فكيهِ، فوجدتهما كاملين دونَما نقص؛ الأسفلُ قطعةٌ واحدة، والأعلى غايةٌ في التناسقِ.

في تلكَ الأثناءِ بدأ درس اللغة الذي كانَ مملًا بالنسبةِ للموقرِ، وفي نهايةِ الدرسِ الذي قاربَ النهارُ على الانصرام معَهُ، قالَ المعلمُ:

- أعلمُ أنَّ درسي مملٌ ومزعجٌ، لكنَّكَ لن تراني بعدَ اليومِ، فالحمدُ كلُّ الحمدِ لنانا الكريمةِ التي أتمت تغذيتكَ باللغةِ بشكلٍ كاملٍ ورائعٍ؛ لم يكن درسي هذا إلا محضَ اختبار لمعرفةِ مقدارِ ما استوعبت من تلكَ الهبةِ، أتمنى لكَ التوفيقَ في بقيةِ دروسِكَ.

- لحظة من فضلِكَ أستاذ، ما علاقةُ نانا الشمس بي وبلغتي؟!

- كلُّ العلاقةِ لها، فمصدرُ كلّ جديسٍ أثناءَ وجودهِ داخلَ شرنقتهِ من حرارةٍ ولغةٍ ومعارفٍ مختلفةٍ ستكتشفها لاحقًا من نانا الكريمة، ولأنَّكَ سليلُ قريعٍ عظيمٍ أتوقعُ أنَّها أغدقت عليكَ من كرمِها ما لم يحصل عليهِ أحدٌ قبلكَ، ولن يحصلَ بعدكَ.

.....

الفصل الثالث

-بسطام-

مرَّ بعضُ الوقتِ.

- أهلًا جندل أطلتَ الغيابَ، حدثني عنِ السوقِ، وعمَّا موجود في الخارجِ.

مرَّت الليلةُ بهدوءٍ وسلامٍ، وفي اليوم التالي.

إحدى الخادمات.

- سيدي، إنَّ الأستاذَ (بسطامَ)، في قاعةِ الدرسِ ينتظرُ.

- صباحُ خيرٍ يا أستاذ.

كانت ملاحُ الوجهِ البنفسجي الصغير تدلُ على الانزعاجِ والضجرِ.

نهضَ بسطامُ من مقعدِهِ، ثُمَّ خطا بعضَ الخطواتِ متجهًا ناحيةَ تلميذِهِ، وقالَ:

- زميلي الذي سبقني قد سببَ لكَ الضجر، لكن كنْ على ثقةٍ؛ فدرسي متميزٌ وممتعٌ، تفضل بمرافقتي حضرتكم.

- إلى أينَ؟

- نستقلُ واسطةَ نقلٍ، ثُمَّ نبدأُ جولةً خارجيةً بينَ أبناءِ شعبِكَ، وداخلَ الصروحِ التي شيدها عظمة والدكم وأجدادكم العظماء.

دقائقٌ انقضت بالسيرِ الحثيثِ نزولًا.

- ها قد وصلنا ضالتنا، انظر هذهِ هي إحدى المركباتِ (البرجومائية) التي نستخدمها في التنقلاتِ اليوميةِ داخلًا وخارجًا، وكما لاحظتم فإنَّ شكلها الخارجي يوحي للناظرِ بالشبهِ الواضح بينها ورأسِ الجديس.

بذهولٍ، وتفقدٍ لأدقِ التفاصيلِ مستخدمًا بصرَهُ الحاد.

- رائع، رائع هيَّا، هيَّا أريدُ ركوبها فورًا.

بعدَ إعطاءِ الإشارةِ بدأَ جزءٌ مِنَ المركبةِ ينهارُ تدريجيًا لتظهرَ من خلالِهِ المقاعدُ خلفَ قائد المركبة، ثُمَّ يمتدُ لسانٌ ضخمٌ يَدعُهُم للتفضلِ داخلًا.

بعدَ استقرارِهما في الداخلِ عادَ الجزءُ المنهارُ يبني نفسهُ بنسقٍ جميلٍ.

- يا للروعة جمالها الأخاذُ! ومقاعدها غاية في النعومةِ، أحسُ أني على سريري.

هتفَ صوتٌ غريبٌ.

- شكرًا على الإطراءِ أيُّها الجديسُ العظيمُ.

الرأسُ يدورُ بحثًا عن مصدرِ الصوتِ.

- مَن كلمني؟! عرِّف عن نفسِكَ، أهذا أنتَ يا قائد المركبة؟

كانت الكلماتُ بحازمةٍ.

بسطامُ بهدوءٍ وابتسامةٍ جميلةٍ.

- عذرًا، إنَّها المركبةُ.

- ماذا؟! أهي حيةٌ؟!

- بل شبهُ حيَّة تشعرُ بكَ وأنتَ داخلها، ولها قدرةُ التواصلِ كما تملكُ مشاعرًا، لكن ليستْ برقي مشاعرنا.

- شيءٌ جميلٌ جدًا، هيَّا يا مركبة، تحركي بأقصى سرعةٍ.

هدوءٌ يعقبه سكون.

هي لن تتحرَكَ إلى أيِّ مكانٍ إلا بأمرِ قائدها.

تحركت المركبة ببطءٍ واتزان.

مشاعرُ الفتى مضطربة، وقلبهُ يخفقُ، وتتزايدُ دقاته كلّما اقتربَ من البوابةِ الكبيرةِ.

أخيرًا أشرقَ نورُ الحريةِ بعدَ أن أصبحتْ المركبةُ خارجَ ما اعتبرهُ كهفًا مظلمًا -الكور- حبسُ فيهِ لردحٍ طويلٍ من الزمنِ.

- ما أجملَ المنظرَ! كم هذا رائع! انظر.. انظر إلى الأعدادِ الكبيرةِ لمثيلةِ ما نستقلُ، حتى أنَّ بعضَها يحلقُ فوقنا.. شيءٌ يشدُ الأبصارَ لروعتِهِ.

- على رسلِكَ بني، لم ترَ شيئًا بعدُ، تمهل؛ فالأيامُ القادمةُ محملة بعجائبٍ من جمهوريتنا

- أستاذ، إلى أينَ الوجهةُ الآن؟

- إلى دارِ الكتبِ والمحفوظاتِ؛ سيكون أول دروسِكَ هناكَ.

- لكنّي أريدُ الدرسَ الأولَ في السوقِ.

- ماذا؟! من أينَ لكَ بهذا الاسمِ؟!

- أنسيتَ أني الموقر، ويتوجبُ عليَّ معرفةُ كلَّ شيءٍ.

- لم أنسَ، لكنَّ وقتَ معرفتِكَ لمثلِ هكذا أماكن لم يحنْ بعدُ، وقبلَ مبادرتِكَ لي بالسؤالِ (لماذا؟)، أقولُ لكَ غيرُ مصرحٍ لي.

قائدُ المركبةِ مقاطعًا:

- لقد وصلنا.

- تفضل الآنَ سيدي، ونستأنفُ النقاشَ فيما بعدُ.

كانت دارُ الكتبِ والمحفوظاتِ تشبهُ بقيةَ الأبنيةِ في المدينةِ من حيثُ البناءِ والشكلِ الخارجي سداسي الأضلاع، إلا أنَّ الحجمَ والفناءَ الخارجي لكلِّ بنايةٍ لَهُ ميزتُهُ الخاصةُ بهِ.

الجميعُ ينحني توقيرًا واحترامًا أينما حلَ صيبُ؛ أما هو، فلم يكن يعيرُ تلكَ الحركاتِ اهتمامًا، فانشغالهُ بمشاهدةِ ما حولهُ من عالمهِ الجديد المليء بالمفاجآتِ شغلَهُ.

أعجبَهُ منظرُ الكتبِ كثيرًا، والموظفين على مكاتبِهم لؤلئية اللونِ.

كذلكَ منظرُ جديسٍ الشبابُ إناثًا وذكورًا، وهم يتصفحون الكتبَ وعيونهم ممتلئة بالشغف، كأنَّ أحدَهم يريدُ التهامَ ما بينَ يديهِ.

- سيدي صيب، دارُ الكتبِ والمحفوظاتِ الأقدمُ من نوعها على وجهِ أزرق، وهي عامرة بكتبٍ نادرةٍ ونفيسةٍ وخاصة في التاريخِ، وأنا شخصيًا أنصحكَ بمطالعةِ هذا النوعِ من الكتبِ؛ ففي بطونِها المعرفة الدسمة، والثقافة الفياضة، فالتاريخ يجيبكَ عمَّا تروم سؤالهُ دونَ عناءِ انتظارِ الإجابةِ من أحدٍ.

ثُمَّ استأنفَ الأستاذُ كلامَهُ عنِ المكانِ، ولم يفتهُ أن يثني ويمجد للحاكمِ ناعتًا إياهُ بأفضلِ الأسماء وأعمقِ الصفاتِ، لكنَّ الفتَى لم يكن كثيرَ التركيزِ لانشغالِهِ بما حولهُ.

أخيرًا وصلت الجولةُ -الدرس- إلى محطتها الأخيرة، الطبقة رقم أربعين.

- هذي أهم الأماكن في المكتبةِ، فيهِ أقدمُ المحفوظاتِ، وهي تحوي أسرارًا لو تمكنتَ منَ الاطلاعِ عليها وفهمها وتمحيصها لامتلكتَ مفتاحَ المعرفةِ الكاملةِ، وأنا شخصيًّا أُشجعكَ على ذلكَ؛ فهي فرصةٌ ساقها القدرُ لكَ حينما جعلكَ من أخص الخاصة سيدي الموقر.

انتبَهَ الفتى للكلماتِ الأخيرةِ بعدَ أن كان غارقًا في التأملِ عبرِ نافذةٍ، وقد امتدَ بصرُهُ بعيدًا حيثُ قلبِ المدينةِ، لكنَّ قطعةً كبيرةً من قماشٍ مربوطةٌ على عمودٍ طويلٍ أعاقت امتدادَ بصرِهِ لما وراءها.

- وما دخلُ العائلةِ المالكةِ بدخولِ دارِ الكتبِ؟

تلعثمَ المعلمُ، لكنَّهُ استدرَكَ قائلًا:

- لا دخلَ لهم فيما يخصُ الاطلاعَ على الكتبِ بكلِّ تأكيدٍ، غير أنَّ المحفوظاتِ ملكٌ للخاصة، ولا يحقُ للعامةِ الاطلاعَ عليها.

- ولِمَ؟ الأمر ازدادَ غموضًا يا أستاذي.

- المخلوقاتُ مقاماتٌ وقدراتٌ وأقدارٌ، وأنتم خلقتُم بقدراتٍ خاصةٍ، فإذا عرفَ العامةُ ما يجبُ معرفتهُ من قبلِ الخاصةِ؛ تفقهوا ثُمَّ تمردوا، أما إذا عرفَ الخاصةُ ما يعرفُهُ العامةُ، وما لا يعرفونَهُ ساسوا الرعيةَ بحكمةٍ، وأوصلوهم برَّ الأمانِ.

بسطامُ في سرِهِ:

أرجوكَ بني، اكتفِ بهذا الجوابِ، ولا تذهب بي إلى ضاربِ الرقابِ.

الفتى أشاحَ بوجهِهِ ناحيةَ النافذةِ مرةً أخرى، ثُمَّ:

فقط لو أعرفُ مَن الذي ربطَ قطعةَ القماشِ الغامقةِ اللون المطرزة بالأصفرِ المربوطُ طرفها على ذلكَ العمودِ؟

ضحكَ الأستاذُ بصوتٍ مرتعشٍ.

- إنَّها ليستْ قطعةُ قماشٍ عاديةً، هي رمز الحرية والإباء، إنَّها رمزُ جمهوريتنا العظيمة، إنَّه البيرق.

لم يعر صيبُ أهميةً للاسمِ، فقد أصيبَ بالملِ لكثرة سماعهِ كلمةَ جمهورية، وكلماتُ الإطراءِ والثناءِ في حقّ أبيه، كان يبحثُ عن شيءٍ جديدٍ يشبعُ بهِ الشغفَ الذي يصرخُ في أعماقِهِ؛ البحثُ عن الإثارةِ ولمسُ المحسوسِ وسماعُ المسموعِ مع مشاهدةِ المرئي والمنظورِ.

أثناءَ النزولِ في طريقِهِ للمغادرةِ؛ شاهدَ شاشةً عملاقةً يجلسُ أمامها عددًا من الشبابِ، ويقفُ أمامهم جديسٌ طاعنٌ في السنِ يقومُ بالشرحِ والتكلمِ بالإضافةِ للإشاحةِ بيديهِ بينَ الفينةِ والأخرى.

- مَن هذا؟

- أحدُ المختصين بعلمِ دورِ الكتبِ ينقلُ للآخرينَ ما وصلت إليهِ الأممُ الأخرى من تطوراتٍ في هذا المجالِ.

- أو هنالكَ غيرنا؟

- أجل، بكلِّ تأكيدٍ.

- وأيُّ التطوراتِ يشرحها العجوزُ؟

- لقد توصلَ علماءُ قرقر لطريقةٍ يزودونَ من خلالها أبناءَ شعبهم بالمعلوماتِ دونَ عناءٍ وفي وقتٍ قياسي من خلالِ حقنها في أدمغتِهم، والنتيجةُ هي أن أصبح جلُ شعبهم من الطبقةِ المثقفةِ، وقد بدأوا بتقسيمِ أبنائهم لفئاتٍ متعددةٍ كلّ واحدةٍ منها تستقبلُ نوعًا معينًا من العلومِ، لكن للأسفِ لكلِّ شيءٍ ثمنٌ، فقد خسروا جزءًا كبيرًا من المشاعرِ والعواطفِ الجديسية، فالجديسية يا بني، أهمُ من كثيرٍ من أشياءٍ نعتقدُ أهميتها لنا.. الآن علينا العودة.

- أشكركَ أستاذ، لقد استفدتُ كثيرًا.

- هذا من دواعي سروري، وسوفَ تكونُ لنا لقاءاتٌ أخرى في قابلِ الأيامِ.

عندَ دخولِ المركبةِ ميناءَ الكورِ، لاحظَ وجودَ جمهرةٍ في انتظارِهم.

- أهلًا بني، كيفَ كانت جولتكَ؟ قلقت عليك، لِمَ لا تتكلم؟ أجب، أخبرني؟

- وهل تركتِ لي فرصةَ الإجابةِ؟!

الأستاذُ مقاطعًا.

- أرجو المعذرة سيدتي، عليَّ الانصراف إذا سمحتِ لي.

والفتى بينَ أحضانها التفتت إليه.

- تفضل، وشكرًا لكَ.

- أمي حلي وثاقي أريدُ التنفسَ.

- هيَّا بنا إلى الداخلِ حتى تقصَ عليَّ أخبار رحلةِ اليوم.

في غرفتِهِ، وهو يحاولُ ترتيبَ المشاهدَ والأحداثِ.

البيضاءُ تشرقُ بنورها الخافتِ لتنيرَ شيئًا من ظلمةِ الليلِ الذي أناخَ برحلِهِ على المدينةِ.

- معذرةً سيدي، طعامكم جاهز، يحضروه إليكَ هنا أم تتناولهُ في الأسفلِ؟

- بل أحضروهُ، وأريدُكَ بشأنٍ؟

- خادمكَ تحتَ أمركَ سيدي.

انقضت ثوانٍ، ثُمَّ طُرِقَ البابُ.

- ها أنا طوعُ أمركَ سيدي الموقر.

- اقترب، وبالقربِ مني اجلس، أريدُكَ أن تخبرني المزيدَ عنِ السوقِ، وما حولهُ.

- أرجوكَ سيدي اعفِني من هذا.. غيرُ مصرحٍ لي بذلكَ.

تغيرٌ في لونِ بؤبؤ العينِ إلى القاتم، وانزعاجٌ بدا بوضوحٍ على الملامحِ البريئةِ.

- كيفَ غيرُ مصرحٍ لكَ؟ أخبرني مَن الذي أمرَكَ بعدمِ إخباري؟ لِمَ الجميعُ لا يودُ الكلامَ معي في هذا الموضوعِ؟!

ارتفعَ صوتُهُ وازدادَ غضبُهُ؛ أما المسكينُ الصغيرُ، فقد ارتعشتْ أوصالُهُ، واضطربَ أيما اضطرابٍ.

- أتوسلكَ سيدي، لا تقحمني في هذا الأمرِ.

جثا على ركبتيهِ راجيًّا بعدَ انزلاقِهِ من مقعدِهِ باكيًّا.

- أتوسلكَ سيدي.

عادَ لونُ عينا الموقرِ إلى لونِهما الأصلي، ثُمَّ أخذتا بالتحولِ تدريجيًّا إلى الأبيضِ.

أخذَ بيدي الخادمِ في محاولةٍ لرفعهِ.

- هوّن عليكَ، لم أكن أعلم أنَّ الأمرَ يرعبُكَ إلى هذا الحدِ؛ لا تقلق سأنهضُ توًا، وأذهبُ إلى أبي أخبرُهُ بالأمرِ.

هبطَ على الأرضِ ساجدًا منفجرًا بالعويلِ.

وقعَ الفتى في حيرةٍ من أمرِهِ.

- فقط أريدُكَ أن تنهضَ، لن أذهبَ إلى أيِّ مكانٍ، لكن أخبرني ما خطبكَ حتى أفهمَ، فقد اختلطت عليَّ الأمور.

كُفكفتْ الدموعُ، ثُمَّ استقرَ على المقعدِ، وبصوتٍ موجوعٍ مرتعشٍ خافتٍ.

- سأحكي لكَ سيدي، لكن عدني في البدءِ ألا تخبرَ أحدًا بما سأخبرُكَ.

- تكلم.

- ببساطةٍ السوقُ هو مكانُ الفقراءِ، وأنتَ من خاصةِ الخاصة، وهنالكَ خطرٌ عليكَ إن تواجدتَ في مثلِ تلكَ الأماكنِ؛ هذا كلُّ شيءٍ.

- على الرغمِ من تأكدي أنَّ ما قلتَ هو جزءٌ صغيرٌ جدًا من الحقيقةِ، إلا أني سأكتفي بهذا القدرِ مؤقتًا حتى تسنحَ ليَّ الفرصةُ، وأعرفُ الحقيقةَ يومًا ما أو أنتزعُها منكَ بالقوةِ إذا اضطررتُ، هيَّا انصرف لشئونكِ.

الحاجب:

كبيرُ الوزراءِ المحترمُ يطلبُ الإذنَ بالمثولِ بينَ يديكم.

القريع يهمهم:

ماذا يريد هذا المعتوهُ الآن؟ ألا يعلمُ أني مشغولٌ.

صوتٌ بالكادِ يسمعُ:

اسمح لهُ بالدخول.

- أرجو المعذرةَ سيادتكم، لكنَّ الأمرَ طارئ.

- هاتِ ما عندكَ.

- غدًا موعدُ تقريرِ المصاريفِ، وقرقر لم تدفع حتى اللحظةِ.

- أووه يا كبيرَ الوزراءِ، أليسَ فيكم جديسٌ حصيفٌ يستطيعُ اتخاذَ قرارٍ صحيح في وقتهِ؟!

- كبيرُ الوزراءِ أرخى رأسَهُ على صدرِهِ خجلاً، فالكلامُ كان في حضرةِ القريعِ وغانياتهِ شبهِ العارياتِ.

صمتٌ، فصمتٌ، ثُمَّ قالَ:

اذهب إلى خزينةِ الجمهوريةِ وخذ منها ما تحتاجهُ، ثُمَّ قيد ذلكَ في بندِ الديونِ بعدَها جهز ليَّ رسالةً شديدةَ اللهجةِ معنونة إلى حاكمِ الجزيرةِ الغربيةِ حتى أوقعها باسمي.

همَّ بالانصرافِ إلا أنَّ شدادًا استوقفَهُ.

- انتظر لحظةً لدي سؤال لحضرتكَ.

(باستهزاءٍ مبطنٍ)

له كبيرُ الوزراءِ متسمرًا لا يعرف بما يجيبُ، وظل مستمرًا في صمتِهِ ينتظرُ لحظةَ تفوهِ سيدهِ بالكلامِ الشافي، والرأي الناجعِ.

- ما حسبتَهُ وجدتهُ؛ غدًا صباحًا، صباحًا فهمت؟ لا تعكر صفاءَ الليلِ أبدًا مهما يحدث. ثُمَّ تعالت الضحكاتُ، فضحكَ كبيرُ وزرائِهِ ضحكةَ أبلَهٍ مخذولٍ وانصرفَ.

- صباحُ خيرٍ على حبيبي الصغير، كيفَ أصبحَ مزاجُ مُوَقِّري البطل؟

- صباحُ خيرٍ أماهُ، أحضرتِ الطعام بنفسك؟!

- أحببتُ تناولَهُ معكَ، هل تمانع؟

انحنى، ثُمَّ أغمضَ عينيهِ.

- هذا شرفٌ لي سيدتي أمُ الطائفةِ.

جندلٌ طرقَ البابَ بلطفٍ.

سيدي، سيدتي صباحكما خير، الأستاذُ عسافٌ ينتظرُ.

حسنًا انصرف، وأخبرهُ أنَّ الموقرَ قادمٌ بعدَ قليلٍ.

- أمي مَن هذا العسافُ؟ أهو بديلُ بسطام؟ أرجوكِ لا أريدُ تبديلَ أستاذي القديم، فهو جديسٌ رائعٌ، ويعرفُ الكثيرَ عنِ المعارفِ، أرجوكِ أماهُ.. أرجوكِ.

- تمهل يا فتى، ما كلُّ هذا الاضطرابِ والسرعةِ في الكلامِ؟! مَن قالَ لكَ أننا استبدلنا بسطامكَ ذاك؛ عسافٌ هو أستاذٌ جديدٌ في علمٍ آخر إياهُ نريدُ تعليمكَ.

- آسفٌ أمي.

- لا عليك، لكن اسمع هذهِ الكلماتِ واحفظها جيدًا: نحنُ العظماءُ لا نتعلقُ بأحدٍ، ولا نحبُ أحدًا من العامةِ، فالجميعُ وُجِدوا ليكونوا في خدمتنا وطوع أوامرنا، ولا قيمةَ لأيٍّ منهم عندنا.. فهمتَ ذلكَ؟

أومأَ بنعم.

هذا أمرٌ، أما الآخرُ: عليكَ تعديلُ طريقة كلامِكَ، لا تتسرع باللفظِ، وكذلكَ لا تحكم على الأشياءِ بسرعةٍ؛ حاول دائمًا سماعَ الآخرين حتى النهايةِ، ثُمَّ تكلم ويفضلُ أن تكونَ كلماتُكَ مقتضبةً قصيرةً، ولا تبدأ حديثًا معَ الآخرين أثناءَ حديثِ الآخرين، كما لا تجلس في مجلسٍ وسطَ الآخرين بل اختر لنفسكَ مكانًا يميزُكَ عنهم؛ هل كلامي واضحٌ يا قرة قلبي؟

كان جوابهُ الانغماسَ بقوةٍ في حضنِ أمِهِ.

جميلٌ؛ أما الآن اذهب إلى أستاذِكَ، وكنْ مهذبًا معَهُ.

.....

الفصل الرابع

-بزاق-

- مرحَبا سيدي، أقدمُ لكم نفسي؛ أنا عسافٌ أستاذُ الطبيعةِ والمياه، سأقوم باصطحابكم اليوم في أولِ درسٍ لكَ إلى أماكنَ جديدةٍ، فأرجو أن تكونَ جاهزًا.

قفزةٌ لا إرادية في الهواءِ، إلا أنَّهُ تذكرَ كلامَ الأمِ ممّا زادَ من قوةِ الجاذبيةِ، فالتصقت قدماه أرضًا بسرعةٍ.

- طيب أستاذ هيَّا بنا.

كانت الوجهة إلى سطحِ الكورِ.

- لِمَ السطحُ؟ المركبةُ في الأسفلِ، ألم تقل أنّا سنذهبُ إلى أماكنَ جديدةٍ، ها؟

- تمهل عليَّ سيدي، فسفرتنا طويلة، وتحتاجُ لخطِ سيرٍ خاصٍ بسرعةٍ عاليةٍ وارتفاعٍ معينٍ؛ لذا المركبةُ تنتظرنا في الأعلى.

انطلقت المركبةُ مبتعدةً نحو المجهولِ بالنسبةِ لصيب.

تنقلَ ببصرِهِ كثيرًا بينَ ما تحتهُ من مناظرٍ غريبةٍ، وبينَ أستاذِهِ الذي كان غارقًا في مجموعةٍ من البياناتِ.

ما هي إلا فترة من الزمنِ حتى بدأت المركبةُ بالانخفاضِ التدريجي.

انتهى طريقُ رحلتهم في مكانٍ واسعٍ لا يصدُ البصر فيهِ سوى شجيراتٍ هنا وهناك؛ ذات ألوان خضر أو صفر، والقليل القليل منها أبيض.

- أينَ نحنُ يا أستاذ؟

كانَ السؤالُ بدهشةٍ تلفها اللهفة.

- إننا في البريسمية.

معَ أولِ خطواتهِ على الأرضِ أحسَ صيبٌ بإحساسٍ غريبٍ، كأنَّهُ ليسَ غريبًا عنِ المكانِ بل إنَّهُ يعرفهُ، والمكانُ يعرفهُ بدورِهِ.

إحساسٌ باحتضانِ البريسمية لَهُ كما تفعلُ أمهُ بل هي أمهُ الأخرى كما وصفها داخلَ نفسه.

- تمهل سيدي لا تسرع أرجوكَ؛ أعرفُ ما تحسُ أرجوكَ دع قدماي العجوزان تلحقان بكَ.

- المعذرةُ أستاذي لم أعد ملكَ نفسي، أريدُ الانطلاقَ في كلِّ الأرجاءِ في آنٍ واحدٍ.

جريٌ، قفزٌ وركضٌ حتى ارتطمَ بجبلٍ هلامي، فقوطعَ كلُّ ذاكَ العنفوانِ.

عادَ زاحفًا للوراءِ وهو مبهوتٌ، وعندما ابتعدَ قليلًا وجدَ الكثيرَ من تلكَ الجبالِ الهلاميةِ متناثرة في الأرجاءِ ما زادَ من هلعِهِ.

عسافٌ بأنفاسٍ لاهثةٍ من بعيدٍ يصيحُ.

- لا تخاف بني، إنَّهُ (بزاق)، هدئ من روعكَ.

بينما هو يسمعُ لمعلمهِ، ويحاولُ التهدئَةَ من روعهِ تلقفتهُ ذراعا جديسٍ كهلٍ مفتولِ العضلاتِ منحوتِ الوجهِ وصوتهُ أجش وكلام جلف.

- مَن الذي أتى بكَ إلى هنا أيَّها الغريبُ؟

سقطتْ من عينِ صيبٍ دمعةٌ زرقاءٌ كلونِ بؤبؤهِ لحظتها.

الويلُ لكَ يا هذا، أتعرفُ مَن كلمتَ؟ انحني تأدبًا ثُمَّ اعتذر، واطلب الغفرانَ.

عَرفَ مَن كانَ يوبخُ، فسجدَ وولول ثُمَّ طلبَ العفوَ والمغفرةَ، وهو يائسٌ من الحصولِ عليهما.

سامحهُ صيب دونَ تلكأ، فكانَ همهُ معرفةَ حقيقة تلكَ الأشياءِ.

- ما هذهِ الجبالُ الهلاميةُ؟

- إنَّها حيواناتُ بزاق يربيها الجديسُ منذُ عرفوا الطبيعة وعرفتهم.

أفواهٌ كبيرةٌ وأنوفٌ مسطحةٌ على ظهورها، يا لروعةِ ألونها البنفسجية إنَّها تشبهنا كثيرًا، فنحنُ من أصلٍ واحدٍ.

- وما الفائدةُ من أشياءٍ تستخدمُ الأفواهَ فقط؟

بعدَ ابتسامةٍ ولمعةٍ في العينِ.

- سأخبركَ عن فائدتها: تنتجُ هذهِ الكائناتُ الطيبةُ خيوطًا تستخدمُ في صناعةِ أفخرِ أنواعِ الملابسِ، ومن اسمِ خيوطها استمدَ المكانُ اسمَهُ بالإضافةِ لفضلاتها، فهي تستخدمُ في إنتاجِ مواد البناء؛ كما تمتازُ بعدمِ تأثرها بتقلباتِ الظروفِ المناخية، وهي بطيئةُ الحركة بشكلٍ لا يوصف، فإذا غادرنا الآن وعدنا بعدَ سنةٍ أخرى لن نجدَها قد تحركت سوى

خطواتٍ قليلة، ولَها طريقتها الخاصة في التكاثرِ، وذلك عن طريقِ انشطار أجزاءٍ من أجسادها ليُوجدَ مخلوق جديد مفيد آخر، طبعًا كلُّ هذا يحدثُ عندما تصل سنَ الثلاثمائة عامٍ، وقد كانَ قدماءُ جديسٍ يقتاتونَ على مُخاطها بعدَ غليهِ بالماءِ في فتراتِ القحط أو الحروب.

- كلُّ ذلكَ من هذا؟!

- جلل، كلُّ تلكَ من هذهِ.

ضحكَ التلميذُ ومعلمُهُ، ثُمَّ واصلا السيرَ جنبًا إلى جنبٍ، وكعادتِهِ لا يفوتُ صيبٌ فرصةً أو لحظةً إلا وطرحَ فيها الأسئلة، وعساف بدورِهِ يجيبُ متحمسًا.

أما المزارعُ، فقد انصرفَ يخبرُ الباقينَ بوصولِ الموقرِ.

- ما ذلكَ الذي يحلقُ في السماءِ؟

- إنَّهُ (دجٌ)، طائرٌ جميلٌ يوجدُ منهُ الكثير هنا كما، أنَّهُ يمتلكُ صوتًا عذبًا.

- أحدها على الأرضِ، ما أجملَ قفزاته!

- يقفزُ ثلاثًا حتى يطيرَ يساعدُهُ على ذلكَ طولَ ساقيهِ.

- أمرٌ عجيبٌ، كيفَ تمكنَ الجناحان الصغيران من حملِ جسم بحجمِ جسم دجٍ؟

سارا حتى بدأَ يظهرُ لناظريهما بناءٌ بعيد.

الأستاذُ يخبرُ تلميذَهُ قبلَ السؤالِ.

- قفيرُ الجديسِ المزارعين، يعيشون فيهِ على شكلِ مجموعاتٍ معَ عائلاتهم، يخرجون صباحًا إلى العملِ، ثُمَّ يعودون مساءً ليبيتوا فيهِ.

- ما عملهم؟

- يزرعون الأرضَ، ويعتنون ببزاقٍ والمخلوقاتِ الأخرى - فرصةُ تملقٍ- طبعًا كلُّ ذلكَ فيهِ فوائدٌ اقتصاديةٌ لجمهوريتنا العظيمة.

- أستاذ انظر، انظر دج آخر، لكنَّهُ كبيرٌ وجناحيهِ أيضًا، حتى لونهُ مختلفٌ.

- بل هذا مَن يقتاتُ على دجٍ، إنَّهُ (الجبيرُ)؛ وهو من الجوارحِ التي تسكنُ الأماكنَ العاليةَ البعيدةَ قربَ المياهِ، ويأتي إلى هنا بينَ الحينِ والآخر لتناولِ الطعامِ.

دخلَ الاثنان إلى داخلِ القفيرِ، فاستقبلهما جديسٌ طاعنٌ في السنِ.

كانت المساكنُ صغيرةً وضيقةً وقذرةً، تتألفُ من طبقتين.

الشيخُ مرحبًا:

تفضلوا معي في جولةٍ تريان فيها سيرَ الأعمالِ في حقولِ البريسمية، اتبعاني لو سمحتما.

بعدَ خطواتٍ قليلةٍ عربة تطفو فوقَ الأرضِ وقد ربطَ إليها كائن حيٌّ بثمانِ أرجلٍ، قوي الهيئةِ رأسه ملتصق بجسمهِ، ولهُ صوت أنفاسٍ مرتفع.

بعدَ استقرارهما على ظهرِ العربةِ بدأ ذلكَ الشيء بالسيرِ.

صيبٌ بصوتٍ منخفضٍ قليلًا.

- ما هذا؟

أجابَ الشيخُ مبتهجًا.

- إنَّه (النهازُ)، نستخدمُهُ في جرِّ عرباتنا ونقلِ أمتعتنا، هو خدومٌ وطيبٌ، سريعُ الألفةِ والتآلف.

شجيراتٌ جميلةٌ، ومناظرٌ خلابة على طولِ الطريقِ، ثُمَّ فجأة دونَ أيِّ مقدماتٍ قفزَ الفتى محتضنًا أستاذَهُ.

- لا تخف، لا تخف إنَّهُ لا يؤذي جديس، فقط يريدُ القولَ: أنا هنا.

بفخرٍ وهدوءٍ الشيخ قال:

- (الخيطلُ)، حامي بيوتنا وأطفالنا من العابثين والمخربين، كم جميلةٌ هي العيون الأربعة في محاجرها، والفكُ المليءُ بالأسنانِ والألسنُ شبيهةُ السياطِ، انظروا إلى الثمانيةِ ذاتَ العضلاتِ المفتولةِ..ض شكرًا للطبيعة التي لأبنائها وهبت الخير والجمال هذا.

بدأَ يترنمُ بكلماتٍ غيرَ مفهومةٍ، كأنَّها إحدى الأغاني الأسطورية من التراثِ.

فترةٌ من الصمتِ والتأملِ في الطبيعة الغناء.

- ها قد وصلنا ضالتنا، أرجو لكما وقتًا ممتعًا، ومشاهداتٍ مباركة.

- انظر حضرتكَ، هنا تتمُ زراعة الأعشاب التي تستخدمُ في صناعةِ العقاقير والمستحضراتِ الطبية؛ أما في ذلكَ

الجانبِ، فتتمُ زراعةُ ما نأكلهُ، وعلى مسافةٍ ليست بعيدة تتمُ زراعةُ طعامِ المخلوقات.

- هذا يعني أنَّ هذهِ البقعة مِنَ الأرضِ هي مَن تزودُ الجمهورية بما تحتاجهُ من مختلفِ الأشياءِ؟

- بالتأكيدِ لا، فهذهِ بريسمية من آلافٍ تنتشرُ على أرضِ الجزيرةِ.

ثُمَّ سارا مسافةً لا بأسَ بها.

- ما كلُّ تلكَ الجلبةِ والغبار؟!

- يبدو أنَّهُ محراثُ يقلبُ الأرضَ، هلم بنا نقتربُ.

خطوات تلتها خطوات، ثُمَّ خطوات أخرى.

- انظر أيُّها الموقرُ، هذا المخلوق يعرفُ بـ(جرار)، وقد اختلفَ العلماءُ في تصنيفهِ، فمنهم مَن اعتبرَهُ من فصيلةِ الصدفياتِ، وآخرون اعتبرَهُ داجنًا؛ أما أنا، فأميل للرأي الأول، أترى ذنبهُ كيفَ غُرِسَ في الأرضِ، وهو يجرُهُ بعنفٍ وقوة، إنَّ ذلكَ الجزءَ منهُ يعرفُ بالمحراثِ؛ أما ما تشاهدُ في مقدمةِ جسمهِ من كلابين كبيرين مخيفين، فيستخدمان لجني محاصيلِ وثمار بعينها، إنَّهُ رائعٌ إلا أنَّ شكلَهُ الغريبُ

ولونه القاتم يجعلانهِ مخيفًا بعضَ الشيءِ، لا أخفيكَ سرًا هو كذلكَ بل وهناك بعضَ الأساطيرِ تحكي عن تاريخٍ أكثر رعبًا عنه، لكنَّها في النهايةِ مجرد خرافات، فهو الآن يخدمنا بلا تعبٍ أو كللٍ.

لمعت عينا الفتى وبلهفةٍ سأل.

- ماذا تقولُ تلكَ الأساطير؟

- ليسَ من واجبي إخبارِكَ عنها، فهذا ليسَ تخصصي، وأرى من الأفضلِ العيشَ في الواقعِ معي سيدي.

انتهى الدرس، عاد الأستاذ وتلميذهُ.

عندَ سطحِ الكورِ.

- إلى لقاءٍ قريبٍ أيَّها الموقرُ العظيمُ، نسيتُ إخبارِكَ أنَّ اليومَ هو يوم الظلامِ الكامل، أرجو لكَ وقتًا ممتعًا.

- ما الظلام الكامل؟!

- لا أريدُ إضاعةَ روعة المشهد عليكَ بشرحٍ وأحاديثٍ مهما كانت دقيقةً لن تطابقَ الواقعَ، أريدكَ أن تشاهدَ الحدثَ دونَ تعكيرِ صفو مخيلتكَ.. عمتَ بخيرِ مساءٍ.

بعدَ تغييرِ الملابس، ثُمَّ الاستلقاء على السريرةِ بعضَ الوقتِ خرجَ يتمشى في حديقةِ الكورِ، والأحداثُ معَ الصورِ في البريسمية لا تفارقُ مخيلتهُ.

المعذرةُ حضرتكم. قالها جندل، ثُمَّ أكملَ:

- سيدتي تريدكَ.

- كيفَ حال أمي الحبيبة؟ وكيفَ قضت نهارها سيدتي المبجلة؟

- أنتَ جاحدٌ، تذهب مسافرًا وتعود، ثُمَّ لا تزورُ أمكَ المتلهفةُ لرؤيتك، وسماع أخبار مغامراتكَ.

- آسفٌ سيدتي، فزحامُ الأحداثِ أنساني المرور بكِ.

- تتحدث وكأنّكَ ابن مئتي عامٍ، هيَّا اقفز إلى حجرِ أمكَ، وأخبرها بما جرى، هيَّا هلم.

- أمي، قد حدثني الأستاذُ عن أمرٍ لم يشرحهُ لي.

- أعرفُ بما حدثكَ، وسأشرح لكَ بعضه: إنَّهُ يومٌ يكونُ ليله مظلمًا لا تشرقُ فيهِ البيضاءُ، وهذا يحدثُ مرتين في العامِ، وكثير من القصص والخرافات تدور حوله وأكثرها انتشارًا: هي أنَّ شريرَ الأرضِ (قزح)، يبتلعُ البيضاءَ في هذهِ الليلةِ،

بدورنا نطلقُ (غداد)، فتخيفهُ ليجبرَ بعدها على إخراجِ البيضاءِ من بطنِهِ بمخاضٍ عسير.

- انتظري لحظة، اشتبكت عليَّ الأمور أريدُ تفسيرًا لكلِّ كلمةٍ وجملة.

- تفضل اسأل وأنا أجيبُ يا قريعي الصغير.

- مَن هو قزح؟ وما هو غداد؟

- تمهل لا تضيع متعة المفاجأة بتخيلاتٍ لا قيمةَ لها.

في سرِهِ:

- أمي تحولت إلى عسافٍ جديد.

- أما الأولُ فسأل عنهُ أستاذكَ بسطام، هو أكثر إلمامًا من الجميع بأمره؛ وأما الثاني، فستشاهدهُ الليلةَ؛ لذا لا تتعب تفكيركَ.

الحاجبُ بعدَ انحنائِهِ لسيدِهِ:

- الجميعُ في القاعةِ الكبرى ينتظرونكم سيدي.

عندَ رؤيةِ الجسم القوي الشامخ الجميع بصوتٍ واحدٍ صاح.

- يحيا القريعُ العظيمُ.

أومأ للحاضرين بالجلوسِ.

- اجتمعنا اليوم، وكعادتنا في كلِّ موسمٍ حتى نتعرفَ على ما أنجزناهُ، وما هي المشاكلُ التي واجهتنا -صمتٌ قصيرٌ- مَن لديهِ مشكلة، فليطرحها.

- أمي.. أمي، أريدُ مشاهدةَ الحدثِ معكِ، أتمانعين؟

- كيفَ لا يا قرةَ العينِ؟! تفضل شاركني الشرفةَ.

اختفت الشمسان بالكاملِ إلا بصيصًا من ضوءٍ ما زالَ يحاربُ الظلامَ.

ما هي إلا لُحَظياتٌ حتى سيطرَ الظلامُ على المشهدِ، ولم تبدد شيئًا من وحشتِهِ المدللةُ وسطَ الهدوءِ التامِ، والصمت المريب صدحَ صوتٌ عالٍ مزعجٍ.

- ما هذا أمي؟!

- إنَّهُ صوتُ غدادٍ، انظر إلى السماءِ جيدًا وراقبها.

ظهرتْ أربعُ طيورٍ كبيرةٍ من الجهات الأربعِ، طيورٌ كلّها سواد فيما عدا ذيولها كانت تشعُ نورًا، وجناحان كبيران.

مذنب انطلق من الأرضِ عائدًا إلى السماءِ بكل عنفوانه، ووهجه.

- ما أروعها، إلى أينَ ذاهبة؟

- انتظر، وسترى.

اتجهت الأربعةُ إلى أعلى، وكادت ترتطمُ ببعضها إلا أنَّها قامت بحركةٍ دائرية، وبدأت بالطيرانِ خلفَ بعضها البعض مكونةً دائرة كبيرة مشعة، ومع استمرارِها في التحليقِ على ذاكَ النحوِ يزدادُ النور المنطلقُ من ذيولها سطوعًا.

منظرٌ جميلٌ ينسي من يراه حقيقةَ الأسطورة المخيفة عن تلكَ الليلة.

- ستستمر على حالها طوالَ الليل؟

- أجل، وعليكَ النهوض مبكرًا قبلَ الشروقِ حتى ترى منظرًا رائعًا آخر.

نامَ الفتى، وغطَ في أحلامِهِ، أما الأمُ فحالها كحالِ باقي الأمهات؛ ذهبت ترددُ ترنيمات وابتهالات تخصُ تلكَ الليلة.

الخدمُ جميعهم يطوفون خلفَ أم الطائفة حاملين مصادر إنارة خافته، ويرددون بهدوءٍ خلفها.

شداد كان هو الآخر يراقبُ الحدثَ من مكانٍ خاصٍ بهِ مستخدمًا (المقراب)، يتفحصُ ما حوله منَ الأبنية، وبينَ الحينِ والآخر يذهبُ بصرُهُ بعيدًا إلى قلبِ المدينةِ.

مرحى تمكنت منَ النهوضِ قبلَ الشروقِ.

قليل من الوقتِ، ثُمَّ بدأ الحدثُ.

- يا للروعةِ! الشموسُ الثلاثة تشرقُ مع بعضها بخطٍ أفقي جميل، جميل جدًا.

- صباحُ خيرٍ سيدي، أرسلتني سيدتي لأرى إن كنتَ مستيقظًا.

- أخبر أمي أني قادمٌ في إثركَ.

سيدتي. معَ انحناءٍ بسيط.

- رأيتَ ما حدث؟

- نعم، شيءٌ رائعٌ، لكن ما الذي سيحصلُ للبيضاء؟

- سوفُ تغيبُ في موعدها عندَ الظهيرة، ثُّمَ تعاودُ شروقها كالعادة؛ قبل انصرافك أريدُ إخبارَكَ أنَّ اليومَ عطلةٌ؛ لذلكَ لن يأتي إليكَ أيُّ معلم، استمتع بيومكَ داخلَ الكورِ.

أثناءَ لهوهِ بينَ الغرفِ والممراتِ بصحبة خادمهِ صادفهُ شداد الذي كان هو الآخر يتجولُ متفقدًا أحوالَ الخدم والعاملين مغدقًا عليهم من أموالِهِ حسب ما يراهُ مناسبًا ويستمعُ للشكوى أو الطلبات.

- مَن؟ الموقرُ المحترم! عمتَ مساءً سيدي.

قالها، وهو يبتسمُ ويمسحُ على رأسِ ابنهِ.

- إني في غايةِ الغبطة والسرورِ لرؤياكم.

- آها أصبحتَ لبقًا! جميل مذهل، هلا صحبتني من فضلكَ، أريدُ الحديثَ معكَ.

احتضنَ الكفُ الكبير الكفَ الصغير، ثُمَّ تشابكت الأصابعُ السبع بالسبع.

- ها قد وصلنا، تعالَ اجلس شاركني المنظر الرائع، أظنُّ أنَّ أستاذكَ بسطام عَرفكَ على بعضِ معالم المدينة، أليس كذلكَ؟

بكلِّ عفوية حاول استغلال الموقف.

- أجل، لكن لا أحدَ يريدُ إخباري عن ذلكَ المكانِ.

أشارَ بإصبعهِ ناحيةَ قلبِ المدينة.

تتبعَ ينظرُ إلى اتجاهِ الإصبع الصغير، ثُمَّ حولَ بصرهُ إلى بؤبؤ العينِ الذي تحولَ لونهُ إلى الأخضر.

- أيُّ مكانٍ يا ولدي؟

- هناكَ حيثُ السوقِ أبي.

صوتٌ حنونٌ، واليد لامست الرأس الصغير لبثَ الطمأنينة.

- مَن الذي أخبركَ عنِ السوق؟

عفويةٌ مغمسةٌ بالسذاجة.

- جندل.

- لا عليكَ سوفَ أرى ما الأمرُ، ما زلتَ تريدُ رؤيةَ السوق؟

- هذا إن لم يكنْ لديكَ مانع سيدي.

- لا مانعَ لدي، لكن دعني أختارُ الوقتَ المناسبَ.. اتفقنا؟

- اتفقنا.

في المساءِ جلبةٌ، وأصواتُ صراخٍ مع بكاءٍ.

- ما الأمرُ مرجانة؟

- يقولون أنَّ الصغير جندل قد سرق أشياء ثمينة من قاعة الاجتماعات.

- معقول لا أظن، إنَّهُ ذو خلق، وعفة لا أصدق هذا الكلام، لا بد من خطب آخر.

صيبٌ يتمطى بعدَ شعورهِ بالملِ، وإذا بجندل يجرُ من أمامهِ بينَ حارسين ضخمين، والسلاسلُ تغطي معظمَ جسمهِ.

- ما هذا؟! توقفا، أينَ تذهبان بخادمي؟ ومَن أمركما بفعلِ ذلك؟ هيَّا أخليا سبيلهُ فورًا.

أحدهما بعدَ أن انحنى قليلًا.

- هذا قد سرقَ، ونحنُ ننفذُ أوامرَ كبيرِ الوزراء، فسامحنا لعدمِ تنفيذ أمرك.

استدركَ الحارسُ الثاني بعدَ انحنائهِ:

- بإمكانِ حضرتكم مناقشةَ الأمر مع مَن أصدرهُ.

ثُمَّ واصلا طريقيهما.

بغضبٍ.

بل سأذهبُ إلى سيد سيدكما.

لم يستطع الصغيرُ فعلَ شيءٍ لخادمهِ وأحس بإرضاءٍ لضميرهِ، فقد سعى سعيهُ، واقتنعَ بوجوبِ وقوعِ العقاب على مَن أخطأ.

.....

بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

الفصل الخامس

-الرقيط-

صباحُ اليومِ التالي.

- السيدُ عساف بانتظاركم.

- طبعًا كنتَ تنتظرُ بسطام، لكنَّهُ اعتذرَ عن المجيءِ لأمرٍ هامٍ وسيأتي بعدَ أيام، اليوم سوفَ آخذكَ إلى البهادريةَ، حيثُ ساحلِ الزاخر الشرقي، ومياههِ الدافئة حتى تتعرفَ على جانبٍ آخر من الطبيعةِ.

- أنا جاهزٌ.

بتفاؤل وابتسامةٍ عريضة.

- إلى السطحِ إذًا.

وصولٌ سلسٌ.

- شيءٌ رائع ما أجملَ أكوارهم! إنَّها صغيرةٌ ومتراصة ذات طبقةٍ واحدة فقط، والطرقاتُ معبدةٌ بطريقةٍ جميلة.

- إنَّ هذهِ المدينةَ تعتبرُ من آثارنا القديمة جدًا، فعمرها يصلُ لبضعِ آلافٍ من السنينِ، ولم يتغير فيها شيءٌ سوى بعضِ

التطورات البسيطة، كذلكَ العادات والتقاليد هنا باقية على حالها.

أشارَ صيبٌ بيدهِ إلى سقفِ أحدِ الكيران.

- ما ذلكَ المخلوقُ ذو الرأسِ المستديرِ والعينين المستديرتين والشعر الكثيف.

- إنَّهُ الهريرُ، مخلوقٌ منزلي يربيهِ أهلُ المدينةِ، لكي يخلصهم من بعضِ المخلوقاتِ الصغيرة التي تنخرُ أعمدة أكوارهم، وتدعى قوارض.

- و لمَ لا توجد عندهم مركبات؟

- لا يحتاجون إليها، وستعرفُ ما السبب بعدَ اجتيازنا الربوة عبر الطريق الحجري سوف نصبحُ مباشرةً أمامَ الزاخر، وحياتهم كلها فيه، فما فائدة المركبة؟

- يسكنونَ المياهَ أم ماذا؟!

- إنَّهم يعتاشون على ما يخرجونهُ من خيراتِ المياهِ، فمخلوقات تُأكلُ وأخرى تُباع، وغير ذلك الكثير، الكثير.

- بدأتُ أشمُ رائحةً غريبة تجعلُ مشاعري تضطربُ، لا أعرفُ كيفَ أصفُ إحساسي الآن؟

- رائحةُ الزاخرِ رائعةُ وجميلةٌ، وفي الوقتِ نفسه غريبة.

خطا في عجالةٍ.

- يا ويلي! ما هذا الذي أراهُ؟ لم تركتنَ القاذورات تصلُ لهذا الحد في المطبخِ؟ سوفَ أخبرُ سيدتي أم الطائفة.

- حضرتكِ كنا نوشكُ على البدءِ بالتنظيف، نقسمُ لكِ كنا نهم بإزالتهِ، أرجوك لا تخبري سيدتنا، فمزاجها اليوم معكر.

- رأفة بأطفالكما أيتها الغبيتان، لكن حذارِ، حذارِ إن دخلتُ مرةً أخرى ووجدتُ شيئًا من هذا، حذارِ.

على رأسِ المرتفع يقفُ صيبٌ مأخوذًا بما يشاهدُ متسمرًا لا يستطيع الكلام، فقط النظر، والنظر بعمقٍ إلى تلكَ الكميةِ اللامحدودةِ من المياهِ.

يتخبطُ ببصرهِ باحثًا عن نهايتها دونَ جدوى، فيعيدُ بصرَهُ إلى الساحلِ ليبصرَ الحركةَ الدؤوبة.

يتساءلُ في سرِهِ.

ما كلُّ هذا؟!

الأنفاسُ تتلاهثُ والصعودُ كان مرهقًا.

- بني لا تتركني وتجري مرةً أخرى، أنا جديسٌ كبيرٌ في السن.

دونَ جوابٍ، فالمسؤولُ أسير المنظر الذي أمامَهُ.

- أعجبكَ شكلُ الزاخرِ، متأكدٌ من ذلكَ، إنَّ منظرَهُ يدفعُ للرهبةِ وفي نفسِ الوقتِ يمنحُ شعورًا بالطمأنينة؛ جميلٌ قدومَ أحدنا إلى هنا بينَ الحين والآخر.

بعدَ أخذِهِ قسطًا من الراحةِ أخذَ بيدِ تلميذِهِ متوجهًا إلى الشاطئ.

رأسُ الفتى كآلة الطباعةِ اليدوية يذهبُ يمينًا ويجيء يسارًا في محاولةٍ لتدوين أكبرِ قدر من المشاهدِ في ذاكرته حيثُ الزحام بدأ يزدادُ، أحسَ بجديسيته لأول مرةٍ حينما دخلَ بينَ حشودِ الصيادين والمارةِ والتجارِ، حيثُ الملابسِ ذات الطرازِ القديمِ وعدمِ وجود أيّ دليلٍ على الحداثةِ، على عكسِ ما ينعم هو فيهِ بمدينتِهِ.

انتهى ذلكَ التلاحم، ثُمَّ أفضى إلى الشاطئ مباشرة.

تسمرَ مكانَهُ.

- ما هذا أستاذ؟!

- إنَّهُ (الحوت)، هو مركبٌ أهل البهادرية يستخدمونهُ في الصيدِ والغوصِ إلى أعماقِ الزاخر.

- يا لَهُ من ضخمٍ! انظر إلى أقدامِهِ الأربع، كم هي كبيرة وترجُ الأرضَ عندما تهبطُ عليها!

- أجل، هو عملاقُ الزاخرِ القوي؛ ترى النتوءاتِ على جانبي جسمهِ التي تشبهُ العيون المغمضة، إنَّها عيونُ الماءِ تفتح عندما يكونُ داخلَهُ وعددها ثمانون عينًا؛ أما الذيلُ العريض، فهو بمثابةِ محركِ دفعٍ جبار يعطيهِ سرعةً هائلةً على سطحِ الزاخر وفي أعماقهِ؛ أما النتوءان على الجانبِ، فهما لوحي توازنهِ تسمى (الزراعيف).

- وتلكَ التي على ظهرِهِ، أهي نتوءات أم وضعها الصيادون؟

- هي عظامُ أمثالِهِ الذين نفقوا شكلها الصيادون على تلكَ الهيئةِ التي ترى لتكونَ لهم مقاعدًا أو مساندًا، وكذلكَ يربطون بها أطراف شباكهم.

- انظر إلى ذاكَ الشاب كيفَ يداعبُ فمَهُ، ألا يخافُ من أن يقومَ بابتلاعهِ؟!

- لا يخيفكَ منظرُ فمهِ الكبير المليء بالأسنان، فهو يقتاتُ على العشبِ والطين؛ شاهد كيفَ يذهبُ إلى المياهِ بحركاتٍ رشيقةٍ؛ أوه، ما أجملَهُ! لاحظ كيفَ دخلَ المياه، ثم انظر للآخر كيفَ يخرجُ منها؟

- لدي سؤالٌ يحيرني.

- تفضل اسأل.

- نحنُ جديس لا نتنفس تحتَ الماءِ، فكيفَ سيبقى أولئكَ على قيدِ الحياة، وهم لا يملكون عُددًا متطورةً تساعدهم؟

- سؤالٌ جيد.. اتبعني من فضلِكَ.

خطواتٌ باتجاهِ بعضِ الصخورِ التي نمت عليها نباتاتٌ غريبةُ الأشكالِ، فأوراقها تشبهُ رأسَ الهريرِ، ثُمَّ قامَ عسافٌ بقطعِ إحدى الأوراقِ.

- هذهِ تعرفُ باسمِ رأس الهرير، يقومُ الصيادون بتقطيعها وحشرِ القطعَ في فتحاتِ التنفسِ، وعندما تلامسُ القطع رطوبة الأنفِ تبدأ بإنتاجِ الغازِ الذي يمكنُ الصيادين منَ البقاءِ تحتَ الماءِ فتراتٍ طويلةٍ.

- لدي طلب.

- قبلَ أن تقولَهُ، فهو مرفوضٌ؛ لن أسمحَ لكَ ركوبَ حوت أبدًا.

- إذًا كيفَ ندخلُ الزاخر ونتجولُ فيهِ؟

- يبدو أنَّ الأجواءَ هنا أنستكَ التطور، سأتصلُ بقائدِ المركبةِ ليأتي يأخذنا بجولة مبهرةٍ.

لم يطل الانتظارُ.

- ها قد جاءت المركبةُ، استعد.

في الكورِ.

- مرجانة.. يا مرجانة.

- نعم، سيدتي؟

- ألم يعد سيدكِ صيب بعد؟

- لا، لكن لا تقلقي أنا متأكدةٌ من أنَّهُ يستمتعُ بوقتهِ مع عساف.

انطلقت المركبةُ، وأخذت تمخرُ عبابَ الزاخرِ.

الفتى يراقبُ الحيتان، وهي تغوصُ وتخرجُ، وعلى ظهورها الصيادين الذين يرددون الأغاني الخاصةَ بهم، وآخرين عائدين يرقصون ابتهاجًا بما وهبَ لهم زاخرهم من خيراتٍ.

- استعد أيَّها الموقرُ للحدثِ الأهم في هذا الدرسِ، وهو الغوصُ إلى الأعماق.

ظلامٌ وانعدامٌ للرؤية، انقبضَ القلبُ الصغيُر، وضاقت الأنفاسُ.

لحظات، ثُمَّ كلمَ المعلمُ قائدَ المركبة.

- اجعل المركبةَ شفافة، وشغل الإنارةَ بكاملِ طاقتها.

ما هي إلا هنيهة حتى أصبحت المركبة أشبهُ بإبريقٍ زجاجي تمكنُ من رؤيةِ كلِّ شيءٍ من حولها، وزادَ البرهانُ برهانًا حينَ أنيرت الأضواء، فبرزَ الجمالُ الخلابُ.

- لا أجمل، ولا أحلى.. لا أستطيعُ وصفَ شعوري سوى القول: إنّي منبهرٌ!

- هوّن عليكَ، لم ترَ إلا القليلَ، الضئيلَ منَ الأعماقِ.

تحركت المركبةُ ببطءٍ شديدٍ، وصيب يتنقلُ بينَ المقاعدِ في كلِّ الاتجاهاتِ، مطلقًا التساؤلات بغزارةٍ.

- ما الكائناتُ هذهِ؟

- تلكَ تدعى (البقرش)، وهي طعامُ أهل السواحلِ المفضل، تمتازُ بأحجامٍ جيدة، ومذاقٍ رائع إضافة لما تحتويهِ لحومها من موادٍ تساعدُ الصيادون على مقاومةِ الرطوبةِ؛ أما هذهِ القريبةُ منا تدعى (كلماس).

مقاطعًا:

- أيُّها تدعى بهذا الاسمِ، فكثيرة المخلوقات التي بقربنا؟

- تلكَ بيضاءُ اللون، وحجمها بحجمِ كف اليد، هذهِ غاليةُ الثمن لا يتناولها إلا الخاصة وأحيانًا الأثرياء.

- لِمَ الغلاءُ في الأثمانِ، فها هي بكمياتٍ وافرة هنا؟ لِمَ لا تكونُ بمتناولِ الجميع؟! أشاحَ بوجهة الناحية الأخرى مدعيًا تفقدهِ مخلوقات أخرى.

أسند عساف ظهره إلى المقعد، ثُمَّ تنهد:

بني هذهِ هي الحياة، فقد خُلِقنا لنكونَ خاصةً وعامة، أطباءً وعمالًا، تخيل معي لو أنَّ الجميعَ بمستوى واحد وبقوةٍ واحدة ومتساوين في كلِّ شيءٍ، ماذا سيحصل؟ بالتأكيدِ لن تدورَ عجلةُ الحياة، فكلّ يأكل، ويحصلُ على نصيبهِ من

الحياةِ على قدرِ همتهِ؛ دعكَ من كلِّ ذاكَ، وانظر إلى تلكَ الكبيرةِ ذاتِ العيونِ الحادة القادمة نحونا.

رفعَ رأسَهُ ناظرًا.

- هذهِ التي ترى واحدةٌ من أعتى مخلوقاتِ الزاخر، إنَّها متوحشةٌ جدًا لا ترحمُ من يقعُ بينَ فكيها، تطحنُهُ بأسنانِها اللؤلُئِية، وجسمها الإنسيابي النحيف يمكنها من التحركِ برشاقةٍ والانقضاض بسرعةٍ على هدفها.

- ما الاسم التي تعرفُ بهِ؟

- (الرقيط)، ولا يسمحُ للجديسِ بتناولها لما تحتويهِ لحومها من سمومٍ.

استمرت المركبةُ في خطِ سيرها الأفقي المستقيم.

لحظاتٌ وصاحَ عسافٌ مبتهجًا:

- مرحى! أتى غذاءُ الشعوبِ الحنون، المانحةُ بكلِّ سخاءٍ (شبوط الكبير).

تخبطَ صيبٌ برأسِهِ في كلِّ الاتجاهاتِ، وهو يتتبعُ يدَ أستاذِهِ حتى وقعَ على الهدفِ، حيثُ كانَ مخلوقٌ كبيرٌ بحجمِ مركبتهم أو يزيدُ على ذلكَ بقليلٍ بزراعيفهِ الكبيرة وعيونهِ

الواسعة الكثيرة، وفمه الذي يشبهُ المنقار، وقشورهِ اللامعة عندما تصطدمُ بها الأنوار.

- ما هذهِ الشبوط؟

- طعامُ الفقراء المساكين، فلحمها هو الأرخصُ ثمنًا بينَ اللحومِ التي يهبها الزاخر العظيم لنا.

- رائع، وهل طعمها جيد؟

- بالتأكيدِ، فسعرها يجعلُ طعمها بالنسبةِ لمتناوليها أشهى من كلماس الأغنياء.

طلبَ عسافٌ من قائدِ المركبةِ زيادة السرعة والعمق، ثُمَّ بعدَ مسافةٍ ليستْ بالقلية.

- سأخبركَ بمجموعةٍ حقائقٍ، فكن لي مصغيًّا سيدي.

- كلي ملككَ معلمي.

- نحنُ الآن تحتَ أريضةَ، لكن ليسَ بالعمقِ الذي كنتُ أتمناه.. المهم جزيرتنا، وبقيةُ جزرِ الأزرقِ ترتبطُ ببعضها البعض من خلالِ أعمدةٍ صخرية كلّ جزيرة لها عمود يمتدُ من وسطها نزولًا إلى الأعماق حتى يلتقي بالباقين إذ تلتقي الأربعةُ بمنطقةٍ تعرفُ باسم (كرقزح)، أي مكانٌ شريرِ

الأرض كما يحبُ أن يسمونَهُ محبي الأساطير؛ أما بالنسبةِ لي، فأحبُ تسميتَهُ مركزُ المركزِ أو نقطةُ العقدةِ المركزية.

قبلَ استرسالِهِ في كلامِهِ توجهَ بنظرةٍ خاطفة ناحيةَ تلميذِهِ النجيب ليجدَهُ فاغرَ فاهُ، وعلاماتُ البلادةِ تدورُ حولَهُ. نادهُ بصوتٍ عالٍ.

- صيب.. يا صيبُ، أينَ ذهبتَ؟

رفعَ الفتى يدَهُ مشيرًا لمجموعةٍ منَ المخلوقاتِ الصغيرةِ التي بدأت تتجمعُ حولَ المركبةِ.

بخيبةِ أملٍ أجابَ:

- (سربيط)، كائن صدفي لحمهُ طيبُ المذاقِ، ويزدادُ حجمه كلما كان مكانُ عيشهِ في الأعماق.

التفتَ إلى قائدِ المركبة آمرًا إياهُ بالعودةِ إلى الكور، فوقتُ الدرسِ انتهى.

- أستاذُ، لا تعتقد أني لم أفقهُ ما قلت عن كرقزح، فقد أخذت تلكَ الكائنات تركيز عيني؛ أما أنا، فكنتُ معكَ.

نظرةُ استغرابٍ ومفاجأة.

على السطحِ ودعا بعضهما على أمل لقاء قريب.

اليوم التالي عندَ انتصافِ النهار.

- كم مملٌ هذا اليوم، الوقتُ لا يسيرُ إلا بالتوسلِ إليه، مللتُ التجوال هنا والتسكع هناك بينَ هذهِ الغرف البائسة.

اعترضتهُ إحدى الخادمات.

معذرة أيُّها الموقر، سيدتي تريدُ منكَ الانضمامُ إليها لتناولِ الطعام.

- قادمٌ في إثركِ.

مرَّ ما تبقى منَ اليومِ بسلام، ثُمَّ أشرقت الشمسان من جديدٍ معلنتان عن نهارٍ جميل زاهي.

كَفَّرَ، ثُمَّ اعتدلَ.

- صباحُ خيرٍ عظمتكم.

- أهلًا كبير الوزراء، ما خطبكَ اليوم تبدو نشطًا تعتليكَ همة عالية؟

- رؤيتكم بعثت فيَّ كلَّ هذا.

- هاتِ ما عندكَ، فمزاجي جيد أيضًا.

- سيدي المبجلُ أودُ اطلاعكم على بعضِ المسائلِ الهامة، وأولها عدم ردِّ قمبيز على رسالتكم رغمَ تسلمهِ إياها، وثانيها هو أنَّ (حصرو)، حاكم يفاع منعَ سفننا التجارية من إنزالِ حمولاتها في موانئه وثالثها.

شدادٌ مصغٍ دونَ مقاطعةٍ أو إبداءِ أيِّ امتعاضٍ للوقتِ الطويلِ الذي استغرقَهُ كبيرُ وزرائِهِ.

بعدَ انتهائِهِ.

- شكرًا لكَ على هذا الجهدِ، والآن أريدكَ في أمرٍ هامٍ خارجَ إطارِ كلّ ما ذكرتَ، بل بالأحرى هي خدمة تقدمها لي كصديقٍ، وليسَ كقريع.

- على عيني ورأسي كلي وأهلي فداء لكم، ثُمَّ للجمهوريةِ.

- هذا عهدي بكَ، أريدُ منكَ اصطحابَ صيب إلى السوقِ الخاصِ بنا، فأحدُ المدسوسين ملأ رأسَهُ بترهاتٍ فارغةٍ، والمفروضُ مَن يقوم بهذا أنا، فهو واجبي كأب، لكن تعرفُ المسؤوليات والاجراءات التي يجبُ ترتيبها إن أردتُ فعلَهُ بنفسي؛ لذا لم أجد آمنَ منكَ على ولدي.

- هذا شرفٌ لي، فخدمتكم واجبٌ مقدسٌ، سأنطلقُ من فوري، اسمح لي.

وهو يخطو خطواته للوراءِ دمدمَ داخلَ نفسهِ.

- هذا ما كان ينقصني؛ التحولٌ لدادة صبيان ومخنثين، أفٍ، أكلمُهُ عن خطوب عظامٍ، ويطلبُ مني اصطحابَ المدللِ الأهبلِ؛ صبرًا جميلًا.. صبرًا جميلًا.

طرقٌ على البابِ ثُمَّ دخلَ فتى صغير.

- مَن أنتَ؟

- خادمكَ الجديدُ (هتمس).

نظرةٌ متفحصةٌ سريعةٌ.

هاتِ ما عندكَ.

سيدي كبيرُ الوزراءِ في انتظاركَ لتذهبا إلى السوقِ حسبَ أوامرِ عظمتِهِ.

قفزَ منَ السريرِ بعدَ اختفاءِ الكسلِ والخدر الذي سيطرَ عليهِ.

- أينَ ينتظرني؟ اخبرني في أيّ مكانٍ أجدهُ؟

- ينتظركَ في المركبةِ -مذكرًا سيدهُ- ألا يتوجبُ ارتداءَ كاملِ ملابسكَ أولًا حضرتكَ؟

انتبه لنفسِهِ، وإذا هو بملابسهِ الداخلية فقط.

- أهلًا أيُّها الموقرُ؛ مِن فضلكَ اجلس جواري حتى أنالَ شرفَ رفقتكم.

- شكرًا لكَ سيدي كبير الوزراء، لطفٌ منكَ تخصيصَ جزءٍ من وقتكَ الثمين لي.

ابتسمَ ابتسامةً عريضة، وداخله صراخ: مجبرٌ عمكَ لا بطلُ.

تحركت المركبةُ، وبالفعلِ كانت متجهة الوجهةَ التي يريدها الفتى، لكن ما لبثت أن غيرت طريقها والتفت، ثُمَّ مالت يمينًا، فانعطفت يسارًا أكثرَ من مرةٍ، وها هي تتوقفُ أمامَ مبنًى ضخم تقف أمامَهُ الكثيرَ منَ المركباتِ الفاخرةِ، ويدخلُ إليهِ جديسٌ من مختلفِ الأعمارِ تبدو عليهم مظاهرَ الترف والراحة.

عرفَ الصغيرُ وأدركَ ما دُبرَ لَهُ، فاثرَ السكوتَ مدعيًا التمتعَ بالتجوالِ داخلَ ذلكَ المكان إلا أنَّهُ لم يتمكن من إخفاءِ لون

بؤبؤهِ الأزرقِ الحزينِ، ولاحظَ كبيرُ الوزراء ذلكَ، فلعب دورَ عدمِ الملاحظ.

في تلكَ الأثناء أمرَ القريعُ الحاجبَ بالتأكدِ من مغادرةِ كبير الوزراء الكور، وبعدَ ذلكَ أمرَ باجتماعٍ طارئٍ وسريع لبعضِ وزرائِهِ يناقشونَ فيهِ ما طرأَ مؤخرًا من مستجداتٍ.

- هذا ما وصلني يا سادة، وأريدُ منكم المشورةَ والرأي الصائب، لكن خذوا أمرًا مهم بعينِ الاعتبارِ نحنُ نريدُ درءَ المشاكلِ والأخطارِ عن جمهوريتنا قدرَ المستطاعِ بالطرقِ السلميةِ.

استمرَ النقاشُ، وكثرتْ الآراءُ، ثُمَّ جاءَ القرارُ.

- سأرسلُ رسالةً أخيرةً لذلكَ المتعجرف قمبيز، وستكونُ شديدةً اللهجةِ كي لا يظنُّ بنا ظنونًا قد تدفعُهُ إلى الرعونةِ المعروفةِ عنهُ، كذلكَ سوفَ أُرسالُ برقيةً مستعجلةً إلى حصرو أستفسرُ عمّا جرى معَ سفننا، وفيما يخصُ مجموعةَ اللصوصِ الذينَ ظهروا مؤخرًا على السواحلِ، فآمر بإرسالِ كتيبةٍ منَ المحاربينَ ليضعوا حدًا لهذهِ المهزلةِ؛ شكرًا لقدومكم، انصرفوا رافقتكم السلامة.

عندَ المساءِ بعدَ انتهاءِ معظمِ الأعمالِ أمسى الكورُ هادئًا لا يسمعُ فيهِ أيُّ ضجيج إلا صوتًا من مصدرٍ بعيدٍ في الأسفلِ، صوت إعدادِ الطعام.

شدادٌ ضغطَ على الزرِ.

- في خدمتِكم.

- أبلغ صيبًا وأمَهُ رغبتي في تناولِ الطعامِ معهما.

- أمركَ مطاعٌ.

جلست العائلةُ الصغيرةُ حولَ المائدةِ الكبيرةِ يتجاذبون أطرافَ الحديثِ، ثُمَّ طلبَ الأبُ منَ الابنِ إخبارَهُ عن مغامرتِهِ في الزاخرِ، فسردَ ما سرد ناقلًا لَهُ مشاعرَهُ بكلِّ صدقٍ، وكان ذلكَ واضحًا عليهِ، ثُمَّ جاءَ الحديثُ عنِ السوقِ، فتلألأتِ العينان مرةً أخرى، وأخبرَ الأبَ بما أرادَ سماعهُ، كانت تلكَ المرةُ الأولى لصيبٍ معَ الكذبِ، وكذلكَ أولُ اكتشافٍ لَهُ لموهبتِهِ في تمويهِ لون عينيهِ بما يحبُ ويرغبُ لا بما تفرضهُ عليهِ مشاعرهُ.

يومٌ آخر انتهى بسلامٍ.

فرحٌ وسرورٌ.

- أهلًا أستاذُ بسطامٍ، أطلتَ الغيابَ علينا، صيبٌ سيطيرُ فرحًا عندما يعلمُ بقدومكَ.

- سيدتي أغدقتِ عليَّ ما لا أستحقُ، وشملتني بأكثر ممّا أتمنى، أنا هو الفرحُ والسعيدُ بعودتي لخدمةِ الموقرِ.

- تفضل اجلس شاركني الشرابَ الساخنَ ريثما يجهزُ صيبٌ.

في المركبةِ الطالبُ وأستاذُهُ.

- اليوم إلى أينَ؟

- إلى المتحفِ، اليوم درسُنا سيكونُ مليءٌ بعبقِ التاريخِ، وروعة أحداثهِ، ستتعرفُ اليوم كيفَ كان أجدادنا القدامى يعيشون، وكيفَ وجِدوا على هذا الكوكب، وأمورٌ أخرى أظنها ستعجبكَ.

- تذكرتُ هناكَ ما أودُ السؤالَ عنهُ؛ في أولِ دروسي معَ أستاذ عساف ذكرَ أمرًا عن اشتراكنا وبزاق في أصلِ الوجودِ؟

- هذهِ أسطورةٌ لم يتمكن العلمُ من إثباتها أو نفيها حتى الآن معَ ذلكَ سأخبرُكَ بما تقولُ عندما يكونُ الوقتُ مناسبًا داخلَ المتحفِ.

احتاجا لبعضِ الوقتِ للوصلِ إلى ضالتهما، فالزحامُ خانق.

- جميل، أخيرًا وصلنا كنتُ أظننا لن نصل أبدًا؛ انتظرني هنا ريثما أوصلُ ما وكلتُ بهِ إلى عظمةِ شدادٍ.

الحاجبُ بصوتهِ الجهوري.

- عظمتكم، صاحب البريد يطلبُ الإذنَ بالمثولِ بينَ يدي عدالتكم الكريمتين.

- دعهُ يدخلُ، ودعكَ من تزويقِ الكلامِ وكثرتهِ، تراني في محكمة، وأنتَ حاجبها يا أبله؟

- صباحُ خيرٍ وبركاتٍ على قريعنا المحبوب، والمؤيدُ بالنصرِ.

- هاتِ ما عندكَ يا صاحبَ اللسانِ المعسولِ.

- جئتُكم برسالةٍ مسجلة صوت وصورة من صديقكم حاكم الغرب السيد قمبيز.

فتحَ عينيهِ الناعستين، ثُمَّ عدلَ من جلستهِ، وهو خلفَ مكتبهِ.

كانت عبارةٌ عن رسالةِ اعتذارٍ من قبلِ قمبيز يعللُ فيها سببَ تأخرِهم بالدفعِ لأزمةٍ ماليةٍ تمر بها بلادهُ.

الحاجب:

- سيدي المفدى، السيد كبيرُ الوزراء في الخارجِ يطلبُ الإذنَ بالدخولِ.

- أدخلهُ -في سرهِ- لنرى ماذا يحملُ لنا المعتوه الآخر.

الوقتُ في قرقر قبيلَ المساءِ، ومعظمُ جديسٍ في تلكَ الأوقاتِ هناكَ بينَ عائدٍ من عملِهِ أو خارج لتبضعٍ أو متسكع يبحثُ عن ضالةٍ ما.

- انظر (طليسمان)، مَن على الشاشة الكبيرة؟

- ما خطبكَ يا (زلعادين)، أيُّ شاشةٍ هذهِ؟ ألا تراني مشغولٌ بترتيبِ الأوضاعِ معَ تلكَ الأنثى؟

- ارفع رأسكَ، دعكَ منَ التركيزِ على المؤخراتِ؛ انظر للبنايةِ أمامكَ حيثُ الشاشةِ العملاقة.

رفعَ رأسَهُ ببطءٍ ليجدَ زعيمَ أمتهم كما يسمونَهُ يحتلُ الشاشة.

- مَن أخرجهُ الآن؟

- صه، أسجننا تريدُ أيُّها المعتوه؟ انصت، دعنا نسمعُ ما يقولُ.

قمبيزُ بحركاتهِ الهستيرية المعهودة، وأُسلوبهِ الفريد في الخطابة: (يا أمةَ جديسٍ الغرب الأصلاء، الفريدين؛ إنَّ أعداءَ أمتنا تكالبوا علينا، ويبدوا أنَّهم كشروا عن أنيابهم مظهرينَ العداءَ يريدون سلبنا حقنا في العيش والتطور، ها أنا اليوم أقولُ لكم أمتنا العظيمة مقبلة على امتحانٍ نهايته بالتأكيدِ لصالحنا مهما كانت الظروف، فعيشوا بنعيمٍ، وانتظروا نصرًا قريبًا مؤزرًا).

- طليسمان، هل فهمتَ شيئًا مما قالهُ صاحبكَ؟

- لم يوجد الفهم لمثلك يا هذا، العظماءُ كلامهم لا يفقهه إلا العباقرةُ النجباءُ، ركز في المؤخراتِ أفضلُ لكَ.

في المتحفِ بعدَ جولةٍ قصيرةٍ في الطابقِ الأرضي الذي لا يحوي على ما يسدُ رمقَ صيبٍ.

- أنا متأكدٌ أنَّكَ ضجرتَ من التجوالِ هنا؛ الآن سوفَ ننتقلُ إلى مكانٍ يثيرُ الرهبةَ والفضول.

طلبً من عاملِ المصعدِ إيصالهم إلى الطابقِ الثالثَ عشرَ.

فُتِحَ البابُ، فانطلقَ الاثنان.

- هنا سنجدُ ما نصبوا إليهِ.

مطولًا وقفَ الأستاذُ أمامَ تمثالٍ صغيرٍ بينما تلميذهُ يجوبُ الطابقَ غدوًا ورواحًا، كأنَّهُ يبحثُ عن ثمينٍ أضاعَهُ.

- صيبٌ يا موقرُ، تفضل بالاقترابِ مني لو سمحتَ.

- ها أنا ذا معلمي.

- انظر ما أمامكَ جيدًا، تأمله، ثُمَّ قل لي لمن تعتقدهُ يعود.

تَفحصَهُ جيدًا.

- إنَّه لأحدِ جديسٍ بالتأكيدِ غيرَ أنَّ هناكَ اختلافٌ في عددِ العيون، فهي أربع صغار بدلَ الاثنين الواسعتين، وفمهُ أكبرُ من أفواهنا ناهيكَ عنِ اللونِ الأسودِ الذي يغطيهِ بالكاملِ.

- أظنّكَ سمعتَ عن قزحَ شرير الأرض؟

- بالطبع.

- إنَّهُ هو أو لأكونَ أكثرَ دقة هذهِ نسخةٌ مصغرة، متخيلةٌ مأخوذة منَ الاسطورةِ التي تكلمتْ عنهُ، إلا أنَّهُ في

الأسطورةِ يفوقنا حجمًا بخمسةِ أضعافٍ، كذلكَ في الأسطورةِ مجموعة من الترهاتِ لا أريدُ إشغالكَ بها.

تبادلا الابتسامةَ، ثُمَّ انتقلا إلى مكانٍ آخرَ داخلَ الطابقِ.

معَ كلِّ خطوةٍ تبعدهُ عنِ التمثالِ كان صيبٌ يزدادُ في الإلحاحِ بالأسئلةِ عن شريرِ الأرضِ.

توقفَ بسطامٌ، وقد بانَ على محياهُ شيئًا من الانزعاجِ.

- سوفَ أُخبركَ ببعضِ ما قيلَ عنهُ، لكني شخصيًا غيرُ مصدقٍ ما قيل، يقال: إنَّهُ كانَ من زهادِ جديسٍ، وكان طيبًا يساعدُ الجميعَ، لكن حزران اللعين أغواهُ، وجعلَهُ يسقطُ في المعاصي والخطايا حتى وصلَ بهِ المطافُ لقتلِ ابنهِ، وأكلِ لحمهِ، فلعنتهُ السماءُ وحولتهُ إلى تلكَ الهيئةِ، ثُمَّ أُبعدَ ليكونَ مسكنُهُ كرقزح، المنطقة المظلمة، وأشياء أخرى لن أخبرَكَ بها مطلقًا، فلا قيمةً لها.

توقفا أمامَ مكانٍ غاية في التحصينِ.

الدرعُ الشفاف يحيطُ بهِ من كلِّ جانبٍ، وداخلهُ مجموعة من الأشياءِ التي تشبهُ في شكلها لحدٍ كبيرٍ العظام العملاقة،

وعلى مقربة منها أشياءٌ أخرى تشبهُ في شكلها أوراقَ الأشجارِ، لكنَّ حجمها مبالغٌ فيهِ.

- هذا ما كنتُ أريدكَ أن تعرفَهُ، وتدققَ النظرَ فيهِ؛ إنَّها بقايا (الوتين المقدسة)، من أغصانٍ وأوراقٍ، تعالَ نجلسُ لأسردَ لكَ القصةَ من بدايتها أو بالأحرى من حيثُ وصلتنا واعتبرناها بداية.

بعدَ الاستقرارِ على المقاعدِ، وطلبِ شرابٍ بارد بدأ بسطامٌ الكلامَ.

- قبلَ زمنٍ بعيدٍ جدًا لا يقدرُ بساعاتٍ أو أيامٍ أو سنين ولا حتى حقب وقرونٍ خرجت شجرةٌ عملاقةٌ منَ الأرضِ في الجزيرةِ الشماليةِ، كانت تعانقُ السماءَ ارتفاعًا؛ كثيرةُ الأغصانِ، كثيفةُ الأوراقِ، زاهيةُ اللونِ [لونها بنفسجي] ثُمَّ تفتحت فيها زهورٌ بيضاءٌ يانعةٌ، ما لبثت أن حملَتْ بيوضًا كاللؤلؤ، وبعدَ حينٍ أشرقت الشموسُ الثلاثة، وهنَّ مجتمعاتٌ مع بعضهنَّ مكونة الشمسَ العظيمةَ بهيأتها الكاملة، ففقست البيوضُ، وخرجَ أجدادنا القدامى؛ هم أولُ جديسٍ يطئون أرضَ الأزرق، وبدأت قصةُ حياة وتطور وصِدام أيضًا في

بعضِ الأحيان، فتاريخ أممِ جديس مليءٌ بالصراعاتِ والملاحم، وكذلكَ السلامُ والوئام.

غاصَ الاثنان في لحظاتِ صمتٍ وتأملٍ، ثُمَّ...

- أما بخصوصِ ما أخبركَ عنهُ عسافٌ، فإليكَ القصةَ الأخرى: بعدَ خروجِ أجدادنا أخذت الشجرةُ بالموتِ تدريجيًا، كأنَّها أعلنت عن اكتمالِ مهمتها الرئيسية، فبدأت تتطايرُ أوراقها الواحدةُ تلو الأخرى، فمنها مَن سقطَ على الترابِ الرطبِ ليتحولَ إلى بزاق، وأخريات سقطنَ على ترابٍ يابسٍ، فتحولنَ إلى نهاز، وهكذا أينما تسقطُ الأوراقُ تتحولُ إلى كائنٍ حي يتناسبُ والبيئة التي سقطت فيها.

التفت إلى صيبٍ، فوجدَ عيناهُ تذرفان الدموع، وهو في غايةِ التأثرِ.

- هذا دليلٌ على أنَّكَ جديسٌ أصيلٌ يا بني.

طريقُ العودةِ.

- غريبٌ هذا الزحامُ اليومَ، لم أشهد مثلَهُ منذُ مدةٍ.

- إلى أينَ تذهبُ بنا مركبتكَ المجنونة يا هذا؟

- لا تقلق سيدي، هي تعرفُ الطرقَ المختصرةَ أفضلُ مني.

- حاول السيطرةَ عليها قبلَ أن تتسببَ لنا بالمتاعبِ.

القائدُ وهو فاغرٌ فيّهِ مبتهجٌ.

سنصلُ الكورَ في وقتٍ قياسي، وسوفَ تشكرني في النهايةِ.

- أوقفها، أقولُ لكَ أوقفها، عد بنا أدراجنا.

- تمهل أستاذ، لِمَ كلُّ هذا الانفعالِ والعصبيةِ، الأمرُ لا يستحقُ.

بقي صامتًا مغتاظًا يراقبُ متتبعًا انغماسهم شيئًا، فشيئًا داخلَ المدينةِ.

أما الفتى، فقد ألصقَ رأسَهُ بإحدى جوانبِ المركبةِ، وأخذَ هو الآخر يراقبُ.

بعدَ برهةٍ صرخَ.

- السوقُ، إنَّهُ السوقُ.

- ماذا؟ أيُّ سوقٍ يا سيدي؟

- قد شاهدتُ الاسمَ مكتوبًا على بوابةٍ كبيرةٍ، وكان هناكَ أعدادًا كبيرةً من جديسٍ يدخلون ويخرجون.

حاولَ قائدُ المركبةِ بحسنِ نيةٍ تأكيدَ ما تحدثَ عنهُ الموقرُ، إلا أنَّ بسطامَ أكدَ توهمهُ.

عادَ الفتى لصمتهِ موصلًا رسالة مفادها إنَّهُ قد اقتنعَ بما قالَ الأستاذُ، وكانَ داعمهُ في ذلكَ لونَ العينِ كالمعتاد.

عندَ مدخلِ ميناءِ الكور.

- الزحام، وصل حتى هنا! ما كلُّ هذهِ المركباتِ التي تحملُ بيرقَ جمهوريتنا؟!

- على ما يبدو موكبٌ رسمي لزائرٍ أجنبي.

الحاجبُ بصوتٍ متناغمٍ.

القريعُ العظيمُ حامي جمهوريتنا الكريم وصل.

انحنى جميعُ الموجودين في قاعةِ كبارِ الزوار.

بعدَ استقرارهِ على مقعدِهِ الخاص، وجلوس الباقين انتصبَ مبعوثُ حصرو، ثُمَّ تقدمَ خطوةً للأمام.

تحيةً طيبةً للعظيمِ المبجلِ؛ دامَ ظلهُ الوارفُ بعثني إلى حضرتِكم اليوم لأنقلَ لكم صادقَ تحياتهِ، واعتذارهُ عمّا

حصلَ من قبلِ مجموعةٍ من الموظفين الغافلين عن عظيمِ شأنِ سفنكم.

قُدمتْ مجموعة من الهدايا الثمينة.

شدادٌ قامَ بتحميلِ الرسولِ رسالةً شفهيةً، ومعها هدايا وعطايا شرقية.

.....

بقلم(ك)للنشر الإلكتروني

الفصل السادس

-الحكم-

الليلُ هبطَ.

- ما بالُ سيدي مشغولَ البالِ كثيرَ التفكيرِ؟ أهناكَ خطبٌ؟

- لا يا هجرُ، لكن حدثت بعضُ الأحداثِ الغريبةِ بعضَ الشيءِ أو بالأحرى الغيرِ متوقعة.

- كيفَ ذلكَ؟

- هاا!! لا عليكِ.

نظراتٌ برومانسيةٍ وحنانٍ التقت بها العينان.

- انظري إلى البيضاءِ كيفَ هي متلألئةٌ، إنَّها رسالةٌ علينا استغلالها.

- لا تزالُ رومانسيًّا كما عهدكَ.

ضحكاتٌ فيها غنج ونعومة.

في غرفةِ مرجانة في كورِ الخدمِ بالجهةِ الشماليةِ من الكورِ الكبير.

- اهدأ.. ماذا دهاكَ؟! سيصحو الصغارُ، أكلما تريدُ هذا الشيءَ تفعلُ فعالكَ الصبيانية هذهِ؟!

- نارُ الشوقِ يا عزيزتي، تدفعني لأكثرِ من هذا، فهيَّا أسرعي، أسرعي.

- وما بالكَ لا تخبرُ أحدَ قادةِ الجندِ الذين يأتون إلى هنا لينقلوا عملكَ إلى مكانٍ قريبٍ تتمكنُ من خلالِهِ القدومَ إلينا كلَّ يومٍ؟ أليسَ أفضلُ منَ الذي تفعلُهُ بنفسكَ وبي طوال الأربعةِ أيام التي تقضيها معنا؟

- صه، التزمي بالأوامرِ، لا تكثري منَ الكلامِ، إنَّهُ يشتتُ التركيزَ.

على السريرِ.

أجملُ شيءٍ حصلَ معي اليومَ هو معرفتي لطريقِ ذلكَ المكانِ الذي لا يريدونني أن أعرفَهُ، لكن سوفَ أعرفُهُ، وأعرفُ لِمَ المنعُ؟ وقبلَ كلِّ شيءٍ عليَّ إيجادُ طريقةً مُثلى للخروجِ والعودةِ دونَ أن يُحسَ بي أحدٌ، وهذهِ تحتاجُ لتفكيرٍ وتدبيرٍ، وكذلكَ صبر وعدمِ تسرعٍ حتى لا أقعُ في أيِّ خطأ.

رُفِعَ الرأسُ ناحيةَ السماءِ.

أليسَ كذلكَ عزيزتي الجميلةَ البيضاءَ؟ أنا على يقينٍ من أنَّكِ تسمعيني وتحسينَ بي وأنا في انتظارِ يدَ المساعدةِ التي ستمديها لي عاجلًا؛ متأكدٌ من ذلكَ.

في غياهبِ السجنِ المركزي.

- متى الخروجُ؟ أما كفاهم ما سلبوهُ مني؟ ألم يكتفوا بعيني التي ذهبت؟ كم أنا مشتاقٌ إليكِ أمي.

زميلهُ سمعَ دمدمتهُ.

- هون عليكَ بني، فالفرجُ قريبٌ، وفي أيامٍ قلائل، سمعتُ ذلكَ من أحدِ الحراسِ، هون عليكَ، وحاول أخذَ قسطًا منَ النومِ، فأنتَ تحتاجُ لطاقتكَ غدًا كما تعلم فطورهم الصباحي يحتاجُ لجسم لا يئنُ.

في قرقر وعبرَ جهازِ الاتصالِ.

كم مرةً أخبرتكِ ألا تتصلي بي وأنا في العملِ؟ ها، ماذا؟ وكيفَ حصلَ ذلكَ؟! وأنتِ أينَ كنتِ؟ اللعنةُ عليَّ، وعلى أجدادي كلهم، إنَّها مصيبةٌ كبيرةٌ.

بعدَ انتهاءِ الاتصالِ تكلمَ مدمدمًا.

- تبًا لليومِ النحس الذي رأيتُكِ فيهِ، لو كنتُ أعرفُ أنَّ حياتي ستكونُ معكِ بهذا البؤسِ لقطعتُ قلبي ورميتُ بهِ في مكبِ النفاياتِ يا ويلي، كم أنا تعيس!

صديقهُ استوقفَهُ.

- ما بكَ زلعادين، هل جننتَ؟

- أتمنى لو يحصلُ وأرتاح.

- أخبرني بهدوءٍ، ما الخطبُ؟

- ابني البطل قامَ بكسرِ غصنٍ من إحدى أشجار (الغرقد)، ويبدو أنَّ شرطيًّا، قد رآه، فألقَ القبضَ عليهِ.

- هون عليكَ سنحلها، فلي صديقٌ هناكَ يمكنهُ مساعدتنا.

- أيُّ صديقٍ؟! ألا تعلم أنّا في بلدٍ يقدسُ القانونَ، وخاصة إذا تعلقَ الأمرُ بالغرقدِ.

- لكلِّ قفلٍ مفتاحٌ، لا تتعجل الشرَ قبلَ وقوعِهِ.

- بل وقعَ وانتهى الأمر.

- تعرفُ عزيزي؟ أنتَ جديسٌ غايةً في التوترِ، وكان منَ الأجدرِ بكَ العمل في مجالِ التمثيلِ، خاصة أدوار المجانين أو من يفقدون أموالهم فجأة.

ضحكةً بصوتٍ عالٍ.

مرَّ الكثيرُ منَ الوقتِ داخلَ (مركز الشرطة)، والجدالُ معَ السجالِ على أشدِهِ، ثُمَّ انتهى كلّ شيءٍ.

عندَ البوابةِ الرئيسيةِ.

- ألم أقل لكلِّ قفلٍ مفتاحٌ، ها هو ولدكَ معكَ، والأمورُ سارت وانتهت على خيرِ ما يرام.

- نسيتَ أنَّ المفتاحَ اللعين أفرغَ محفظتي؟

نظرَ إلى ابنهِ.

سوفَ أكسرُ عنقكَ إذا كسرتَ شيئًا آخرَ.

مع صيبِ الأيامُ سارت وانقضت برتابةٍ وهدوءٍ، فمن معلمٍ لآخر، ومن درسٍ إلى غيرِهِ.

مرت على زيارتهِ المتحف ثلاثة أسابيعٍ، وهو لم يفتأ يفكرُ بطريقةٍ يحققُ من خلالها غايتهُ.

بينما صيبٌ يقفُ أمامَ النافذةِ يتأملُ سماءَ الصبحِ، وينظرُ ما حولهُ وقعَ نظرَهُ على برجِ حراسةٍ عندَ السورِ الخارجي، وكانَ على الجانبِ الأيمن منهُ، نظر إليهِ كأنَّهُ يراهُ لأولِ مرةٍ في حياتِهِ، ثُمَّ لفتَ انتباهَهُ برج آخر إلى شمالِ السورِ، فدهشَ لعدمِ تركيزِهِ على مثلِ هكذا تفاصيل.

- أظنُّ أنَّ دماغي فيها عيبٌ ما، لِمَ لمْ ألحظ أنَّ السورَ منخفضٌ لدرجةٍ يمكنني اجتيازَهُ بسهولةٍ؟! لكن كيفَ الحال معَ حارسي البرجين اللعينين؟

فترةٌ من التفكيرِ العميقِ ترافقها مراقبةٌ دقيقة متفحصةٌ، ثُمَّ صرخَ.

وجدتها رغمَ استحالتها وجدتها.

طرقَ البابُ طرقًا ناعمًا.

بغضبِ المُقاطَعِ عن أمرٍ مصيري.

- ادخل يا مَن تطرقُ.

إذا بِها جديسٌ أنثى بعمرِهِ تقريبًا ترتدي لباسَ الخدمِ.

- صباحُ خيرٍ سيدي، آسفةٌ لإزعاجِكم، طعامُ الصباحِ جاهزٌ، ترغبُ في تناولِهِ في قاعةِ الطعام أم أجلبهُ هنا؟

بنبرةِ مَن يريدُ التخلصَ من شيءٍ أزعجَهُ.

- اجلبيهِ، اجلبيهِ.

ثُمَّ استوقفها قبلَ غلقها البابَ خلفها.

- انتظري لحظةً من فضلكِ، مَن أنتِ؟ لم أركِ في الكورِ من قبلُ؟

- أنا خادمتكَ (أصبهان)، ابنةُ مرجانةُ، حللتُ مكانَ أخي المريضَ خادمكم هتمس.

تأثرٌ بادٍ على عينيهِ.

- مسكينٌ، ما أصابهُ؟

- مصابٌ بالحمى الشديدةِ.

هزَّ رأسَهُ حزنًا.

- اجلبي لي طعامي من فضلِكِ.

عادَ للتفكيرِ والتفحصِ.

جميلٌ هناكَ فترةٌ منَ الزمنِ بينَ التفاتِ الغبيينِ في الاتجاهِ الالآخر وبذلكَ لن يرياني وأنا أخترقُ تلكَ الشجيراتِ، ثُمَّ عليَّ الانتظارَ حتى يعاودا حركتهما البليدة مرةً أخرى، فأقفزُ

مسرعًا، وأعاودُ الاختباءَ تحتَ الشجيراتِ خارجَ الكورِ، هذا جيدٌ، عليَّ التفكيرُ بما وراء السورِ، فهنالكَ مجموعةُ حدائقٍ خاصةٍ لا يتجولُ فيها أحدٌ.. صمتَ طويلًا ثُمَّ قالَ:

أحاولُ، فالأمرُ يستحقُ؛ أريدُ حلَّ اللغزَ اللعينَ الذي سيصيبني بالجنونِ إن لم أكشف سرَهُ.

طُرقَ البابُ، فأُدخِلَ الطعامُ، ثُم عاودَ الحديثَ معَ نفسِهِ محاولًا ترتيبَ الأفكارِ وتخيلَ سيرِ الأحداثِ كما يريدُ.

- أينَ وصلتُ؟ أي نعم، لكن هذا الطريقُ لن يكونَ ناجحًا للعودةِ يجبُ إيجادُ طريقٍ آخرٍ للدخولِ؛ اللعنةُ كلما أعثرُ على بصيصِ نورٍ يضيعُ بسرعةٍ.

بعدَ تناولِ الطعامِ، وأخذِ حمامٍ، ثُمَّ ترتيبُ الهندامِ، نادى على الخدامةِ.

- تحتَ أمرِكَ سيدي.

- أرجو منكِ إرشادي إلى حيثُ هتمس، فزيارتُهُ واجب.

صوتٌ فرحٌ.

- هذا شرفٌ ما بعدَهُ شرفٌ لنا أيُّها الموقرُ، غير أنَّ منَ الأفضلِ ألا تزرهُ، فالمكانُ لا يليقُ بكم.

- دعكِ من الترهاتِ، هيَّا رافقيني إلى أخيكِ.

بعدَ سيرٍ ليسَ طويلًا دخلَ صيبٌ كورَ الخدمِ الدائمين في الخدمةِ على عكسِ أولئكَ الذينَ يسكنونَ خارجَ الكورِ في أحياءِ المدينةِ، فهؤلاءِ لا يغادرون لأنَّهم شبهُ مملوكين؛ أما أولئكَ الذين يغادرون الكورَ بعدَ انتهاءِ أعمالهم فحالهم أفضل.

تفاجأ الموقر بما رأى، واشمأزت نفسهُ.

- كيفَ يعيشُ جديسٌ هنا؟ هذا مريعٌ، أيوجدُ مكانٌ مثلَ هذا على الكوكبِ؟! لماذا تسمحون لهم إسكانكم في هذا المكان؟ لماذا لم يبلغ أبي عن حالِكم؟!

- سيدي، هذا حالُ كلِّ الخدم المقيمين عند أسيادهم في الجمهوريةِ بأسرها.

ثُمَّ تنهدت أصبهانُ، وكان تنهدها يحملُ حزنًا عميقًا شعرَ بهِ الفتى، فألهبَ ضميرَهُ ومشاعرَهُ تجاهَ هؤلاءِ.

- لن أسكت، سأحاولُ تغييرَ المأساةِ المؤلمة هذهِ.

صوتٌ حنونٌ هادئٌ هتفَ خلفهُ.

هون عليكَ سيدي، هون عليكَ.

كانت مرجانةُ، ثُمَّ أشاحت بوجهها ناحيةَ ابنتها، وعينها تشتعلان نارًا، ولسانُ حالها يقولُ: لمَ أتيتِ بهِ إلى هنا؟

أجابتها أصبهانُ بصوتٍ مسموعٍ وببراءةٍ.

هو مَن طلبَ مني إرشادَهُ إلى مكانِ أخي.

نبرةٌ غاضبةٌ، و صوتٌ حازمٌ.

- يوجدُ مَن يستطيعُ منعي من التجوالِ في أيِّ بقعةٍ من أريضةَ؟

انحنيتا.

- هيا أرشديني أصبهانُ.

كانت زيارةُ مريضٍ بالفعلِ، وقد أحسَ الخادمُ الصغيرُ بتحسنٍ بعدها، ثُمَّ أكملَ جولتَهُ داخلَ الكورِ الحزينِ معَ دليلهِ الخادمةُ الصغيرةُ، وهي التي لا تتورعُ عن إجابتهِ عن أيِّ شيءٍ يسألُ عنهُ دونَ تزويقٍ أو خجلٍ؛ وصلا إلى نهايةِ الكورِ.

- ما هذهِ البوابة؟

- إنَّها بوابةُ الخروجِ.

- الخروج! إلى أينَ؟

سؤالٌ فيهِ شيءٌ منَ اللؤمِ.

- إلى الخارجِ طبعًا.

نظراتٌ بليدةٌ بلهاءٌ.

- أيُّ خارجٍ؟ وضحي لي.

- خارجَ الكورِ إلى الطرقاتِ حيثُ جديسٍ الآخرينَ يعيشون.

- كيفَ لا يوجدُ حراس على هذا المخرج؟

- لسنا بحاجة لحراس، فمن الغبي الذي يدخلُ كور خدمٍ؟ ما الذي سيجدُ فيهِ؟ كذلكَ مَن المجنون الذي يفكرُ في الاعتداءِ على حرمةِ خدمِ عظمتهِ؟

حذرٌ ولؤمٌ شديدين.

- طيب، هل تتواجدون طوالَ النهارِ والليل هنا حتى تأمنوا عدمَ تسللِ أيِّ عابثٍ بغضِ النظرِ عن مرادِهِ أو غايتِهِ.

نحنُ متواجدونَ طوالَ الوقتِ ما عدا فتراتٍ بسيطةٍ التي ننشغل فيها، إما بإعدادِ الطعامِ أو التحضيرِ لسهرةٍ، مع ذلكَ

فإنَّ هناكَ حرسُ الأبراجِ يرصدون عن بعد إضافة لأجهزةِ الرصدِ.

أجهزةُ رصدٍ أينَ؟

عندَ ميناءِ الكورِ.

لنفسِهِ محدثًا

- تبًا لكِ، كادَ قلبي يتوقفُ عندما قلتِ أجهزةَ رصدٍ خلتها على سوري الحبيب؛ أما ما يخصُ حراسكِ الأفذاذُ، سأثبتُ لكِ عزيزتي حمقهم وغبائهم في قادمِ الأيامِ.

بعدَ فترةِ منتصفِ النهار.

- مَن الطارقُ؟ ادخل.

- كيفَ حالُ سيدتي العظيمة؟

- أهلًا بني، زيارةٌ ميمونةٌ لأُمكَ.

- اشتقت إليكِ، فبادرتُ بالزيارةِ، فأمي الحنونُ منشغلة بما هو أهم من ابنها.

- أهناكَ مَن هو أهمُ منكَ يا حبيبي؟

- بالتأكيدِ هناكَ مَن هو أهمُ؛ القريعُ العظيمُ.

- ما هذا الكلامُ لقد أشعرتني بالخجلِ.

لحظاتُ تفكرٍ رافقتها ابتسامةٌ عريضةٌ.

- تعرف، على الرغمِ من حتميةِ زواجهِ بي إلا أني أحببتهُ منذُ الصغرِ، فهو جديسٌ رائعٌ، لكنَّ هذا لا يؤثرُ على مكانكَ في قلبي، كلٌّ منكما لَهُ ركنهُ الخاص داخلَ قلبي.

حضنٌ قوي دافئ.

ما أرحبَ قلبكِ، وما أحنكِ يا غاليةُ.

محاولةٌ لاستغلالِ الموقفِ.

- أودُ إخبارِكِ بأمرٍ شاهدتُهُ اليومَ في كورِ الخدمِ.

غابت شمسُ الحنانِ، وتلبدت سماءُ الأمِ بالغيومِ، وأرعدت عيناها بالزوابعِ.

- مَن سمحَ لكَ بالذهابِ هناكَ؟ أخبرني، وسيكونُ عقابهُ شديدًا.

- لم يسمح لي أحدٌ؛ كنتُ أتجولُ، فساقتني قدماي إلى هناكَ.

- أتقولُ الصدقَ بني أم إنَّكَ تراوغ؟

- قسمًا، أنا ذهبتُ.

نظرت إلى عينيهِ لتجدهما صادقتين، فهدئ روعها قليلًا، ثُمَّ خاضت معَهُ جدالًا وسجالًا تبررُ من خلالِهِ الأسبابَ التي جعلت أولئكَ يعيشون هكذا، ومع كلِّ التبريراتِ التي سيقت لم يقتنع إلا أنَّهُ ادعى عكسَ ذلكَ في نهايةِ المطافِ.

وحيدًا على السريرِ يحدثُ نفسهُ مبتسمًا.

- أظنّني وجدتُ طريقَ العودةِ

ثُمّ ضحكَ، واستسلمَ لنومٍ عميقٍ.

ذهابٌ وإيابٌ، ثُمَّ إيابٌ وذهابٌ؛ الخطى ازدادت اضطرابًا؛ أخيرًا فُتِحَ البابُ.

- تفضل هو في انتظاركَ.

- صباحُ الخيرِ حاكمنا المبجلُ، أرجو أن تكونَ بوافرِ الصحةِ والسعادةِ.

صمتٌ، ثُمَّ صوتٌ أجشٌ هادئ.

- كيفَ هي الراحة، ومَن يعملون معي مجموعةٌ منَ الأغبياءِ، ها؟

ارتفعت حدةُ الصوتِ قليلًا.

- أخبرني من أينَ تأتي الراحةُ المزعومةُ تلكَ؟

صوتٌ مرتعشٌ.

- ما الخطبُ أيُّها المبجلُ؟

- التأخيرُ الحاصلُ في تجهيزِ الأسطولِ، طلبتُ أن يكونَ جاهزًا منذُ يومين، وأنتم حتى اللحظةِ لم تخبروني بأنَّ أمري نفذَ.

- إنّا لا ننامُ، ونعملُ بكلِّ جدٍ وكدٍ لتجهيزِ طلبكم حضرتكم، لكن هناكَ بعضُ المعوقاتِ البسيطة التي تقفُ في طريقِ إتمامنا المهمة في الوقتِ المطلوبِ، مع ذلكَ سوفَ نكونُ جاهزين خلالَ أسبوعٍ؛ كلُّ ما تتمنونهُ أوامرٌ حاكمنا المبجل.

انحنى خاضعًا.

ثورةٌ كلاميةٌ بلهجةٍ عصبيةٍ وعينان منزعجتان مع حركاتٍ باليدِ هستيريةٍ.

إنَّكم مجموعةُ بهائمٍ، أهذا جوابٌ تجيبُ بهِ قمبيز على أمرٍ أنفذَهُ؟! ماذا أقولُ للعدو إذا ما باغتنا فجأة؟ أرجوهُ الانتظارَ عندَ الحدودِ ريثما يصحى وزيري المحبوبُ من نومِهِ؛ لا

تفقهون بشيءٍ سوى الحومِ حول موائدِ الطعام والشربِ حتى الثمالةِ.

صرخةٌ مدويةٌ

هيا اغرب عني، ولا ترني سحنتكَ البهية إلا بعدَ إنجازكَ كاملَ العملِ.

ابتسمَ ابتسامةً بليدةً، ثُمَّ خرجَ مطأطأً رأسَهُ محدثًا نفسَهُ:

لأسرعَ في خطاي قبلَ أن يغيرَ رأيَّهُ، ويقررَ قتلي.

قمبيز يصرخُ منزعجًا.

أيُّها السكرتير، ادخل الآخرَ بسرعةٍ.

بينما الأستاذُ الجديدُ يشرحُ لصيبٍ بعضَ المعادلاتِ كان التلميذُ يغطُ في عالمٍ آخر، ورغمَ ملاحظة الأستاذِ ذلكَ إلا أنَّهُ آثرَ المضي في درسِهِ، وما زادَ حيرتهُ هو إجابة التلميذُ عن معظمِ الأسئلةِ التي يطرحها.

عليَّ الإسراعُ في التفكيرِ بحجةٍ تبررُ غيابي عندما أقومُ بمغامرتي، لكنَّ عقلي لا يسعفني؛ أينَ أجدُ الحجةَ؟ أينَ أجدها؟

وقتُ الدرسِ يمضي والموقرُ مستمرٌ في تفكيرِهِ العميقِ.

- ها هي إنَّها هي، لحظة لحظة؛ بلى بلى، وكيفَ لا؟ هي لا مناصَ من استخدامها؛ إذًا قربَ اليومُ الموعودُ.

الحاجبُ.

عظمتكم، رسولُ حاكمِ (سبسب)، يطلبُ الإذنَ بالمثولِ بينَ يدي عظمتكم.

كم مرةً أمرتُكَ بتركِ هذهِ المصطلحاتِ، إنَّها تشعرني بالغثيان، تريد دفعي لفصلِ رأسكَ الهَراءُ عن جسمكَ الصدئ حتى تفهم؟

في سره:

لا يا عزيزي لا، ولِمَ الفصلُ؟ اترك الرأسَ مكانَهُ، والحقُّ كلُّ الحقِّ عليَّ.

شدادٌ ببهجةٍ وفرحٍ بعدَ نهوضِهِ من خلفِ مكتبِهِ.

يا مرحبًا، يا مرحبًا، أهلًا برسولِ صديقي الوفي (إعصار)، تفضل اجلس وأخبرني كيفَ حالُ حاكمكم وأراضيكم؟

بعدَ عدةِ أيامِ.

صيبٌ صباحًا.

حيهلا بيومِ العطلةِ، حيهلا باليومِ الموعودِ.

ضغطَ على الجرسِ.

إليَّ بالطعامِ.

صادفت في ذلكَ اليومِ حركةٌ كبيرةٌ، وانشغالٌ من قبلِ الجميعِ، فشدادٌ لديهِ اجتماع بأعيانِ وخاصةِ الجمهورية.

الجميعُ بينَ صاعدٍ ونازلٍ، ذاهب وقادم؛ يكادُ لا يرى أحدهم الآخر عندَ مرورهِ من أمامِهِ.

- ما الأمرُ؟

- يقالُ أنَّ هناكَ اجتماعًا مهمًا سوفَ يعقدُ مساءً.

ابتسامةٌ عريضةٌ، ثُمَّ قالَ في سرِهِ:

هذا يومُ حظي ومع ذلكَ عليَّ الانتباه، فبالتأكيدِ الحراسُ سيكونونَ أكثرَ حيطة ويقظة.

انسلَ، وبدأ يلعبُ دورَ المتسللِ الخفي.

لم يعترضهُ أحدٌ حتى وصولهِ الباحةَ الخلفيةَ.

كانت عبارةً عن حديقةٍ جميلةٍ فيها مجموعةٌ كبيرة من الشجيراتِ التي تفوقهُ طولًا بشيءٍ قليل.

- يا للهولِ! أعضائي كلّها ترتجفُ، والعرقُ يتصببُ مني، ماذا دهاني؟! إذا كانت هذهِ البدايةُ، فكيفَ النهاية؟ منَ الأفضلِ العودة أدراجي.

فجأة ظهرَ من جانبِ الكورِ الأيسر اثنان يسيران على عجلٍ؛ كانت هيئتهما تدلُ على أنَّهما حارسان، ثُمَّ توقفَ كلٌّ منهما أمامَ مدخلِ برجٍ، وبحركاتٍ منتظمةٍ بدأت عمليةُ تبديلِ نوبةِ الحراسة.

دونَ تضييعٍ للفرصةِ انطلقَ صيبٌ كالسهمِ بينَ الشجيراتِ يسابقُ الزمنَ حتى وصلَ إلى السورِ.

القلبُ يخفقُ بعنفٍ.

لم يضيع الكثيرَ منَ الوقتِ عندما رأى عدمَ استقرارِ الحراس في أماكنِهم بعدُ؛ وثبَ بخفةٍ عابرًا السورَ.

أنفاسٌ لاهثةٌ.

عليَّ الانتظارُ هنا بعضَ الوقتِ ريثما آخذُ أنفاسي، ثُمَّ أستكشفُ المكانَ جيدًا؛ منَ الأفضلِ الاحتراس أصبحتُ تحتَ

الرصدِ، شكرًا لكِ أيَّتها الأقدارُ عندما سقتِ ليَّ هذهِ الشجيراتِ المتراصةِ؛ المرحلةُ الثانيةُ هي الانطلاقُ نحوَّ مجموعة أشجار (السيكويا العملاقة)، بعدها أصبحُ في أمانٍ.

هجرُ توجهُ خادماتها.

أريد المكان لامعًا؛ اجلبوا مقاعدَ إضافية هنا، وأيضًا هناكَ ليتسعَ المكان لزوجاتِ الضيوفِ.

صيبٌ يتقدمُ.

اللعنةُ الأشجارُ العملاقةُ تحملُ أجهزةَ مراقبة، سيكشفُ أمري إن تقدمتُ خطوةً واحدةً بعدُ، عليَّ العودة ناحيةَ السورِ؛ أوه كشفَ أمري أو كادَ.

حارسُ البرجِ الأيمن عبرَ جهاز الإرسالِ يحدثُ زميلهُ في البرجِ الآخر.

- هناكَ حركةٌ غريبةٌ.

- لا عليكَ إنَّها تخيلات بسببِ تأخرِ المرتب.

- أظنُّ ذلكَ، لكنَّ الحذرَ واجبٌ.

- إني ألاحظُ كلَّ شيءٍ، هنا الكثيرُ منَ المخلوقاتِ الصغيرةِ التي تفعلُ فعالها بينَ الحينِ والآخر، أنتَ لا زلتَ جديدًا في الخدمةِ.

متحيرٌ في أمرِهِ.

ماذا سأفعل؟ إن أُكتشفَ أمري سوفَ يعاقبني أبي أشدَ العقوبةِ.

في حجرةِ صيبٍ أصبهانُ ترتبُ ملابسَ الموقرِ وسريرِهِ، وهي تغني بصوتٍ عذبٍ.

فكر فكر، جد حلًا يا غبي، يا مَن يوقعُ نفسهُ في المآزقِ والمتاعبِ.

لحظاتُ عصرِ أفكارٍ مضطربة.

نعم، لا حلَ إلا هو.

بدأَ بالتحركِ حبوًا بجانبِ السورِ متجهًا إلى الطريقِ الرئيسي.

كلما اتجهَ الحارسُ عكسَ وجهتِهِ تحركَ، وإذا عاودَ النظرَ تسمرَ مكانَهُ؛ بعدَ قطعهِ مسافةً لا بأسَ بها.

الحارسُ ينادي زميلهُ.

- متأكدٌ أنَّ حركةً مريبةً في الجهةِ الأخرى من السورِ.

- طيب، سوفَ أتصلُ بالمركزِ ليبعثوا من يتفقدُ المكان.

صوتٌ لاهثٌ متعبٌ.

- أينَ أضعُ هذا سيدتي؟

- ضعيهِ هناكَ قربَ تلكَ المقاعد.

محدثًا نفسَهُ.

جيد، اقتربتُ منَ الطريقِ، سأزيدُ من سرعتي قدرَ الإمكانِ.

خطواتٌ بالأقدامِ والأيدي تتبعها خطوات.

- وصلتُ إلى آخرِ السورِ، الآن عليَّ اجتيازُ الطريقِ الرئيسي، ثُمَّ أصيرُ في مأمنٍ.

رفعَ بصرَهُ متفقدًا ما أمامَهُ.

- هذا ما اعتقدتُ، أضحيتُ أمامَ المكتبةِ، سأتحاشى المرورَ بها.

الفتى مشغولٌ بالتخطيطِ للخطوةِ القادمة في مغامرتِهِ، ولم يلحظ الحالةَ المزريةَ التي وصلَ إليها من ملابسٍ متسخةٍ ويدين مع وجهٍ جميل اعتلتهما الأوساخ.

بعدَ اجتيازِ المكتبةِ، ثُمَّ السوقِ الخاصِ لاحظَ ما وصلَ إليهِ، فحاولَ ترتيبَ ما أمكنهُ ترتيبهُ، وازالةُ بعضًا ممّا اعتلاه مستعينًا بمصدرِ مياهٍ اعترضَ طريقَهُ، ثُمَّ أخيرًا وصلَ إلى المتحفِ، فبدأت رحلتهُ الحقيقية بخطى واثقة نحوَ ضالتهِ المنشودةِ.

وقفَ متلألئَ العينينِ مبتسمًا، كأنَّهُ يقفُ أمامَ بوابةٍ أسطوريةٍ لإحدى الإمبراطوريات السحريةِ التي حدثَهُ عنها أستاذُهُ.

أخيرًا سوفَ أدخلُ هذا العالمَ الذي حاولَ الجميعُ تضليلي عنهُ، الآن لن يقفَ أمامي شيءٌ، سأكتشفُ كلَّ ما أريدُ.

بدأت الأقدامُ الملهوفةُ بتنفيذِ أوامرِ مالكها ونقلِ الجسم، وما عليهِ إلى الداخلِ.

أووه، ما كلُّ هؤلاءِ الجديسِ؟! أعدادهم لا تحصى.

تلفت يمينًا وشملًا محاولًا احتواء كلِّ شيءٍ، ثُمَّ سمعَ صرخةً عاليةً بالقربِ منهُ تبعها صوتُ صريرٍ.

أنتَ أيُّها المعتوهُ تنحى عن طريقي، أبله.

كانَ جديسٌ مفتولَ العضلاتِ يركبُ مركبةً كتلكَ التي شاهدها في الابريسميةِ يجرها نهازٌ عجوزٌ أنهكتهُ الأيامُ التي قضاها في نقلِ البضائعِ.

لبى الفتى أمرَ الصارخِ بسرعةٍ؛ قفزَ مبتعدًا، وما لبثت قدماهُ أن تطأَ الأرضَ حتى صرخَ آخر.

انتبه لقدميكَ، ابتعد عن بضاعتي أتلفتها.

كانَ بائعٌ يفترشُ الأرضَ معلنًا عن خضرواتٍ ذبلَ معظمها.

ذلكَ البائعُ بثيابهِ الرثة، ومنظرهُ الذي أظهرهُ كجزءٍ من المكانِ الذي افترشه، وليُرى على الناظرِ امتلاكُ بصرٍ ثاقبٍ.

اخترقَ صيبٌ الحشودَ التي كانت بينَ متسوقٍ ومتسولٍ، بائعٍ ومشتري أو عابرِ سبيلٍ.

جميعهم يشتركون بصفةٍ واحدةٍ، إنَّهم من بسطاءِ الشعبِ (فقراءه).

الفتى لاحظَ ذلكَ بوضوحٍ، وعرفَ منذُ الوهلةِ الأولى سببَ منعهِ من ارتيادِ هذا المكانِ أو حتى السؤالِ عنهُ.

ما أقدمَ هذهِ البنايات! كيفَ يستطيعون العيشَ فيها؟ ألا يخافون أن تنهارَ عليهم بأيِّ لحظةٍ؟ وكيفَ يبتاعون هذهِ البضائعِ؟ إنَّها شبهُ فاسدةٍ -يا للهول- مساكينٌ هؤلاءِ، بالتأكيدِ أبي لا يعرفُ عن أمرِهم شيئًا، وإلا كانَ قد وجدَ لهم حلًا، سوفَ أخبرُهُ، متأكدٌ أنَّهُ سيفعلُ الكثيرَ.

فجأة شيءٌ يجرُ سروالَهُ.

- ما هذا؟! مَن أنتَ؟! لِمَ تُمسكُ ملابسي بهذهِ الطريقة؟!

صوتٌ مرتعشٌ مذلولٌ، وعينان ذابلتان.

- سيدي أرجوكَ لم أذق طعامًا منذُ الأمسِ أتوسلكَ أعطني، وجد عليَّ.

بحثَ، فلم يجد ما يجودُ بهِ، دمعت عيناهُ، ثُمَّ انحنى على ذلكَ الجسم الذي فقدَ عددًا من أعضائِهِ، فلا ساقين وإحدى اليدين مقطوعة؛ رسمَ قبلةً على جبينهِ.

- اعذرني لا مالَ عندي الآن، في المرةِ القادمةِ سوفَ آتي لكَ بشيءٍ منهُ.

صرخَ بوجههِ ذلكَ المتسولُ الصغيرُ.

- تباً لكَ ولمالكَ حتى أنا لا أنجو منكم! أترى فيَّ شيئًا يدفعكَ لما ترومهُ؟! اغرب عني.

ابتعدَ الفتى مسرعًا، وعلاماتُ الدهشةِ تملأُ وجههُ، وتسيطرُ على نظراتِهِ.

ما كلُّ تلكَ المياه الآسنةِ التي تجري في الطرقاتِ؟ على ما يبدو أنَّها طريقتهم لتصريفها.

قالَ تلكَ الكلماتِ، وهو يتتبعُ حركةَ المياهِ المنطلقةِ منَ المحالِ والأكوارِ، فوصلَ بعدَ طولِ عناءٍ إلى نهايتها عندَ حفرةٍ كبيرةٍ تبتلعُ كلَّ ما يسقطُ فيها، وتحيطُ بها أكداسُ النفاياتِ نتنة الرائحةِ، ثُمَّ لفت انتباهَهُ شيءٌ.

- يا أمي، الخيطل سوفَ يعضني عليَّ الهرب.

تسحبَ مثلَ اللصِ، ثُمَّ انطلقَ عائدًا إلى أعماقِ السوقِ؛ لم يعلم أنَّ حالَ ذلكَ الكائن لا يختلفُ عن بقيةِ المتواجدين في السوقِ، لا وقتَ لديهِ للجري والعضِ أو حتى الزمجرةِ، فهو مشغولٌ بالبحثِ عن لقمةٍ يسدُ بها جوعَهُ قبلَ قدومِ آخرينَ يزاحمونهُ على الطعامِ.

تجولَ وتجولَ، ثُمَّ وصلَ بالقربِ من ربوةٍ استقرت عليها مجموعةٌ منَ الكيرانِ المنهكةِ، وطرقٌ ضيقةٌ تتوسطها سواقِ المياهِ القذرةِ، فقررَ أخذَ جولةً سريعةً، ثُمَّ العودةُ إلى الكورِ، فالنهارُ قاربَ على الانتصافِ.

في إحدى الطرقاتِ الضيقةِ ثلاثةُ شبانٍ.

الأول: انظر للجميلةِ التي هلت علينا.

الثاني: أيُّ جميلةٍ لا أراها يبدو أنَّ أنانكي أصابتكَ بالهذيانِ.

الثالث: أيُّها الأبلهُ تلكَ ألا تراها؟ ثُم ضحكَ.

الأول: كم مرةً قلتُ لكَ لا تكثر من حشو بطنكَ الكبيرِ، ستفقدُ عقلكَ مع كبرِ كرشكَ.

أمسكَ برقبتهِ، وقربَ فمهُ من ذقنِ صاحبهِ.

- ذاكَ الفتى، ألا تراهُ؟ إنَّهُ فتاتنا.

ضحكَ الثاني بصوتٍ عالٍ مرعبٍ.

- نعم، فهمتُ.

خطواتٌ مستعجلةٌ، والرأسُ يدورُ في جميعِ الاتجاهاتِ يستكشفُ ما حولَهُ مرَّ من أمامِ الثلاثةِ، فألقى التحيةَ باحترامٍ.

الأول مع الثالث بصوتٍ واحدٍ.

أهلًا، يا جميلة.

تبعهم الثاني بصوتِهِ الدالِ على بلاهتِهِ.

أهلًا أهلًا، يا حلوةُ.

أوقفَ صيبٌ تقدمَهُ، وإياهم تحدثَ بلطفٍ في محاولةٍ لإزالةِ الالتباسِ الذي يعتقدُهُ.

أنا فتى، ولستُ فتاةً.

ثُمَّ ابتسمَ وحاولَ مواصلةَ طريقِهِ.

قبلَ أن يتكلمَ الأولُ بكلماتٍ قد جهزها لاستمالةِ صيبٍ وإقناعِهِ بمرافقتِهِم ليأخذوا منهُ غايتهم، صرخَ الثاني.

- نعلمُ أنَّكَ فتى، لكنَّنا نريدُكَ فتاةً لفترةٍ قصيرةٍ، ثُمَّ بعدها يمكنكَ أن تكونَ ما تشاءُ.

مع آخرِ كلمةٍ خرجت من فمهِ أتتهُ صفعةٌ قويةٌ منَ الثالثِ، فصمتَ ولم يأتِ بأيّ رد فعلٍ.

تحركَ الأولُ والثالثُ ناحيةَ الفتى بعدَ تأكدِهما من خلوِ الطريقِ، صرخَ الثاني مرةً أخرى.

- الشرطةُ.. الشرطةُ، اهربوا.

قبلَ التفاتِهما إلى صاحبهما ليخرساهُ ضربًا كانَ منَ المكانِ قد تبخرَ، فتبخرا هما أيضًا منَ المكانِ هاربين.

واصلَ الموقرُ سيرَهُ، وبعضُ الخوفِ قد سرى داخلَ نفسِهِ، قررَ العودةَ من حيثُ أتى.

قبلَ التفافهِ عائدًا سمعَ كلماتٍ تصدرُ من صوتٍ نحيلٍ يهتفُ، حاولَ التركيزَ وتمييزَ الكلامِ، فلم تسعفهُ حاسةُ سمعهِ المرهفةُ؛ قررَ التقدمَ للبحثِ عنِ المصدرِ.

- بجل، ها أنا أقتربُ بدأتُ أميزُ الكلماتِ، معناها غريبٌ جدًا، لكنَّها تناديني، لا أستطيعُ منعَ قدماي منَ التقدمِ.

أخيرًا مصدرُ الصوتِ وصاحبهِ.

ما هذا؟ جديسٌ متقدمٌ بالسنِ أعمى! مَن أولئكَ الفتيةُ الذينَ يسيرونَ خلفَهُ يقومون بحركاتٍ غريبةٍ، على ما يبدو هم

يحاولون إغاظتهُ؛ ما الفائدةُ من فعلهم لذلكَ؟ المسكينُ أعمى.

قالَ تلكَ الكلماتِ، وهو يواصلُ التقدمَ.

لأركزَ على ما يقولُ؟

(نسوا إتباعَ تعاليمِ واجدهم الواحد، فأنساهُم هو أنفسهم، حتى غاصوا بغيهم، فويلهم ممّا ينتظرهم).

الشيخُ يطلقُ الكلماتِ عندما يتوقفُ عنِ المشيّ، ويلتفتُ خلفَهُ، ثُمَّ يعاودُ إدارةَ ظهرهِ لمن يتابعهُ ويتحركُ قليلًا ليقفَ، ويعيدُ ما فعلَهُ.

دونَ مقدماتٍ صرخَ الشيخُ.

لِمَ كلٌّ تلكَ الحركاتِ والإشاراتِ، أتضحكونَ من جديسٍ ضريرٍ؟! اضحكوا اضحكوا، فستبكون كثيرًا، وتندبون الحظوظَ، وتلطمون المحاجرَ والخدودَ.

زمجرَ عليهم، ثُمَّ رفعَ عصاهَ، وطاردهم ممّا جعلَهم ينقلبون مسرورين فرحين لتحقيقِ غايتهم.

استمرَ الفتى يراقبُ العجوزَ المترنحَ في الطريقِ.

بعدَ مسافةٍ ليست بالبعيدةِ هوى جالسًا في زاويةِ أحدِ الكيران، ثُمَّ سجى عصاهُ بجوارهِ، وأخذَ يحركُ رأسَهُ حركاتٍ اهتزازيةٍ.

كانَ بعضُ المارةِ يحسنون إليهِ بشيءٍ من طعامٍ أو سلامٍ، وقليل من لطيفِ كلام، وآخرون يمرونَ مرورَ الريحِ الهادئةِ دونَ سلامٍ ولا كلام.

الفتى اتخذَ قرارهُ بالمرورِ من أمامِ الأعمى بسلامٍ دونَ كلامٍ.

خطواتٌ ناعسةٌ صامتةٌ؛ أرادَ أن يكونَ غمامةَ صيفٍ عابرةٍ.

بصوتٍ متعبٍ ويدٍ مرتجفةٍ تتحسسُ العصا.

انتظر لحظةً.

تلفتَ صيبٌ حولَهُ، لم يجد إلا نفسهُ، لكنَّهُ آثرَ التقدمَ مبتعدًا.

لا تتركني وتذهب، انتظر أشمُ فيكَ رائحةَ "الملوك" والخاصة، هلمَ ادنُ مني.

لم تطاوعُهُ قدماهُ ليجري هاربًا، كانت الكلماتُ بمثابةِ سحرٍ، تقدم وتقدم حتى صارَ أمامَ الشيخِ، ثُمَّ قامَ الأخيرُ بسحبهِ من ملابسِهِ إياهُ مجلسًا أمامَهُ، لم يطلق صيبٌ كلمةً واحدةً كانَ بمثابةِ آلة مسيرة.

جيرِ، هذهِ رائحةُ ال... أنتَ من نسلهم، لا أريدُ منكَ جوابًا.

همهم بكلماتٍ غيرِ مفهومةٍ، ثُمَّ أكملَ قائلًا:

على الرغمِ من كونكَ منهم إلا أنَّ قلبكَ الصغيرُ ما يزالُ فيهِ الكثيرَ منَ الطيبةِ والطهرِ، لم يحولوهُ لحجرِ بعدُ، أرجو أن تحافظَ عليهِ حتى آخرِ لحظةٍ.

أشاحَ بوجههِ المتعب المجعد عن الفتى، وعادَ ليطلقَ كلماتهِ المعتادةِ.

قاطعهُ صيبٌ.

يا عمُ، الشجرةُ هي التي ماتت بعدَ طرحها ثمارها، ولم ينسها أحدُ.

ضحكَ العجوزُ بصوتٍ مرتفعٍ.

الموقرُ:

- مَن أنتَ يا عمُ؟

- أنا هو أنا، أنا يسموننني العرافُ الأعمى، وأمي سمتني (الحَكم)، أجوبُ الشوارعَ، واقتاتُ على ما تأكلُ المخلوقاتِ

المتشردةِ، يعتبرني الكثيرُ فاقدُ عقلٍ وغيرهم يعتبروني روحاني، ليسَ المهمُ مَن أنا؟ المهمُ مَن أنتَ؟

تلقائيةُ الصغارِ:

- أنا أعرفُ مَن أنا، فأنا صيبٌ بنُ شدادٍ.

- اعرفْ جديسَ الذي في داخلكَ وتحسسهُ جيدًا، تمسك بهِ لا تضعهُ أبدًا إن وجدتهُ وعرفتَ حقيقتَهُ.

أرادَ الفتى الكلامَ، لكنَّ العرافَ رفعَ يدَهُ بوجههِ مشيرًا لَهُ بعدمِ المقاطعةِ.

- انظر في صدركَ، اسألهُ سوفَ تحصلُ على إجاباتها؛ الصبرُ مفتاحُ الفرجِ، اصبر على عمكَ الأعمى الخرف.

سكتَ يهزُ رأسَهُ، ثُمَّ أكملَ.

تريدُ معرفةَ سببِ منعكَ منَ السوقِ، وأظنكَ عرفتَهُ، لا يريدونَ لكَ معرفةَ حقيقةَ الوحوشِ التي حولوا أنفسهم لها.

سكوتٌ آخر مع همهمةٍ.

تريدُ معرفةَ سرِ قزح، وهذا أمرٌ يطولُ شرحهُ إلا إني أقولُ لكُ: إنَّهُ كان فتًى طيبًا مثلكَ غيرَ أنَّهُ استسلمَ لهم، فحولوهُ

إلى وحشٍ ذي قلبٍ من حجرٍ، فسلمَ نفسَهُ في النهايةِ لـ(حزران اللعين)، الذي أغواهُ وجعلهُ فاجرًا كفارًا.

أمسكَ عصاهُ، ثُمَّ ضربها بالأرضِ بقوةٍ.

سيظهرُ (قريبًا بعيدًا)، يمتطي مطيتهُ ذاتَ الصوتِ المميتِ.

سكوتٌ طويلٌ، صمتَ لَهُ كلُّ ما حولَ المكانِ، ثُمَّ قالَ متحسرًا.

- إيهٍ يا مسكين، ما أُخبرتَ بهِ عن كرقزحَ نصفهُ حقيقة والآخرُ هراءٌ، فأعمل عقلكَ.

نهضَ الشيخُ متوكئًا على عصاهُ؛ استوقفهُ الفتى.

- يا عمُ الحكمُ، انتظر من فضلكَ أريدُ طرحَ أسئلةٍ بعدُ.

- دع المستقبلَ لأهلِهِ، إن كنتَ منهم سوفَ تعرفُ ما تريدُ، فقط أقولُ لكَ: احذر من شرٍ قد اقتربَ.

كررَ كلماتَهُ الأخيرة ثلاثًا.

صيبٌ:

سوفَ أبحثُ عنكَ في المرةِ القادمةِ لتروي ليَّ المزيدَ ممّا تعرفُ.

رفعَ الأعمى يدَهُ موماً.

أحسَ صيبٌ في طريقِ العودةِ بارتياحٍ كبيرٍ وغيرَ الكثير من قراراتِهِ بشأنِ الإخبارِ والاطلاعِ.

- جيد، لم يلاحظني أحدٌ وأنا أدخلُ، الجميعُ مشغولٌ، هذا من حسنِ حظي، لكنّي وددتُ تجربةَ حجةِ الغيابِ تنفع أم لا؟

طرقٌ خفيفٌ على البابِ.

- مَن؟

- أصبهانُ.

- ادخلي.

- عفوًا سيدي لقد شاهدتُ حالتَكَ المزريةَ، فخفتُ أنَّ مكروهًا أصابكَ، فجئتُ استعلمُ إن كنتَ تريدُ أيَّ خدمةٍ.

- ما كلُّ هذا يا فتاة؟ لم أعهدكِ ثرثارةً، إني على خيرِ ما يرام.

قبلَ مغادرتها مخذولةً استوقفها.

- انتظري رجاءً أريدُ منكِ أخذَ ملابسي المتسخة، والتي أصابها بعضُ التلفِ، ثُمَّ تتلفيها، لا أريدُ أيَّ أحدٍ يعرفُ بأمرِها.

سكتَ للحظاتٍ، ثُمَّ ابتسمَ وهو ينظرُ إلى الخادمةِ.

- لا أعرفُ ما الذي يدفعني لإخبارِكِ، تعالي أقصُ عليكِ مغامرتي.

مرَّ الكثيرُ منَ الوقتِ.

طَرقٌ على البابِ، فدخولٌ، فانحناءٌ، ثُمَّ كلام.

- المعذرةُ سيدتي أم الطائفةِ والعظيمُ يطلبان حضوركَ للاجتماعِ، ثُمَّ صمتت مرجانةُ وهي ترمقُ ابنتها بنظراتِ انزعاجٍ بعدما وجدتها تجلسُ معَ الفتى على سريرِهِ.

- قادمٌ في إثرِكِ.

على سريرِهِ ليلًا يستذكرُ ما حدثَ بتأملٍ.

تبًا، فرقٌ شاسعٌ بينَ الاثنينِ، كنتُ أولَ النهارِ أعيشُ الواقعَ عندَ الحقيقةِ، وقبلَ قليلٍ نفاقٌ في نفاقٍ ووجوهٌ تختبئ ورائها الوجوهُ.

مرةِ الأيامُ والفتى ينتظرُ يومَ العطلةِ بفارغِ الصبرِ، وهو يخططُ لقضائِهِ بينَ أحضانِ محبوبهِ الجديدِ.

الحاجب:

- سيدي وزيركم (حستم)، يطلبُ الإذنَ.

- ما خطبكَ؟

- عظمتكم وردتنا أنباءٌ مؤكدٌ عن قيامِ قمبيز يعاونهُ حصرو بتجهيزِ جيشٍ جرارٍ يتحشدُ الآنَ على الشواطئِ الشرقيةِ لجزيرةِ قرقر، وشكوكنا تقولُ: إنَّ الجيشَ أُعدَ لمهاجمتنا.

بعدَ تفكيرٍ عميقٍ.

- إذن سيقعُ المحظور، يبدو أنَّ كلامَكَ سيتحققُ رغمَ مضي كلِّ تلكَ السنواتِ الطويلةِ، عزيزي الأعمى.

حستم مقاطعًا الرحلةَ إلى الماضي.

- سيدي ما هي أوامركم؟

- حسنًا دعني الآنَ، وسأرى ما يمكننا فعلهُ.

في مساءِ اليوم نفسهُ.

- مساءُ خيرٍ حبيبي، كيفَ تقضي أيامكَ؟

- مساءُ فرحٍ وسعادةٍ على عيني سيدتي الكريمة، أيامي تزهو بخيرٍ في ظلِ رعايتكم وعطفكم.

ضحكةُ فرحة.

- لقد أحسنَ أساتذتكَ تعليمكَ، فها أنتَ تتحدثُ بحصافةِ الموقرِ وكياسةِ القريعِ، باركتكَ نانا يا حبيبي الغالي، أعطني قبلةٌ من هذهِ الرقبةِ الجميلة.

حديثٌ هادئٌ وسلسٌ، في نهايتِهِ.

- أنسيتني لِمَ قدمتُ إليكَ أصلًا -لحظاتُ اعتصارٍ للذاكرةِ- أجل تذكرتُ، أريدُكَ بأمرٍ هامٍ.

- طوعُ أمرِكِ أمي.

- غدًا عليكَ تجهيزُ نفسكَ لحفلٍ مهمٍ.

قبلَ السؤالِ استدركت قائلةً:

- هو حفلٌ مسائي جميلٍ وهادئ، معظمُ المدعوين إليهِ منَ الفتياتِ الجميلاتِ من خاصةِ المجتمعِ، وبطلُ الحفلِ أنتَ؛ لا تندهش، ففي هذا الحفلِ عليكَ اختيارُ إحدى إناثِ الجديسِ لتكونَ شريكةَ حياتِكِ المستقبليةُ بعدَ سنواتٍ، وعليكَ أن تعلمَ إنَّ هناكَ التزاماتٌ ستترتبُ بعدَ اختيارِكِ.

حاولَ التكلمَ مقاطعًا وراغبًا في إبداءِ اعتراضهِ على الموضوعِ جملةً وتفصيلًا، لكنَّها لم تسمح لَهُ.

دعني أنهي ما بدأتُ، ثُمَّ عقب بما شئتَ؛ ما يترتبُ عليكَ هو عدمُ الاحتكاكِ بعمقٍ معَ الإناثِ الأخرياتِ، وما يترتبُ على مختارتِكَ وعائلتِها وضعها في غرفةٍ أعلى كورهم، ولا يراها بعدَ ذلكَ اليومِ سوى اثنين حتى يأتيَّ يوم اقترانِكَ بها؛ الآنَ إذا كانَ عندَكَ تعقيبٌ أو سؤالٌ، فتفضل.

قبلَ إدلائِهِ بدلوهِ في الموضوعِ عادت لتقاطعهُ.

اسمح لي إضافةَ معلومةٍ أخيرةٍ كدتُ أنساها؛ هذا التقليدُ عندَ عائلاتِ الخاصةِ من الشعبِ الجديسي.

حاولَ صيبٌ إبداءَ اعتراضِهِ على الفكرةِ بكلِّ جوانبها دونَ جدوى، فالتقاليدُ هي التقاليدُ.

أذعنَ في نهايةِ المعركةِ الكلاميةِ الباردة التي قادها.

صباحُ اليومِ التالي.

جئتُكَ بما طلبتَ، انظر الرداء رث، وبقيةُ الملابسِ شبهُ مهترئَةٍ.

شكرًا لكِ.

معذرةً، أليسَ منَ الأفضلِ ارتدائها بالقربِ منَ المخرجِ، أعرفُ مكانًا يمكنكَ القيامَ فيهِ بذلكَ.

نظرةٌ معَ ابتسامةٍ.

- أحسنتِ.

خطةُ الخروجِ هذهِ المرة بمساعدةِ أصبهانُ عن طريقِ ممرٍ الدخولِ نفسهِ.

عندَ البابِ.

كن حذرًا وارجع إلينا سالمًا، لا تنسَ موعدَ المساءِ.

إلى لقاءٍ قريبٍ.

الخطواتُ متسارعةٌ، والقلبُ يخفقُ مشتاقٌ.

أولُ مَن سأزورُ هذهِ المرة العرافُ لا لا، بل سوفَ أُعطي هذهِ القطعِ النقديةِ للمتسول المسكين، عليَّ الإسراعُ، وسلوكُ أقصرَ الطرقِ.

.....

الفصل السابع

-همتون المقدسة-

في الكورِ.

أصبهانُ خذي هذهِ الملابسَ الجديدةَ، وضعيها في حجرةِ سيدكِ صيب.

على الرغمِ من أنَّ الموقرَ بطلُ حدثِ المساءِ إلا أنَّ أحدًا لم يفتقدهُ.

في الطريقِ إلى السوقِ.

- آها، الطريقُ الذي يقودُ إلى السوقِ عبرَ بعضِ الأزقةِ على ما أظنُّ ذلكَ، فقد تتبعتهُ في المرةِ الماضيةِ، سأجربهُ.

دخلَ الأزقةَ متصفحًا الجدرانَ النخرةَ، والوجوهَ الشاحبةَ.

أثناءَ إنهائِهِ أحدَ الأزقةِ الضيقةِ واجههُ جمعٌ غفيرٌ من جديسٍ محمولٌ على أكتافِ بعضهم صندوقين كبيرين، والحزنُ يخيمُ على الجميعِ.

تنحى جانبًا ليفسحَ الطريقَ، ثُمَّ سمعَ صرخةً من أحدِهم.

أنتَ أيُّها الفتى، انظم إلى الجنازةِ بسرعةٍ، تبًا لكم جيل هذا الزمان لا مروءةَ لديكم.

تساءَلَ وهو مبهوتٌ لا يعرفُ ما الأمر.

مَن جنازة؟!

توقفَ أحد كبار السنِ أمامَهُ، ثُمَّ أشاحَ بعصاهُ غاضبًا محمرَ العينين.

ألا ترى الجمعَ الغفيرَ؟!

أخذَ بكتفِ صيب، وجرَهُ ليدخلَهُ داخلَ الحشدِ، والأخيرُ لم يبدي أيَّ مقاومةٍ تذكرُ.

سارَ الجميعُ وسطَ مشاعرِ الحزنِ والأسى البالغين؛ أما الفتى، فلا يعلمُ شيئًا.

لم يطل بهم السيرُ حتى وصلوا إلى مكانٍ مرتفعٍ يشرفُ على مساحةٍ واسعةٍ من (جزء الفقراء)، نظرَ متفحصًا، وإذا بالسوقِ ليسَ ببعيدٍ، فارتاحَ وبقيَّ يراقبُ الأحداثَ حولَهُ مطمئنَ القلبِ.

جيءَ بالصندوقِ الأولِ، ووضعَ بجوارِ إحدى الأشجارِ الغريبةِ التي لا أوراقَ لها فقط أغصانٌ كثيفةٌ متشعبةٌ مكونة سريرًا.

إنَّهم يضعون الصندوقَ الأول بجوار الشجرة، ها هم فتحوهُ، ماذا جديسٌ طاع في السنِ نائمٌ فيهِ؟ ما عساهم يفعلون بالمسكين؟ ألم يجدوا غيرَ تلكَ الشجرةِ ليضعوهُ فوقها؟ الصندوق الآخر أيضًا! وجديسٌ أنثى على شجرةٍ أخرى! مالِ أولئكَ القومِ، أجنوا؟!

ما هي سوى برهةٍ حتى تقدمَ أحدُ المتجمهرين واقفًا بينَ الجثتين.

- أحبتي اليوم نجتمعُ لنودعَ عزيزين على قلوبنا، وسوفَ نعرفُ بعدَ قليلٍ مَن منهما صالحٌ، إني أتوسمُ الخيرَ فيهما، هلموا إليَّ بالماءِ.

بدأَ يرشُ الماءَ على الجثةِ الأولى، وهو يرددُ:

يا عظيمةُ، ها نحنُ اليومَ نجتمعُ في هذا المكانِ لنودعَ ابنين من أبنائكِ، أرينا ما نريدُ رؤيتَهُ

ثُمَّ دمدمَ بكلماتٍ لم يفقها الفتى.

ما هي سوى ثوانٍ حتى بدأَت الجثةُ تهتزُ متحولةً تدريجيًّا إلى غازاتٍ ذاتِ رائحةٍ طيبةٍ ملأت المكانَ بعبقها.

فورَ حدوثِ ذلكَ انقلبت الوجوهُ العابسةُ إلى فرحةٍ مستبشرةٍ.

استمرت الغازاتُ تخرجُ حتى اختفى جديس نهائيًا، ولم يبقَ منهُ أثرٌ.

تحولَ المتكلمُ إلى الجسدِ الآخرِ، وفعلَ ما فعلَهُ معَ الأولِ، فاهتزت الجثةُ بعنفٍ، كادت تتناثرُ أشلاءً في المكانِ، ثُمَّ هدأت وبدأت تتحولُ بالتدريج إلى سائلٍ أسودٍ رائحتهُ كريةٌ يسيلُ من أعلى إلى أسفل منغمسًا في الأرضِ عميقًا.

أحسَ الفتى بصداعٍ وقشعريرةٍ، لم يعرف ما يفعل، أيهربُ راكضًا أم يبقى لحينِ انتهاءِ الحدثِ؟ الخوفُ تملكَهُ.

انقلبت الوجوهُ لتعودَ إلى أولِ عهدها.

اثنان يتكلمان.

كنتُ أعرفُ أنَّهُ سيحدثُ لسليطةِ اللسان تلكَ، كانت شريرةً، ولا تحسنُ لأحدٍ أبدًا.

أجابَهُ الآخرُ.

ليشرب قزحُ نخبهُ اليومَ، فها هي روحٌ شريرةٌ تدخلُ بطنَهُ الكبير.

الفتى كلمَ أحدَ المتحاورين.

المعذرةُ سيدي، أودُ سؤالكَ عن شيءٍ.

تفضل بني.

ما اسم تلكَ الشجرة؟

إنَّها (همتون المقدسة)، وهي لا تنتمي لعالمنا.

غاصَ بينَ جموعِ الحاضرين.

عليَّ الذهابُ إلى الحكمِ، فهو مَن سيحلُ هذا اللغز.

في السوقِ.

- لا أثرَ لَهُ، كيفَ سأجدُهُ؟ مَن عنهُ سأسأل؟

استمرَ التقدمُ بخطواتٍ تائهٍ.

نعم، ها هو الجديسُ الذي أحسنَ للعرافِ.

المعذرةُ يا عم، هل رأيت سيد...؟

مَن؟

قامَ بحركاتٍ مستخدمًا تعابيرَ وجههِ لتدلَ على الاستغرابِ والاستهجانِ.

استدركَ صيبٌ وعدلَ سؤالَهُ.

أقصدُ العرافَ الأعمى.

آه، بجل، المجنونُ الأعمى، لا مكانَ محددًا لهُ، فهو يا بني، سائحٌ على وجهِ أريضة؛ ما شأنُكَ بهِ؟

- كنتُ أرغبُ في سؤالِهِ عن أمرٍ يهمني.

انفجرَ ضاحكًا.

هل هنالكَ مَن يستقي المعرفةَ من مجنونٍ؟! إما أن تكونَ مثلَهُ، وهذا ما لا أتوسمُهُ فيكَ؛ وإما أن يكونَ ضللكَ بكلامِهِ الغريب.

شيءٌ منَ الغيظِ.

لقد شاهدتُكَ وأنتَ تحسنُ إليهِ، فلم فعلتَ ذلكَ معَهُ إن كنتَ تظنّهُ هكذا؟

إنَّ أحدَنا يفعلُ أمورًا في بعضِ الأحيانِ غيرَ مقتنعٍ بها، لكنَّهُ يفعلها.

صيبٌ يطلقُ كلماتٍ أثناءَ ابتعادِهِ.

وأنا لنفسِ السببِ أبحثُ عنهُ.

صعودًا، نزولًا، غدوًا ورواحًا حتى يأسَ من إيجادِ ضالتهِ، فاستسلمَ وقررَ العودةَ خاليَّ الوفاضِ.

في قلبِ السوقِ عددٌ من جديسٍ متجمهرينَ حولَ حدثٍ ما، صوتُ صراخِ أنثى يلفهُ بكاءٌ وتوسلٌ، دفعَهُ حبُّ الاستطلاعِ لمعرفةِ ما يحصلُ؛ بعدَ اختراقِ الصفوفِ شاهدَ، فصدمَ.

كيفَ يفعلون هذا بها؟! لِمَ يقومانِ بجرها من شعرِها وضربها وسطَ الجميعِ؟! تبًا. أليسوا شرطةً واجبهم حمايةَ الآخرين.

رفعَ رأسَهُ ووَجَهَ سؤالًا لأحدِ الجمهورِ، فجاءتهُ الإجابةِ.

إنَّها سليطةُ اللسانِ، وأظنُّها لا تحملُ رخصةَ بيعٍ هنا، هذا جزاءُ مَن لا يمتثلُ لأوامرِ الشرطةِ.

لم يعجبهُ الجوابُ ولا الموقفُ، وزادَ سعير غضبهِ عندما كُشِفَت عورتُ تلكَ الأنثى، والجميعُ تلذذ برصدِ التفاصيلِ بدلَ فعلِ شيءٍ من أجلها.

تبًا، تبًا، تبًا.

أخذَ ينظرُ في جميعِ الاتجاهاتِ، فوقعَ بصرهُ على حجرٍ، وقد حملَ منَ القاذوراتِ ما حمل.

نعم، ها هو جوابي على ما تفعلون بهذهِ المسكينةِ، خذها يا ملعونُ.

صرخَ الشرطيُّ الذي كانَ يجرُ الأنثى.

آي آي، رأسي مَن فعلها سوفَ يقتلُ.

كانَ الشرطيُّ الثاني قد رصدَ الجاني.

ذاكَ صاحبُ الرداءِ البني، أمسكوهُ قبلَ أن يفلِتَ.

الشرطيُّ الأولُ.

نعم، أمسكهُ، فقد أسالَ اللعينُ (نفيسي).

صيبٌ، وهو يركضُ محاولًا الاختفاءَ وراءَ الجموعِ، تساءلَ معَ نفسهِ: لقد أسالت الحجرةُ التي رميتهُ بها سائلهُ الأبيضُ الذي خرجَ من رأسِهِ.

لم تطل مدةُ هربِ المعتدي الصغير، فالجميعُ تعاونَ على إلقاءِ القبضِ عليهِ.

الأنثى وهي تلملمُ حاجياتها لتهربَ بعيدًا مستغلةً الأوضاع، هتفت:

أشكركَ بني، أشكرك وأسألُ الأقدارَ أن تنجيكَ.

ثُمَّ اختفت في أعماقِ الأزقةِ الضيقةِ.

الشرطيُّ المُعتَدى عليهِ.

اليومَ أريكَ ما لم ترَهُ، ولن تراهُ يا حقير، كيفَ تجرئ على فعلِ هذا بي؟

أجابَ صيبٌ بحزمٍ.

كيفَ تجرئُ أنتَ على إهانةِ تلكَ المسكينةِ بوحشيةٍ، ودونَ أخلاقٍ؟ أجبني، حينها تجدُ جوابَ سؤالكَ.

ركلَهُ الشرطيُّ الثاني بقوةٍ على بطنِهِ.

كيفَ تسمحُ لنفسكَ الكلامَ معَ زميلي بهذهِ الطريقةِ؟ سأبدلُ لكَ جلدًا جديدًا، انتظر حتى نصلَ مركزَ الشرطةِ هناكَ لنا كلامٌ آخر.

بكاءٌ منَ الألمِ.

- اللعنةُ عليكَ، أتعلمُ مَن أكونُ؟

صرخَ بهِ الشرطيُّ الأولُ، وهو يحاولُ إسكاتَ جريانِ نفيسهِ بقطعةِ قماشٍ سوداءٍ.

مَن تكون؟ ابن كبيرِ الوزراءِ مثلًا؟

بل ابنُ مَن يعملُ عنده كبيرُ الوزراءِ.

الشرطيُّ الثاني صارخًا.

صهِ، لا أريدُ سماعَ صوتكَ حتى نصلَ.

حملَهُ، ثُمَّ رماهُ داخلَ المركبةِ.

بأنفاسٍ لاهثةٍ، وهي خائفة تتلفتُ ورائها، هجمت على بابِ كورٍ، ودخلت مسرعةً، ثُمَّ أغلقت البابَ بإحكامٍ.

كورٌ قديمٌ رطبٌ متهرئٌ، تحاولُ أخذَ أنفاسها بعدَ تأكدها من عدمِ وجودِ أيِّ مطاردٍ.

الأقدارُ أرسلت لي الصغير، لولاهُ لا أعرفُ ما حلَ بي، سأجلسُ هنا قدماي لم تعدا تحملاني.

صوتُ صريرِ بابِ الغرفةِ الصغيرةِ في زاويةِ الكورِ، ثُمَّ خرجَ منها فتًى مرقعَ الثيابِ.

سارَ ببطءٍ ناحيةَ الحمامِ، وهو يحكُ كلَّ قطعةٍ في جسمهِ؛ لم يلحظ أمَهُ الجالسةَ عندَ المدخلِ.

بعدَ قضاءِهِ حاجتهُ وقفَ أمامَ المرأةِ يتأملُ وجههُ.

لِمَ فعلتم هكذا، لَمْ أقل سوى الحقيقة، أثمنها باهظٌ إلى هذهِ الدرجةِ؟!

أخذَ يتحسسُ عينهُ المفقوءةُ باكيًا إياها بالعينِ السليمةِ.

- آهٍ من تلكَ اللحظاتِ، وأنا أتوسلكم.

تنهدَ بحقدٍ ومرارةٍ، ثُمَّ أكملَ كلامَهُ، وعينهُ السليمةُ لا تفارقُ المرآةَ تنظرُ الأخرى.

- سيكونُ حسابكم عسيرًا يومًا ما، أعدكم بذلكَ.

دخلَ المطبخَ ليناولَ بعضَ اللقيمات الرديئةِ، ثُمَّ خرجَ، وحملَ كيسًا من جلدٍ، ففوجئَ بأمِهِ الجالسة.

ماذا تفعلينَ أمي؟ أضاقت بكِ الأرضُ حتى تجلسي هنا؟

لو تعرفُ ما حلَ بأمكَ اليومَ لعذرتَ جلستي، بل لجلستَ بجواري.

قصت لَهُ القصةَ، فكانَ تعليقهُ على ما حدثَ.

الحقُّ أقولهُ، إنَّهُ فتًى غبي، ما دخلهُ والآخرينَ؟ ليستمتعَ بتعذيبهم الآنَ.

أصبهانُ ترقبُ بقلقٍ.

أينَ أنتَ؟ أرجوكَ أسرع بالمجيءِ قبلَ أن يفتقدوكَ.

الأمُ، وهي ترجو ابنها.

بني أطعني واترك هذا العملَ قبلَ وقوعِ المحذورِ.

لن أخسرَ أكثرَ ممّا خسرتُ، وعملي هو الطريقُ الوحيدُ للانتقامِ لنفسي منهم.

في مركزِ الشرطةِ.

الشرطيُّ الثاني أنفاسهُ تسارعت.

أتعبتني يا هذا، غيرَ أني ارتحتُ بعضَ الشيءِ بعدَ رؤيتي لنفيسكَ يسيلُ.

(البكبز)، يترنحُ في مشيتِهِ، وبطنهُ العظيمُ تهتزُ أمامَهُ بطريقةٍ مضحكةٍ.

جلسَ خلفَ مكتبِهِ، ثُمَّ شمرَ عن ساعديهِ.

ما اسمكَ؟ وما هي تهمتكَ؟

الفتى يتكلمُ بصعوبةٍ.

صيبٌ بنُ شدادٍ.

ماذا؟ أعد الاسم.

الموقرُ صيبٌ بنُ القريعِ شدادٍ.

كانَ يلفظُ الكلماتِ، وقطراتُ السائلِ الأبيضِ تتسابقُ للخروجِ من فمِهِ لتقبلَ الأرضَ.

وقفَ متسمرًا وعيناهُ تشتعلان غضبًا.

تهزئُ بي يا نكرة؟ تنتحلُ شخصيةً عظيمةً، تعرفُ ما سيحلُ بكَ؟

صرخَ على شرطيّ واقفٍ عندَ البابِ.

نعم، سيدي البكبز.

اخلع ملابسَ هذا الشقي، وجهز ليَّ السوطَ حتى ألقنهُ درسًا لن ينساهُ.

صاحَ صيبٌ متوسلًا.

أقسمُ بكلِّ ما تؤمنُ بهِ يا سيدي، أنا...

اخرس لا تذكر الاسمَ الشريفَ على لسانِكَ القذر، أنتَ حفيدُ النفاياتِ والنتنِ.

في قرقر.

قمبيزُ يضحكُ بصوتٍ عالٍ.

- رائعٌ، الآنَ أصبحَ كلَّ شيءٍ جاهزٌ، هلموا لي بوزرائي وقادةَ جندي.

في مركزِ الشرطةِ.

تبًا، أكادُ لا أصدقُ ما ترى عيناي! أنزلهُ أيُّها الشرطيُّ اللعين، وأعطهِ ملابسهُ.

تبدلت عنجهيةُ البكبزِ لوداعةٍ معَ ارتجافٍ بعدَ مشاهدتهِ للختمِ القريعي على صدرِ صيبٍ.

أصيبَ المكانُ بهزةٍ، فهرعَ جميعُ من شاركوا في إيذاءِ الموقرِ، ومَن لم يشاركوا بالجلوسِ عندَ قدميهِ طالبينَ العفوَ والمغفرةً، أما البكبزُ اتصلَ على الفورِ بالجهاتِ ذاتِ العلاقةِ.

الحاجبُ:

سيدي وصلت توًا برقيةً مستعجلةً تفيدُ بأنَّ الموقرَ صيبًا محتجزٌ في مركزِ شرطةِ المنطقةِ الرابعةِ.

ثورةُ غضبٍ اعتلتهُ، والمفاجأةُ أدهشتهُ.

- كيفَ ذاك؟ وما الذي أوصلهُ إلى هناك؟

صرخَ نادوا على هجرَ وكلُّ الخدمِ والحرسِ، ابحثوا عن صيبٍ في أرجاءِ المكانِ لنتأكدَ منَ الأمرِ.

بعدَ بيانِ الحقيقةِ قامَ القريعُ بتوبيخِ الجميعِ دونَ استثناءٍ بأشدِ العباراتِ وأقساها، ثُمَّ أمرَ باستمرارِ حبسِ ابنهِ بعدَ نقلهِ إلى سجنِ الكورِ.

نفذَ الأمرُ على الفورِ.

في السجنِ الانفرادي صيبٌ يتصفحُ المكانَ باحثًا عن لونٍ غيرَ الظلامِ، فلم يجد إلا فتحةً صغيرةً في أعلى أحدِ الجدرانِ يتسللُ منها القليلُ من نورِ البيضاءِ على استحياءٍ.

جلسَ ضامًا ركبتيهِ إلى صدرهِ، ثُمَّ حشرَ رأسَهُ بينهما، وهو يحسُ بألمٍ كبيرٍ داخلَهُ ليسَ بسببِ جراحهِ والرضوضِ، إنَّما هي الحقيقةُ التي أيقنَها، انقسامُ المجتمعُ الجديسي إلى

قسمين لا ثالث لهما – بعدَ طولِ تفكيرٍ – قررَ أن يكونَ مستقبلًا في صفِ القسمِ الأضعفِ.

الحارسُ ينحني مؤديًّا التعظيمَ اللازمَ.

سيدتي تفضلي، السيدُ الصغيرُ في زنزانة رقمُ تسعةٍ.

احتضنا بعضهما، فانفجرَ الصغيرُ باكيًا ذارفًا دموعًا حارةً جدًا، وأنفاسهُ المتصارعةُ هي الأخرى تحرقُ.

ما هذا؟ أريدُكَ جديسًا قويًّا لا يهتزُ لأيِّ شيءٍ، هون عليكَ يا عمري.

لقد أُهنتُ أشدَ ما إهانة، إنَّهم ليسوا جديسًا، هم شيءٌ آخر؛ لو رأيتِ أماهُ كيفيةَ تعاملهم معَ سواهم منَ المساكينِ والفقراءِ لنقمتي عليهم، ولأمرتي بمعاقبتهم على الفورِ.

انتزعتهُ من على صدرها بهدوءٍ، ثُمَّ كفكفت دموعَهُ.

أريدُ سماعَ القصةِ من بدايتها حتى النهايةِ، فأنا غيرَ مصدقةٍ أنَّ ابني الحبيبُ يحدثُ لَهُ كلَّ هذا.

بدأَ بالحديثِ عن حادثةِ البائعةِ في السوقِ.

قاطعتهُ قائلةً:

حبيبُ قلبِ أمِكَ أريدُ معرفةَ مَن أغواكَ، وجعلكَ تخرجُ من الكورِ، ثُمَّ سلمكَ لأولئكِ الحاقدينَ المجرمينَ سكانُ المنطقةِ الرابعةِ ممن تسميهم أنتَ مساكين. قبلَ إعرابِهِ عن تفاجئهِ بأمِهِ وضعت يدها على فمِهِ، وقالت:

اشش، دعني أكملُ كلامي، ثُمَّ تحدث بما شئتَ؛ أعطني أسماءَ جميعِ المتآمرينَ من داخلِ الكورِ لكي أعرفَ كيفَ أتعاملُ معهم، بني مَن تسميهم فقراء و... هم في النهايةِ شعبنا، لكنَّ الأقدارَ جعلتهم على تلكَ الصورةِ، وجعلتنا على ما نحن عليه من رفعةِ الشأنِ، فما عسانا نقدمُ لهم؟ بدلَ نقمهم علينا ليعاتبوا الأقدارَ التي رمت بهم في أحضانِ الفقرِ والعوزِ، والأفضلُ أن يعالجوا محدوديةَ عقولهم التي جعلتهم يؤثرون الراحةَ مع الفقرِ على التعبِ والكدحِ مع الغنى؛ فقرهم مشكلتهم، وعليهم إيجادُ حل لها بأنفسهم في إطارِ القانون الذي وضعناهُ لهم.

لم يجد الفتى فائدة ممّا يريدُ إيصالهُ لأمِهِ بصفتها أمُ الطائفةِ، ولا لأمِهِ بصفتها أمٌ حنونٌ، ولا لها بصفتها جديس، فآثرَ الصمتَ والغرقَ في حزنٍ عميقٍ علهُ يجدُ ما يضمدُ جراحَهُ.

صمتَ وصمتت، ثُمَّ غادرت هجرُ، وقد أحسَ بحدوثِ شرخ بينهُ وعائلتهُ.

مسؤولُ السجنِ وهو يرتبُ هندامَهُ، ثُمَّ ينحني أمامَ أمِ الطائفةِ.

هجرُ وصوتها فيهِ غصة.

كيفَ تسمحُ لنفسِكِ وضعَ ابنُ القريعِ في تلكَ الحظيرةِ المسمى سجنًا انفراديًا؟

متلعثمٌ مرتجفُ الأوصالِ.

إنَّها أوامرُ سيدي يا سيدتي، وأنتم أدرى مني بوجوبِ الالتزامِ حرفيًا بأوامرهِ.

صرخت هجرُ بوجههِ مزمجرةً.

هو سيدكَ، وأنا سيدتكَ، فاسمع ليَّ جيدًا، ونفذ على الفورِ.

كلي قويقعاتٌ مصغيةٌ.

زنزانةُ سيدكَ صيبٌ تتحولُ إلى أحسنِ ما يكون، بل تخرجهُ منها وتجلسهُ في مكتبكَ الخاصِ، وتشرفُ على خدمتِهِ بنفسكَ، أفهمتَ أم تحبُ إفهامكَ بطريقةٍ أخرى؟

بعدَ ركوعِهِ على الأرضِ، وأخذ يدِ سيدتهِ، ثُمَّ تقبيلها.

- سيدتي ارحميني لا تَجعليني أهرس بينَ مقامكِ الكريمِ وفخامتهِ، سوفَ أقومُ بتحويلِ الزنزانةِ لحديقةٍ غناءٍ، لكنَّ إخراجَ الموقرِ خارجها مستحيلٌ، أنتم أعرفُ مني بالسببِ.

ادعاءٌ بالانشغالِ في التفكيرِ، ثُمَّ قالت:

حسنًا.

في قرقر.

عزيزي زلعادين، مستعدٌ لزيارةِ (معماريون)؟

بكلِّ تأكيدٍ هيا بنا.

عندَ المريضِ الذي كانَ لا ينطقُ فقط يئنُ ويئن، وزوجتهُ ممسكةٌ بيدِهِ تحاولُ مواساتَهُ.

في طريقِ العودةِ زلعادين بنبرةٍ حزينةٍ.

مسكينٌ معماريون لقد انتهى مستقبلهُ؛ تبًا لهذا المرضِ اللعينِ، من أينَ أتانا؟ أنا متأكدٌ أنَّ سببَهُ خطايانا وسوءُ أعمالنا.

التفت إلى صديقهِ، وقالَ لَهُ:

كنتَ تتصورُ في يومٍ ما سيستشري مرضٌ مثلَ هذا؟ يصيبُ أهم الأعضاءِ فيُستَأصَلُ كأنَّهُ لم يكن، كيفَ ذلكَ؟

يسألُ و يجبُ نفسهُ، وصديقهُ يستمعُ بحزنٍ.

دونَ ألمٍ أو أعراضٍ مسبقة تنذركَ؛ آهٍ، كلُّهُ نتيجةَ انحلالنا وجرينا وراءَ الرذيلةِ.

سادَ الهدوءُ والسكينةُ داخلَ المركبةِ فترةً من الزمنِ حتى اخترقهُ طليسمان بتفجيرهِ قهقهةٌ عالية.

ما دهاكَ؟! جننت؟!

لا يا عزيزي، لكنّي تصورتُ موقفَ صديقنا معَ زوجتِهِ بعدَ أيامٍ، كيفَ سيكونُ؟ لن تحترمهُ بعدَ اليوم.

نبرةُ زجرٍ.

ألا تخافُ أن يصيبكَ ما أصابَهُ، وأنتَ الذي لا تفوتُ فرصةً إلا وجريتَ وراءَ الرذيةِ لاهثًا.

طليسمان مستمرٌ في ضحكِهِ.

هي لا تحترمني رغمَ ما أقدمُهُ وقدمتهُ لها.

تغيرَ لونُ عينهِ وبحزنٍ معَ تنهدٍ.

لها عشيقٌ أصغرُ مني سنًا وأفضلُ في دفعِ السوائلِ، فما الحاجةُ للاحترامِ يا سيد زلعادين؟

انظر كيفَ تعاقبُ من جنسِ عملكَ يا صديقي راجع نفسكَ.

يا جدي إنَّكَ كلاسيكي، هذهِ ليست مشكلةٌ لأراجعَ نفسي، إنَّهُ سلوكٌ عامٌ، أتذكرُ ما حدثَ بينَ ابنكَ وأختهُ؟

سادَ الصمتُ حتى آخرِ الطريقِ.

في أريضةَ نُفِذَت أوامرُ أمِ الطائفةِ.

بعدَ منتصفِ الليلِ، صوتٌ حزينٌ وبكاءٌ.

الموقرُ صيبٌ أجبني.

مَن الذي يهتفُ باسمي يا ترى؟

أرهفَ سمعهُ.

أظنُّ أنَّ مصدرَ الصوتِ منَ الخارجِ، أظنُّهُ كذلكَ لأصبهانَ.

حاولَ الارتقاءَ نحوَ الأعلى مستخدمًا بعضَ الحاجياتِ التي جلبت لَهُ قبلَ قليلٍ إلا أنَّها لم تفِ بالغرضِ.

قبلَ اِصابةِ الفتاةِ بخيبةِ أملِ وعودتها أدراجها.

مَن المنادي؟

أنا خادمتُكَ أصبهانُ، هل أنتَ بخيرٍ؟ أصابَكَ مكروهًا؟ أرجوكَ اجبني، فقلبي يحترقُ حزنًا عليكَ، كم أتمنى أن أكونَ بدلًا عنكَ الآنَ.

لا عليكَ اذهبي قبلَ أن يراكِ أحدهم ويدخلكِ في مشاكلٍ لا قبلَ لكِ على مواجهتها.

روحي فداكَ، لن أبرحَ مكاني حتى تخرجَ من حبسكَ، كيفَ يهنئُ ليَّ عيشٌ، وأنتَ بينَ جدرانِ اللعينِ؟

ثُمَّ عادت لأناتها المكتومة.

معَ نفسِهِ بعدَ تأثيرِ الموقفِ فيهِ كثيرًا: مثلُ هكذا أنثى على الموقرِ العاقلِ الاقترانَ بها.

سيدي لِمَ صمتَ؟ أريدُ سماعَ صوتِكَ حتى أحسَ بالأمانِ.

إني مقدرٌ لكلِّ ما تفعليهِ؛ غادري أخافُ عليكِ، إذا رأوكِ لن يرحموكِ، إن كانت ليَّ حظوةٌ عندَكِ ارحلي.

بل الحظوةٌ كلُّها أنتَ؛ سأنفذُ أوامرَكَ، لكن ستجدني كلَّ ليلةٍ في نفسِ المكانِ والزمانِ.

في الصباحِ هجرُ تطلبُ الإذنَ بالدخولِ إلى زوجها؛ بعدَ انحناءٍ باحترامٍ، وإلقاءٍ لتحيةِ الصباحِ، ثُمَّ ابتسامة.

سيدي، لم أعهدكَ قاسِ القلبِ معَ الغرباءِ، فكيفَ مع وحيدكَ؟ جئتُكَ متوسلةً لإخلاءِ سبيلِ ولدي، صغير ارتكب خطأً، وقد تعلمَ من خطأهِ، ولن يكررها أعدكَ.

أنهيتِ كلامكِ الذي جئتِ لأجلِهِ ؟ تربيةُ الصغارِ أمرٌ يحتملُ اللينَ والعطفَ والحنانَ، وأيضًا القسوةَ والشدةَ والضربَ في بعضِ المواقفِ، صغيرُكِ ليسَ جديسًا عاديًّا، هو قريعُ المستقبلِ لذا علينا نحتهُ وتجهيزهُ بطريقةٍ خاصةٍ تختلفُ عن باقي أقرانِهِ، وإلا سيضيعُ كلُّ ما بنيناهُ أنا وأجدادي، وهذا ما لن أسمحَ بهِ مهما كلفني الأمرُ من تضحياتٍ، لذلكَ أنصحكِ بالانصرافِ، والاهتمامِ بشؤونكِ الأنثوية أفضل.

كلماتُهُ الأخيرةُ كانت بنبرةٍ حازمةٍ.

بعدَ معرفةِ الأمِ موقف الأب المتصلبِ أطلقت العنانَ لغضبها.

أنتَ أبٌ قاسِ القلبِ أكلمكَ، كأبٍ كوالدٍ لا كقريعٍ ومسؤولٍ عن رعيتهِ، صغيرُكَ أوسعَ ضربًا ونفيسهُ سالَ، وجرحت كرامتُهُ، فكيفَ سيكونُ موقرًا أصلًا حتى تحولَهُ لِمَ تريدُ سيادة القريعِ العظيمِ؟

قالت كلماتها الأخيرةَ بازدراءٍ، ثُمَّ انصرفت وهي غاضبةً تدمدمُ.

بصراخٍ وصوتٍ ملتهبٍ.

أيُّها الحاجبُ يا حاجبُ، أنتَ أيُّها الغبيُ.

الغيظُ أنساهُ أنَّ على مكتبهِ زرًا لو لمسَهُ لكانَ حاجبُهُ في التوِ واللحظةِ بينَ يديهِ.

نعم، حضرتُكم.

أينَ كنتَ نائمًا؟ أرسل في طلبِ مسؤولِ سجنِ الكورِ حالًا.

لم يطل انتظارُهُ.

كانَ صيبٌ يعاني منذُ الصباحِ من آلامٍ وأوجاعٍ، فجميعُ جراحِهِ وكدماتِهِ تؤلمُ بشدةٍ ممّا دفعّ السجانَ استدعاءَ الطبيبِ.

مسؤولُ السجنِ يرتجفُ خوفًا ظنًّا منهُ أنَّ رأسَهُ سيفارقُهُ لتنفيذِهِ أوامرَ سيدتهِ وعصيانهِ أوامرَ سيدِهِ.

خادمكَ صاحبُ السعادةِ، النيافةِ بخدمتِكَ، كلي وأهلي وروحي فدائكَ، والشعب كلّهُ يعشقُكَ.

ما دهاك؟ لم أعهدكَ متخبطًا في الكلامِ هكذا؟ اسكت قليلًا لأتحدثَ معكَ.

كَفَرَ برأسِهِ مرارًا معتذرًا، بعدها صمتَ على الفورِ.

سيدُكَ الصغيرُ ارتكبَ خطأً عاقبتُهُ عليهِ، وهو لديكَ الآنَ.

رمقَهُ بنظرةٍ حادةٍ.

أليسَ كذلكَ؟

بلى، أجل، بجل عندنا ضيفٌ عزيزٌ مقدرٌ كريمٌ.

كما تعلم أنَّ أساسَ الحكمِ هو العدلُ، وأنا بطبيعتي عادلٌ معَ الجميعِ حتى معَ نفسي، وها قد حدثَ ما يؤكدُ كلامي.

صمتَ ينتظرُ كلماتٍ معينةً تخرجُ من فمِ المستمعِ، فلم يطل انتظارَهُ حتى سمعَ ما يريدهُ.

اسمح ليَّ حضرتُكم علمتمونا على الصراحةِ، وأريدُ التكلمَ بكلِّ صراحةٍ؛ إنَّ أسلافَكُم العظامُ كانوا عدولًا، فشيدوا جمهوريةً، وثبتوا صروحها، ونظموا قوانينها على أساسٍ واحدٍ متينٍ هو: (العدلُ روحُ الحكمِ)، أما أنتم وأقولها دونَ خجلٍ أو خوفٍ، فقد تجاوزتموهم عدلًا ورحمةً لا بل ظهروا أمامَكُم لا شيءَ يذكرُ، سامحني في هذهِ الكُليماتِ.

ضحكاتٌ تتلوها ضحكاتٌ بمنتهى الهدوءِ والكياسةِ.

أعرفُ، ومقدرٌ صراحتَكَ بما إني أطبقُ العدلُ على نفسي قبلَ الرعيةِ أريدُكَ إيصالَ هذا لبعضِ الثرثارين.

نظرةٌ حادةٌ أخرى.

- تعرفُ قصدي؟

هزَ رأسَهُ بقوةٍ.

جيرِ.

غيرَ من نبرةِ صوتِهِ وجِلستِهِ.

كنتُ أحدثَكَ كمسؤولٍ وموظفٍ لديهِ، أما ما سيأتي من كلامٍ سأقولُهُ كصديقٍ لصديقٍ، فأرجو أن تقدرَ وضعي، وتلبي طلبي.

جثا على الأرضِ أمامَ شدادٍ.

طلباتُكَ أوامرٌ.

استمرَ في تكرارِها حتى أمرَ بالسكوتِ.

القريعُ بصوتٍ حزينٍ، ونظرات ذابلة.

لا تقسوا على صغيري هذا رجاء.

إنَّهُ كولدي لا تقلق عليهِ عظمتُكم.

انتهى اللقاءُ، وهم مسؤولُ السجنِ بالمغادرةِ، فاستوقفَهُ شدادٌ.

لكن شريطةَ الإبقاءِ عليهِ في الزنزانةِ.

زيارةٌ خاطفةٌ

مضى على سجنِ الفتى بضعةَ أيامٍ نَعِمَ فيها بجميعِ أنواعِ التوقيرِ والاحترامِ.

شدادٌ يحدثُ نفسَهُ: أظنُّ الوقتَ قد حانَ لإخراجِ الصغيرِ واصطحابِهِ لرؤيةِ جديسٍ حقيقيين.

صدرَ العفو، فانطلقت هجرُ إلى السجنِ لتصحبَ الموقرَ إلى أبيهِ الذي قررَ أخذَهُ في زيارةٍ إلى (قفير الجديس المحاربون).

بعَد اعتذارِ الصغيرِ عن فعلتِهِ أخذَهُ الوالدُ بينَ أحضانِهِ، وأجلسَهُ بجوارِهِ داخلَ المركبةِ الخاصةِ التي لا وجودَ في البلادِ مثلها تطورًا وتصميمًا.

رغمَ سرعة انبهارِ الموقرِ بمثلِ تلكَ الآلاتِ إلا إنَّهُ لم يكترث، ولم يسمع ما يحدثُهُ بهِ الأبُ فقط يهزُ رأسَهُ إيجابًا.

الجرحُ عميقٌ داخلَهُ، وتركَ أثرًا غائرًا في نفسِهِ، فهو حسبَ ما يعتقدُ كشفَ حقيقةَ عائلتِهِ المالكة.

وصلَ الموكبُ المنيفُ إلى قفيرِ جديسٍ المحاربين، ثُمَّ أخذَ الاثنان يتجولان في المكانِ، والأبُ يحدثُ ابنهُ عن انجازاتِهِ في الجانبِ القتالي والتجهيزاتِ الحربيةِ التي تمكنُ الجمهوريةَ من ردعِ أيِّ معتدٍ آثمٍ يفكرُ في المساسِ بها.

في طريقِ العودةِ.

ذلكَ هو سببُ عزنا وفخرنا، وكذلكَ هو سببُ فقرِ وجوعِ الكثيرِ من أبناءِ شعبنا العزيز؛ برأيكَ بني ماذا يفعل رَبُّ الكورِ في حالِ كانَ سقفُ الكورِ مخلوعًا، وفي نفسِ الوقتِ أحدُ أبنائِهِ مصابٌ بمرضٍ بسيطٍ، يصلحُ الأولَ أم يعالجُ الثاني؟

نظرَ إليهِ صيبٌ نظرةَ لامبالاةٍ، ثُمَّ ابتسمَ ابتسامةً شاحبةً.

- أجبني بني؟

يفعلُ ما يمليهِ عليهِ ضميرَهُ.

ثُمَّ طأطأَ رأسَهُ محاولًا دفنَهُ في صدرِهِ.

افترقَ الاثنان كلٌّ ذهبَ لشأنِهِ.

صيبٌ يدخلُ غرفتَهُ ليرتاحَ، فتباغتهُ أصبهانُ باكيةً ضاحكةً، ثُمَّ تلفُ ذراعيها النحيلين حولَ عنقهِ، وتزدادُ بكاءً.

شكرًا للبيضاءِ الطيبةِ التي مكنتني من رؤياكَ مجددًا سيدي.

خلعَ ذراعيها بهدوءٍ معَ ابتسامةٍ صافيةٍ رسمها على شفتيهِ، وبريقٍ في عينيهِ.

يومان منَ العزلةِ في حجرتِهِ.

تفضل بالدخولِ يا مَن تطرقُ البابَ.

وجهٌ مشرقٌ متفائلٌ، وابتسامةٌ نديةٌ.

- كيفَ حالُ موقري الغالي؟

- بخيرٍ، شكرًا لك سيدتي.

- اليومَ مساءً سنقيمُ الحفلةَ التي تمَ تأجيلها بسببِ ما حدثَ فتجهز، أراكَ مساءً.

في السماءِ الأنوارُ تشعُ، وأصواتُ المركباتِ القادمةِ يهدرُ بقوةٍ، عائلاتُ الخاصةِ تفدُ من كلِّ حدبٍ وصوبٍ.

الجميعُ جهزَ ما لديهِ من إناثٍ على أكملِ وجهٍ.

بوجهٍ منزعجٍ أطلَ الفتى على ما يجري من مكانٍ بعيدٍ داخلَ الكورِ؛ كانت نظراتُهُ وحركاتُهُ تدلُ على الازدراءِ.

اعتبرَ الأمرَ برمتِهِ مزادٌ رخيصٌ يَعرِضُ كلٌّ تاجرٍ ما لديهِ من بضاعةٍ ليحصلَ على زبون بأيّ طريقةٍ.

أصبهانُ مسرعة.

- سيدي أينَ كنتَ؟ الجميعُ في انتظارِكَ، تفضل بتشريفِ الحفلِ.

نظرَ إليها بلامبالاةٍ، فجذبَ انتباهَهُ ذلكَ البريقُ المترقرقُ المنبعثُ من عيني الفتاةِ، ثُمَّ ابتسمَ.

- لن يحصلَ اليومَ إلا ما يعجبني، كنتُ قد قررتُ السلبيةَ، لكنَّ الآنَ لا، سوفَ أكونُ إيجابيًا إلى أبعدِ حدٍ، إيجابي بتطرفٍ.

قالَ العبارةَ الأخيرةَ دونَ إصدارِ صوت، فبدَى على محياهُ الفرحُ، ومُلأ ثقةً لامست بعنفوانها الغرور.

فُتِحَ البابُ الكبيرُ، كانَ يُدفَعُهُ بقوةِ من ساعدين صغيرين، أطلَ مشرقَ الوجهِ، باسمَ الثغرِ، واثقَ النفس.

نهضَ شدادٌ ليستقبلَ الموقرَ.

هذا هو ثمرةُ حياتي، انظروا إلى قريعِ المستقبلِ كيفَ يستقبلُ الحياةَ، بل هو الحياةُ، وهو القوي القادرُ على لَيِّ عنقِ الأقدارِ.

ضربَ الأرضَ بقدمِهِ تعبيرًا عنِ الفرحِ.

رحبوا معي من فضلكم بابني العزيزُ الموقرُ؛ صيبٌ.

تقدمَ بشموخٍ نحوَ والديهِ، والحضورُ بينَ منحنٍ ومبتعدٍ ليفسحَ الطريقَ.

بعدَ استقرارِ صيبٍ بينَ عظمتِهِ وعظمتِها أُعلِنَ بدءُ الحفلِ بالعزفِ والغناءِ، معَ كلِّ ما تحتويهِ الحفلاتُ من فعالياتٍ.

الأمُ هامسة.

- ما هو رأيكَ؟ أيهنَ أعجبتكَ؟

ببرودٍ.

- جميعهنَّ دمى قد ألبسنَ وجملنَ؛ لكي يصرنَ دمى تتصنعُ الجمالَ، وسلعٌ للبيعِ بأغلى الأثمانِ.

متفاجئةٌ.

- من أينَ أتيتَ بهذهِ العباراتِ؟ عليكَ اختيارُ إحداهنَّ، هذا واجبٌ تقومُ بهِ لا خيارُ تُخَيَّرَهُ.

نظرت إلى زوجها نظرةَ استنجادٍ.

شدادٌ يحاورُ ابنَهُ.

- أتمنى لو عادت بيَّ الأيامُ وعرضت عليَّ كلَّ هؤلاءِ الفاتناتِ.. آهٍ، آهٍ.

هجرُ مقاطعة.

- ماذا تقولُ لَهُ؟ رفضَ ابنُكَ اختيارَ إحداهنَّ، وأنتَ تتفوهُ بكلامٍ غريبٍ لا قدرة لكَ على تطبيقِهِ.

صيبٌ معَ ابتسامةٍ بلهاء حاولَ جعلها للاستغرابِ.

- ما الذي يزعجكِ بكلامي أماهُ؟

التفت ناحيةَ أبيهِ مخبرًا إياهُ بما قالَ للأمِ.

الأبُ بهدوءٍ.

- قد أتفقُ معَكَ في بعضِ ما قلتَ، لكنَّ هذهِ تقاليدنا، ولن نغيرها لأجلِ فتًى مجنونٍ مثلكَ، شئتَ أم أبيتَ ستختارُ.

قبلَ إبدائِهِ لما في نفسِهِ من خلجاتٍ قد تعيدُهُ إلى السجنِ مرةً أخرى دخلَ الحاجبُ من دونِ استئذانٍ طالبًا القريع في أمرٍ هامٍ.

نهضَ شدادٌ، فصمتَ كلُّ شيءٍ.

لِمَ سكتم؟ أكملوا، أكملوا -ضحكةٌ رئاسيةٌ- إني عائدٌ بعدَ قليلٍ لنبدأَ الجزءَ الأهمَ منَ الحفلِ.

صرختْ الفتياتُ ابتهاجًا، وعادَ الصخبُ إلى القاعةِ.

الحاجبُ متلعثمُ الكلماتِ.

عظمتُكَ، كبيرُ الوزراءِ خانَ، الميناء الآنَ، هو.

تحدث بوضوحٍ لم أفقهُ منكَ شيئًا.

- معذرةً سيدي، جما أحملُ من أخبارٍ لا تسرُ، كنتُ أودُ تأجيلها إلى الغدِ، لكنَّ سيدي الوزيرَ (حستم)، أصرَ على أخبارِكَ.

- أينَ الوزيرُ؟

- هنا في الكورِ.

- نادهِ ليخبرني بنفسِهِ.

- عمتمَ مساءً سيادتكم، آسفٌ على إزعاجِكُم في هذهِ الأمسيةِ الخاصةِ، لقد تمَ إلقاءُ القبضِ على السيدِ كبيرِ الوزراءِ وعائلتِهِ، وهم يهمونَ مغادرةَ الجمهوريةِ في الميناءِ الجوي.

هزَ رأسَهُ، وهمهم بعمقٍ.

- شكوكي كانت في محلها، أليسَ كذلكَ؟

نعم، حضرتكم، فمذ أمرتني بوضعِهِ تحتَ المراقبةِ حتى لحظةِ إلقاءِ القبضِ عليهِ، ونحنُ كلَّ يومٍ نكتشفُ ما يدينهُ أكثر، وقد ضبطنا بحوزتِهِ كمياتٍ كبيرةً من صورٍ مع خرائطٍ لمعداتنا الحربية، وأشياء أخرى سأذكرها بتفاصيلها عندَ تقديمي التقرير خلالَ يومين.

- بل غدًا.

- أمرٌ ثانٍ سيدي، وهوَ الأهمُ؛ أسطولُ قرقر ويفاع اتجها باتجاهنا عبرَ الزاخرِ منذُ مساءِ اليومِ.

- جميلٌ جميلٌ، اختاروا المواجهةَ العنيفةَ، لهم ذلكَ، انصرف الآنَ ولا تنسَ ما أمرتُكَ بهِ.

استوقفهُ قبلَ المغادرةِ.

- لا أريدُ كبيرَ الوزراءِ أو أيَّ فردٍ من عائلتِهِ يصابون بأذًى؛ يتمُ التحفظُ عليهم تحتَ حراسةِ مشددةٍ.

انصرفَ وزيرهُ، فالتفتَ إلى حاجبِهِ.

- اذهب إلى الحضورِ في القاعةِ، واعتذر منهم بالنيابةِ عني، ثُمَّ نادي ليَّ صيبًا وأمَهُ.

بعدَ يومين.

- سمعتُ أنَّ القريعَ سيلقي خطابًا مهم.

- إذًا اليومَ عطلة، فلما الذهابُ للعملِ؟

- لا ليسَ كذلكَ، بل هنالكَ أمرٌ هامٌ يريدُ اطلاعَ الشعبِ عليهِ.

- الشعبُ لا يريدُ سوى التخلصِ منهِ.

لفتاتٌ في كلِّ الاتجاهاتِ.

- شش، تريدُ قتلنا يا معتوه؟

- قد قُتلنا منذُ زمنٍ.. المهم، متى موعدُ الخطابِ الناري؟

- عندَ منتصفِ النهارِ، وانهِ الكلامَ في الموضوعِ.

- الوقتُ الموعودُ والقريعُ في كلِّ مكانٍ.

- يا أبناءَ شعبنا المجيد، يا أحفادَ الأبطال، وأهل الملاحم والنزال؛ يا مَن عانقتم السماءَ كبرياءً وشموخًا، أحبتي الأعزاء -مقدمة طويلة- ثُمَّ: اليومَ أمتنا المجيدةُ جمهوريتنا الغاليةُ التي شيدنا صروحها العظام بنفيسنا تَمرُ بوقتٍ حرجٍ ومهمٍ، بعدَ أن قررَ أعداءُ السلامِ تحديها محاولين بكلِّ خبثٍ ومكرٍ النيلَ من كرامةِ أبناءها البررة، لقد تآمرَ على أريضةَ الكثيرون فيما مضى من عصورٍ، لكنَّ التآمرَ اليوم فاقَ الحدودَ، فها هو قمبيزُ حاكمُ قرقرَ بعدَ أن باعَ نفسهُ لقزحَ اللعين، وصارَ خادمَهُ الذليل، ها هو يحركُ أساطيلَ جبنهِ ونذالتهِ، ليغزوَ جمهوريتنا العزيزة يتبعُهُ تابعَهُ الذليل حصرو، فالويلُ الويل، كلُّ الويلِ لهما، ولمن شاركهما محاولًا النيلَ من عزيزتنا أريضةَ؛ لذا أهيبُ بكم بذلَ كلَّ غالٍ ليسَ من أجلي أو عائلتي بل من أجلِ جمهوريتكم.

انتهى خطابُهُ بمجموعةٍ منَ الجملِ الإنشائيةِ الرنانةِ لإلهابِ النفوسِ، وإذكاءِ نار الحرب في القلوبِ التي جفت منذُ زمنٍ بسببِ المعاناة والفقر.

بعدَ نهايةِ الخطابِ بقليلٍ أوتيَّ بكبيرِ الوزراءِ وعائلتِهِ المكونة من ستةِ أفرادٍ بينهم صغيرٌ لم يمضِ على خروجهِ

إلى العالمِ أسبوعين، ثُمَّ أُعدموا بإدخالِ أوتادٍ من معدنٍ في أدبارهم وإخراجها من أعلى رؤوسهم، كلُّهُ حصلَ في ساحةٍ عامة، ونقلت أحداثها صوتًا وصورةً إلى كلِّ جديسٍ يعيشُ على سطحِ الكوكب.

قربَ مكانِ الإعدامِ، وبعيدًا عن الكورِ القريعي، وما يجري فيهِ من كلامٍ في السر أو العلنِ، شابٌ بجوارِهِ جديسٌ مسنٌ رث الثيابِ عابس الوجهِ يسألُ الآخرين إحسانًا.

- إيهٍ يا كبيرَ الوزراءِ، يبدو أنَّ الأقدارَ كانت حليفتكَ حتى في هذهِ؛ محظوظٌ محظوظٌ يا بن الـ...

الشابُ انتفضَ غاضبًا.

- ما هذا الكلامَ يا عم! المسكينُ ماتَ لتوهِ أشنعَ ميتة فرقٌ بينَ هذا وذاك، أنتَ متسولٌ، وهو مسؤولٌ يملكُ ما يملكُ منَ الثرواتِ.

قربَ المتسولُ فمَهُ منَ الشابِ هامسًا.

- جديسٌ خافَ منَ الموتِ، فماتَ منَ الخوفِ؛ قبلَ زمنٍ كنتُ في هذا الخيارِ، فاخترتُ الهربَ مصطحبًا معي الخوفَ، فكانَ

رفيقي اللدود، وأصبحَ يقتلني كلَّ يومٍ مرة حتى وصلتُ لما ترى.

.....

بقلم(ك)للنشر الإلكتروني

الفصل الثامن

-مريرةُ-

في الكورِ.

- جهز نفسكَ غدًا لمرافقتي في رحلةٍ قصيرةٍ إلى سواحلِ الزاخرِ الغربي.

- سمعًا، وطاعةً.

لأولِ مرةٍ منذُ رؤيتهِ نور أنانكي اهتزَ ذنبهُ الصغيرُ معلنًا عن توترٍ انتابَهُ.

انطلقَ الموقرُ بصحبةِ القريعِ إلى مقصدهما، ومنذُ لحظةِ وطءِ قدمِ شداد أرضَ الساحلِ وجميعُ قادةِ المحاربين والكتائبِ يتهافتون عليهِ بينَ ملقٍ للتحيةِ، ومتملقٍ طامعٍ وهاتفٍ بحياتِهِ، وقد كانَ على رأسِ المستقبلينَ (يعسوبُ اللاسعُ)، قائدُ جيوشِ أريضةَ.

صيبٌ أُخِذَ بالرهبةِ، وهو يرى جديسًا من فئاتٍ عمريةٍ مختلفةٍ يرتدونَ نفسَ اللباسِ، ويقومون بالتدريباتِ والحركاتِ المنسقة المنظمة.

سارَ القريعُ يصحبهُ ابنهُ يتفقدُ القطعاتِ والتحضيراتِ، ويسألُ عن بعضِ الأشياء.

- بني تجول هنا، فلديّ اجتماع مهم.

التفت إلى يعسوبَ، وطلبَ منهُ تخصيصَ أحدِ المحاربين المطلعين ليرافقَ الموقرَ في جولةٍ.

شدادٌ وقادةُ محاربيهِ.

- أطلعوني على الخطةِ، وما هي آخرُ المعلوماتِ التي تمكنتم منَ الحصولِ عليها عن العدوِ.

- صيبٌ والمحاربُ الذي خصصَ لمرافقتِهِ.

- ما الذي تودُ رؤيتَهُ أو معرفتُهُ؟

- كلُّ ما تستطيعُ.

شدادٌ وقادةُ المحاربين.

- كيفَ لم تتمكنوا من رصدِ تحركاتِهم بشكلٍ دقيقٍ؟! أينَ أجهزةُ الرصدِ؟ أينَ أدواتُ التجسسِ المتطورةِ التي ابتعناها؟

يعسوبُ اللاسعُ.

لم تتمكن من اختراقِ شبكةِ دفاعاتِهم المعلوماتية، فهي محصنةٌ جدًا، و(الفضائي)، خاصتنا تمَ التشويشُ عليهِ.

أحدُ القادةِ.

- لو سمحَ ليَّ سيدي لديَّ اقتراحٌ بخصوصِ استقاءِ المعلوماتِ والحصولِ على أفضلها، علينا العودةُ إلى الوسائلِ التي اعتمدَ عليها أجدادنا في مثلِ هذهِ الظروفِ، علينا الاستعانةُ بحشرةِ (الصّرود).

- فكرةٌ لا بأسَ بها، هيا أرسلوا في طلبها لنرى ما بإمكانها فعلُهُ.

التفت إلى قائدِ المحاربين محدثًا.

- هل فكرتم باسمٍ لهذهِ الحرب؟

قبلَ محاولتهِ فتحَ فمهِ للإجابةِ.

- بالتأكيدِ لا، أنا أخبرُكَ (الدبيبُ العظيمُ)، ما رأيكَ؟ السؤالُ للحضورِ أيضًا ما رأيكم يا سادة؟

انطلقت الأصواتُ المباركةُ مدعيةً الانبهارَ.

صيبٌ ودليلهُ.

هنا مكانُ نومِ المحاربين، وهذهِ أماكنُ طعامهم، وهناكَ أماكنُ الاغتسالِ؛ أما هذا المكانُ فللتدريبِ البدني الخاصِ بالوافدينِ الجددِ، وها أنتَ ترى كيفَ يتلقون تدريباتهم.

- ما الأشياءُ القاسيةُ التي تضعونها على رؤوسِكُم وتربطون أشباهها على صدوركم؟

- إنَّها (دروعٌ واقيةٌ)، تحمينا من بعضِ أسلحةِ العدو أثناءَ المواجهاتِ القريبةِ.

بعدَ مسافةٍ قطعها الاثنين سيرًا بينَ جموعِ المحاربين خرجَ أحدُ الحيتانِ من إحدى المباني القريبة.

- يا للهولِ، كيفَ صارَ هكذا؟!

- بالتأكيدِ تعرفون حوتًا.

- عرفتُهُ حاملًا للصيادين في رحلاتِ صيدهم.

- آنَ لكَ معرفتهُ مدرعًا ومدججًا بالأسلحةِ، يحمل المحاربين لدحرِ أعدائهم.

تغيرَ شكلُهُ كثيرًا، وما تلكَ الأشياءُ قربَ رأسهِ، إنَّها غريبةُ الأشكالِ، وفيها فوهاتٌ كثيرةٌ مختلفةُ الأقطارِ؟

- إنَّها (المدافع)، قاذفاتُ حممِ (الخليك الصاهرة)، أفضلُ وأقوى أسلحتنا لا تُحمَلُ إلا على الحوتِ، ولا تُطلِقُ حممها إلا بأمرٍ منهُ نفسهُ بعدَ أن يأمرَهُ قائدُهُ، ولقائدِ الحوتِ قدراتٌ خاصةٌ في التواصلِ معَهُ عن طريقِ الذبذباتِ الغيرِ محسوسةً التي يطلقها جديسٌ من قوقعتي السمعِ لديهِ، فيستقبلها المقصودُ لتَحدُثَ عمليةُ تفاهمٍ وتواصلٍ.

- رائعٌ، إذًا أنتم لا تستخدمون مركباتٍ أو ما شابهَ ذلكَ؟

- بل نستخدمُ، وسوفَ تراها في المرفأ الخاصِ بها.

شدادٌ وقادتهُ.

- عظمتُكم ها قد وصلَ (الموجهُ وصّرودُهُ)، وهو يطلبُ الإذنَ.

- يحيا سيدي الكريمُ، أدامت الشموسُ بقائكم.

- بالتأكيدِ أُطلِعتَ على المهمةِ.

- إي نعم، وأنا مستعدٌ.

- سنبدأُ، لكن أرني أولًا صّرود، فبيَّ شوقٌ لرؤيةِ ذلكَ الكريه.

(مخلوقٌ بحجمِ قبضةِ اليدِ، لَهُ جسمٌ نحيفٌ، وأربعةُ أجنحةٍ شفافةٍ وذيلٍ يشبهُ السوط مع رأسٍ كبيرٍ فيهِ ستَ عشرةَ عينًا، كما يملكُ حاسةَ سمعٍ مرهفةٍ وذاكرة قوية).

انطلقت الحشرةُ صّرود بعدَ تواصلها مع موجهها وأخذها أوصافَ الهدفِ ووجهتهُ، باشرَ مهمتَهُ بعدَ تناولِ ما يفوقُ حجمها بثلاثةِ أضعافٍ لحمًا نيئًا.

الجميعُ يراقبُ اختفاءَ الحشرةِ بسرعةِ البرقِ، ثُمَّ جاءَ خبرٌ مهمٌ.

محاربوا سبسب وصلوا وعلى رأسِهم (أميرويهِ المحاربُ).

يعسوبُ محدثًا نفسَهُ: سيفجرُ رؤوسنا ذلكَ العجوزُ الثرثارُ، أفٍ.

شدادٌ وأميرويهِ يتعانقان بحرارةٍ.

- أووو، صديقي القديم كم اشتقتُ إليكَ، أراكَ بصحةٍ وافرةٍ؛ سمعتُ أنَّكَ رُزقتَ بجديسٍ ذكرٍ بعدَ كلِّ ذلكَ الانتظارِ، أينَ هو أريدُ رؤيتَهُ أم إنَّكَ تخافُ عليهِ، ولم تحضرهُ معكَ؟

- على رسلِكَ عليَّ، هو هنا، لكنّي أرسلتُهُ معَ أحدهم في جولةٍ لاستكشافِ المكانِ، الليلة لن أتركَكَ ستحكي ليَّ

أخبارَكَ وأخبارَ إعصار ذلكَ الشهمُ الوفي، بالمناسبةِ جلبتم (كامليون)؟

- كيفَ لا، هي سببُ عزنا وفخرنا، كذلكَ (الغاطسة)، ستصلُ بعدَ قليلٍ محملةٌ على متنِ مركباتِ الشحنِ ومعها باقي المحاربين والاختصاصين، إضافة للعتادِ والسلاحِ.

- إذن هلمَ إلى الداخلِ ريثما يعودُ مرسالنا.

صيبٌ ودليلُهُ.

- انظر سيدي لروعتها وجمالها، مركبةٌ غايةٌ في الدقةِ والقوةِ، لها القدرةُ على إطلاقِ مئاتِ المقذوفاتِ في آنٍ واحدٍ من أكثر من مئةِ سلاحٍ مختلفٍ دونَ أن تهتزَ أو تصدرَ صوتًا يشعرُكَ قيامها بذلكَ.

هي أشبهُ بالمركباتِ الاعتياديةِ إلا أنَّ حجمَها يفوقُ تلكَ بخمسين ضعفًا تقريبًا، كذلكَ اللون.

- أجل هي تحملُ في جوفها عددًا لا بأسَ بهِ من المركباتِ الصغيرةِ المقاتلةِ، واللونُ المزعجُ أمرٌ طبيعي، فجلُ الجيوشِ لها ألوان كهذهِ، فهو رمزٌ للقوةِ والوحشيةِ، إضافة أنَّ لَهُ فائدةً في عمليةِ الغشِ والاختباءِ.

- ما تلكَ الراسيةُ بجوارها؟

- (البقارة)، تستعملُ فقط على سطحِ الزاخر، وظيفتها نقلُ المحاربين والمؤن، أما التي تفوقُ حجمَ المركبةِ الاعتياديةِ بثلاثةِ مرات، فتعرفُ بالـ(الحراقة)؛ سفينةٌ حربيةٌ من طرازٍ خاصٍ تجرُ خلفها مدفعَ (التيران الأسود)، ذا الانفجارِ الانشطاري العنيف، ولها القدرةَ على التحليقِ والغطسِ؛ أخيرًا وليسَ آخرًا أقدم لكَ (دراع)، مركبةٌ مصفحةٌ من العيارِ الثقيلِ، وكما تراها أمامكَ بجسمها القوي وحجمها المتوسط تستخدمُ لنقلِ المحاربين داخلَ أرضِ المعركةِ حيثُ أزيز المدافع ودوي القنابل، لا أسلحةَ فيها، لكن من الصعبِ على كثيرٍ منَ القذائفِ اختراقها.

- رأيتُ ما يكفي اليومَ أودُ العودةَ، أشكرُكَ على مرافقتي وحسنَ الشرحِ والبيانِ.

- طوعُ أمرِكَ في كلِّ حينٍ سيدي.

قبلَ المغادرةِ عائدين سمعَ الموقرُ جلبةً مصدرها الزاخرُ الذي أدارَ لَهُ ظهرهُ.

التفاتةٌ سريعةٌ.

- ما كلُّ تلكَ السفنِ القادمةِ نحونا؟

- إنَّها لجيشٍ سبسب، أتحبُ الانتظارَ حتى وصولهم لتتعرفَ عليهم وتشاهدَ آلياتهم وعددهم الحربية؟

- أفضلُ الذهابَ الآنَ، سنعودُ من أجلِهم غدًا.

صّرودُ اقتربَ من ضالتِهِ.

- سيدي، الموقرُ صيبٌ يطلبُ الإذنَ بالدخولِ.

صاحَ أميرويهِ المحارب.

- أووو، أخيرًا سأرى جوهرتكَ الثمينةَ، كنزُكَ الغالي.

كانا يتجاذبان أطرافَ الحديثِ في كورِ الضيافةِ القريعي المتنقلِ، والذي كانَ ضمنَ موكبِ شدادٍ القادمِ منَ العاصمةِ.

مرحبًا سيدي -كَفَرَ واعتدلَ- لم أكن أعلمُ أنَّ لديكَ ضيوفًا، أرجو المعذرةَ.

ظلَ صيبٌ ينظرُ إلى ضيفِ أبيهِ باستغرابٍ، فقد كانَ جديسٌ طويلَ القامةِ نحيفَ الجسم لونهُ بنفسجي غامق، لم يعتد رؤيةَ مثلِ هكذا لون لبشرةِ جديسٍ، كما كان الضيفُ يرتدي ثيابًا عجيبةَ التصميمِ، عبارةٌ عن مجموعةٍ من الأقمشةِ

الموضوعةِ على بعضها بطريقةٍ فوضويةٍ لتغطي عظامَ ذلكَ الجسم، ومعها عمامةٌ من قماشٍ هي الأخرى جعلت من رأسه مجموعةَ رؤوسٍ.

انقضَ الضيفُ على الفتى، ثُمَّ حملَهُ، وراحَ يغدقُ عليهِ من الكلماتِ اللطيفةِ بطريقةِ مبالغٍ فيها.

عاودَ ذنبُ صيبٍ للاهتزازِ، ثُمَّ عرفَ الأبُ الابنَ على ضيفهِ.

صّرودُ وصلَ ضالتَهُ، وبدأَ يحومُ متلونًا بلونِ السماءِ التي يحلقُ فيها.

أسطولُ قرقرَ الذي يصحبهُ أسطولُ يفاعٍ لا يختلفُ كثيرًا عمّا عندَ أريضةَ من معداتٍ ومركباتٍ وآلياتٍ وأسلحةٍ، إلا أنَّ الاختلافَ يكمنُ في أحجامِ المركبات وأعدادِ المحاربين وتطورِ السلاحِ، كذلكَ لديهم (اللاحمة)، المحلقة في الأجواءِ، قاذفةُ (الجلجلِ المتفجرِ)، لا تملكها إلا قررُ، فهي متميزةٌ بشكلها كما في أدائها، فلها جسمٌ نحيلٌ مرتبطٌ بمقدمةٍ تشبهُ رأسَ ثورٍ بقرنينِ مهولينِ، وذنبٍ مقوسٍ للداخل، يحملُ ذلكَ النحيلَ الكثيرَ من أماكنِ الاحتفاظِ

بـ(الجلجل)، وهي سريعةٌ ذاتَ صوتٍ مميز، ولون خاصٍ بها لا تملكهُ أيُّ سفينةٍ أو مركبةٍ.

كما يحتوي جيشهم على الذكورِ والإناثِ المقاتلاتِ، وغيرِ المقاتلاتِ على حدٍ سواءٍ.

قررَ قمبيزُ إطلاقَ اسمِ (رزمجدان)، على حملتهِ العسكريةِ.

لم يكن يؤمنُ قمبيزُ أو حصرو بفكرةِ إشراكِ كائناتٍ حيةٍ غير جديس في المعاركِ، ولذلكَ اعتمدا على المكننةِ والتطورِ؛ أوكِلَت مهمةُ قيادةِ ذلكَ الحشد لـ(وزعة)، المعروف بحنكتهِ ودهائهِ.

مركباتُ بحرٍ وأُخرى تحلقُ، وبينهما (الجو برمائية العملاقة)، كلهنَ يسرنَ بانسيابٍ وهدوءٍ؛ منظرٌ مهيبٌ ومرعبٌ.

في أحدِ أكوارِ يفاع الريفية، جديسٌ عجوز تشكو الوحدةَ.

- يا حبيبي، لِمَ تركتَ أمكَ العجوزُ وحدها، والتحقتَ بهم؟ لن يجلبوا سوى الخرابَ، ارجع يا ولدي -ارتفع صوتها- ارجع لن تنفعُكَ الأموالُ التي ستجني، حضنُ أمكَ أولى بكَ.

في كورٍ آخرٍ وسطَ المدينةِ.

- أنا فخورٌ؛ لأنَّ ابني اختارَ طريقَ المجدِ والسعادةِ، نِعمَ الأمرُ هذا، من المفروضِ حدوثَهُ منذُ زمنٍ بعيدٍ، فعائلةُ شدادٍ اغتصبوا الحكمَ من أجدادنا الذينَ كانوا يستعمرون تلكَ البقاعَ الشاسعةَ.

في قرقرَ.

زلعادين لزوجتِهِ.

ستجلبُ هذهِ المغامرةُ الكثيرَ منَ الويلاتِ والثبورِ، فقمبيزُ جُنَ أو باعَ نفسَهُ لـ(حزران)، وأضحى كقزحَ.

في أريضةَ هجرُ تعبرُ عن قلقها لأختها التي وصلت للتوِ في زيارةٍ.

- لا أعرفُ يا (هُجيرةُ)، ماذا أقول؟ القلقُ يكادُ يفتكُ بي، خوفي على الزوجِ والابنِ من جانبٍ، وخوفي على الجمهوريةِ جانب آخر.

مقدرةٌ شعورِكِ، ففي كلِّ مرةٍ يخرجُ فيها يعسوبُ إلى مهامهِ الخطرةِ كنتُ أعاني ذاكَ الإحساسَ.

جندل بشيءٍ من الفرحِ مسامرًا أمهُ.

- أظننا سوفَ نجني الكثيرَ منَ الأموالِ هذهِ الأيام.

أظنُّكَ جننتَ يا معتوهُ، الحربُ على الأبوابِ، وأنتَ تتحدثُ عن جني الثرواتِ -لحظاتُ صمتٍ- كيفَ ذلكَ يا سابقَ سنِكَ؟

نسيتِ أنَّهم فرضوا التجنيدَ الإلزامي على الشبابِ، وهي الفئةُ الأهمُ من منافسي في العملِ -ضحكَ بعمقٍ- سيصبحون بينَ محاربٍ إجباري أو هاربٍ طريدٍ، يالَ فرحتي، سأجعلكِ أغنى جديسةٍ في العاصمةِ.

دعني وأحلامَكَ، قل لي ما جنيتَ هذهِ الليلةَ؟

ها، لا شيء.

شدادٌ ويعسوبُ مع أميرويهِ في جلسةٍ خاصةٍ.

- ستتولى أنتَ الزاخرَ يا يعسوبُ، وأنتَ يا صديقي لكَ البرَ.

أميرويهِ مبتهجًا:

- مرحى، سنبيدهم عن بكرةِ أبيهم، أقسمُ لأجعلنَّهم طعامًا لمطيتي.

في الصباحِ أصبهانُ تنطلقُ بكلِّ نشاطٍ حاملةً الفطورَ إلى سيدِها، لكنَّها لا تجدهُ، فتعودُ حزينةً خاليةَ الوفاضِ.

- هذا فطورُكَ وهذهِ بزتكَ الجديدةُ.

النومُ لا يزلُ يداعبُ الجفون.

- شكرًا لكَ.

صيبٌ يتناولُ فطورَهُ ببطءٍ، وهو يتأملُ ملابسهُ الجديدةَ التي كانت عبارةً عن زيّ محاربٍ، سرت البهجةُ والحماسةُ داخلَ فؤادِهِ.

دونَ مقدماتٍ المكانُ يهتزُ هزاتٍ تصاعديةً مرعبةً.

هرعَ للخارجِ وأغلبُ ظنهِ أنَّ الحربَ بدأت.

صاحَ مذعورًا.

- يا للهولِ! ما الأشياءَ التي أرى؟!

المحاربُ يحاولُ تهدئتهِ.

- حضرتُكَ إنَّهُ (فريد الروح)، أحدُ كائناتِ الحروبِ.

هدئ الفتى، واستعادَ توازنَهُ، ثُمَّ التفتَ ناحيةَ المتكلمِ، وألقى عليهِ تحيةَ الصباحِ مع مطالبةٍ لشرحٍ.

- هذا من أهمِ أدواتِ قتالنا على اليابسةِ، كائنٌ مدرعٌ عملاقٌ يفوقُ حجمهِ حجمَ حوتٍ بقليلٍ كما ترى، ومدرعٌ منَ الجوانبِ بدرعٍ عظمي وَهَبَتهُ إياهُ الطبيعةُ، إضافة للقرونِ

التي تحيطُ بهِ من جميعِ الجوانبِ تجعلُهُ لا يقهرُ في اقتحامِ تجمعاتِ العدوِ، ناهيكَ عنِ العيونِ الكثيرةِ المتناثرةِ بشكلٍ عشوائي على كاملِ جسمهِ، ولديهِ القدرةَ على تغييرِ لونهِ بحسبِ الظروفِ الطبيعيةِ التي يتواجدُ فيها، ورغمَ حجمهِ الهائل، فهو خفيفُ الحركةِ عندما يغضبُ ورشيقٌ يقفزُ لمسافاتٍ تذهلُ، وهو محملٌ بالمعداتِ والمحاربينَ، وذلكَ باستخدام أرجلهِ الأربع في المؤخرةِ، باختصارٍ أقولُ: هو سيدُ اليابسةِ كما حوتٌ سيدُ الزاخرِ، ولا يفوتني إعطائكَ معلومةً إضافيةً عنهُ، ففي حالتِهِ الاعتيادية كسولٌ شرهٌ جدًا.

- شكرًا على الشرحِ الوافي، سأدخلُ أغيرُ ملابسي، ثُمَّ أعودُ إليكَ لنكملَ ما بدأنا أمسِ.

مكانٌ آخرٌ.

- أرسلتَ في طلبي سيدي؟

- أريدُ الجميعَ فورًا لكي نناقشَ الخطةَ.

صيبٌ.

- ها قد أصبحتُ جاهزًا هيا بنا.

في مهدِ أريضةَ الشبابُ بينَ هاربٍ يتلفتُ، ومكبلٍ حزينٍ، فتطبيقُ أمر شدادٍ جارٍ تطبيقهُ، وسيقَ كلٌّ مَن يدخلُ سنهُ ضمنَ الخدمةِ إلى أقفرةِ التدريبِ والتجهيز.

في السوقِ وسطَ الحشودِ، والوضعُ شبهُ فوضوي ظهرَ الحَكَمُ فجأةً، وهو يدقُ الأرضَ بعصاهُ، صاحَ بصوتهِ المرتجفِ.

- ما الذي دهاكم يا قومُ؟ أترفضون الشرفَ والعزةَ؟ أتفضلون الذلةَ والعبوديةً على الموتِ بكرامةٍ؟ موتوا الآنَ وإلا سوفَ تموتون لاحقًا في اليومِ ألفَ مرةٍ؛ تبًا لعبادِ الكروشِ والعروشِ.

غابَ كما ظهرَ دونَ تركِ أثرٍ في نفوسِ مَن استمعوا إليهِ.

عندَ سواحلِ الزاخرِ الغربي.

- انظر سيدي لروعةِ الملابسِ التي يرتدون.

لقد سبقتني في فتحِ الموضوعِ، كنتُ أريدُ سؤالكَ عن غرابةِ ما يرتدونَ، ولِمَ أجسادهم وألوانهم تختلفُ عنا؟

- الملابسُ لها علاقةٌ بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة، ومن ناحيةٍ أخرى لهم نظرية في أنَّ لباسَهم لَهُ دورٌ في تبريدِ

أجسادِهم في أجوائِهم الحارةِ عن طريقِ التعرقِ، أما ألوانُهم هي أمرٌ طبيعي، فأنانكي ونانا أشدُ غضبًا هناكَ.

- وما ذاكَ المخلوقُ غريبُ الهيئةِ والفمِ الذي يصطحبون معهم؟ لا يبدو عليهِ أنَّهُ خاصٌ بالقتالِ بل مجردُ أداةٍ لحملِ الأمتعةِ.

ضحكةٌ باحترامٍ.

- (كامليون)، مخلوقُهم المقاتلُ رقمُ واحدٍ، وفمهُ الذي أثارَ استغرابَكَ بمثابةِ مدفعٍ يطلقُ منهُ مادةً صمغيةً حارقةً، إذا أصابَ بها عدوهُ أحالهُ على الفورِ إلى كومةٍ منَ اللحمِ المشوي، كما أنَّ جسمهُ معَ تلكَ القوائمِ الطويلةِ تتماشى وطبيعةِ الجنوبِ الصحراويةِ، كذلكَ لونهُ الأصفرُ القاتم.

- لا أرى سوى (كامليون)، أيعقلُ أنَّ جيشَهم لا يحتوي إلا عليهِ؟

- بل توجدُ الغاطسةُ، آليةٌ بدائيةٌ بعضَ الشيءِ عملها حفرُ الأنفاقِ لتمكنَ المحاربين منَ الانتقالِ دونَ أن يحسَ بهم العدو؛ أما تلكَ التي يحملون بأيديهم، فهي (قاذفةُ الموت)،

سلاحُهم الخاصُ، وهي شبهُ حيةٍ تتغذى من نفيسِهم عبرَ شريانٍ يربطُ في منطقةٍ تسمى (سرة)، وسطَ أجسادهم.

سارا قدمًا يتفقدان الأشياءَ الأخرى؛ دونَ سابقِ إنذارٍ جذبَ المحاربٌ صيبًا بقوةٍ، وهو يصرخُ.

- احذر سيدي لا تقترب من (انتان)، إنَّهُ خطرٌ غدارٌ.

ركزَ صيبٌ حيثُ اتجهَ رأسُ دليله، فشاهدَ كائنًا حيًّا بنيُ اللونِ كريستالي البنيةِ لَهُ ثمانِ أرجلٍ وجسم طويل مع رأسٍ مثلثٍ دقيقٍ عندَ الفمِ، وعينان حمراوان تنمان عن شراسةٍ وقوةٍ.

- ما بكَ؟ أليس من حيواناتِ القتال؟

- بل مطيةُ أميرويهِ المحارب، لا ولاءَ لهذا الكائنِ إلا لممتطيهِ، ولا وجودَ اليوم على كوكبنا سوى لثلاثةٍ منهُ.

- وزعةُ يطالعُ المعلوماتِ التي وصلتهُ توًا عن العدوِ.

- إذًا الاثنانِ معًا، جميل جدًا، بالتأكيدِ ستكونُ خطتكما جرنا إلى منطقةٍ منتخبةٍ قربَ سواحلكم لتقضوا علينا مستغلين قاعدةَ المهاجمِ يحتاجُ عددًا وعدةً أكبرَ من المدافعِ، لكنّي

سوفَ أضيعُ عليكما الفرصةَ، وأجبركما على بدءِ المعركةِ في المكانِ الذي أريدُ.

نظرَ إلى الخارطةِ، ثُمَّ أشارَ بأحدِ أصابعهِ.

- مجزرتُكم هنا، أتحسبونني مغفلًا؟ سأجعلُ اللاحمة تدكُ المدنَ بالجلجلِ، ثُمَّ أروني حينها كيفَ ستبقون في أماكنكم صامدين؟

نادى أحدَ قادةِ السفنِ طالبًا منهُ إبلاغهُ عن الوقتِ للوصلِ إلى المكانِ المنتخبِ، فأبلغهُ أنَّ يومين فقط أمامهم للوصولِ.

- أُعطِيت الأوامرُ لقائدِ أسرابِ اللاحمةِ بالهجومِ على مهدِ أريضةَ فورَ الوصولِ إلى المكانِ المنتخبِ.

أريضةُ عندَ السواحلِ الغربيةِ، وفي قاعةِ الاجتماعاتِ داخلَ القفيرِ اتفقَ الجميعُ على أن تكونَ الخطةُ دفاعيةً، وأن يستدرجَ العدو لأماكنَ قتلٍ منتخبةٍ.

بعدَ انتصافِ النهارِ غادرَ شدادٌ وابنهُ عائدين إلى المهدِ، وقد أُستقبِلَ الفتى من لدنِ الأمِ اِستقبالَ الفاتحين، ثُمَّ تعرفَ على خالتهِ وابنتها الشابةِ (مريرة)، وبعدَ حوارٍ قصيرٍ معَ ابنتِ الخالةِ وجدَ خلالهُ تطابقًا كبيرًا بينَ أفكارهما.

استمرَ الاثنان في السمرِ حتى وقتٍ متأخرٍ من الليلِ.

هُجيرةُ ضاحكةً.

- استحوذت على عقلكَ بلسانِها الملتوي وأفكارِها المريبة؟

- بل على العكسِ، إنّا نتماثلُ في كثيرٍ منَ الجوانبِ، ولم أعد أحسُ بالوقتِ معها رغمَ أنَّهُ لم يمضِ على تعارفنا إلا وقتًا قصيرًا.

- طيب، لكن لا تأتِ شاكيًا في المستقبلِ.

نامَ الجميعُ أخيرًا.

مع أولِ إطلالةٍ للصباحِ انطلقَ الفتى كالسهمِ باحثًا عن صديقتِهِ الجديدةَ التي شعرَ معها أنَّ العالمَ كلُّهُ كما يريدُهُ.

في الطريقِ.

عينان تتلألأن فرحًا وغبطةً.

- صباحُ خيرٍ سيدي.

- أهلًا، كيفَ حالكِ؟

قبلَ سماعهِ للردِ.

- ألم ترَي مريرةَ، ابنتُ خالتي، تلكَ الشابةُ الحسناءُ؟

هتفَ صوتٌ من خلفهِ.

- أشكرُكَ على الإطراءِ، لقد نعتني بما لا أستحقُ.

التفتَ باسمَ الثغرِ.

- بل نُعتِ بما أنتِ أهلًا لَهُ، فحسنُكِ داخلي قبلَ كونِهِ خارجي، هيا بنا نتجولُ في حدائقِ الكورِ، ونواصلُ ما بدأنا من حديثٍ بالأمسِ.

أصبهانُ تدمدمُ بعدَ مغادرةِ القريبين.

- حسناءُ قالَ حسناءُ، هي أشبهُ بطعامٍ مهروسٍ فاسدٍ تبولت عليهِ القوارضُ.

مضى الوقتُ دونَ أن يشعرا.

تحتَ ظلالِ الشجيراتِ، وعلى مقعدِ حجري مغلفٍ بالهلامِ، والنهارُ قد انتصفَ.

- لكَ عقلٌ سابقٌ لسنكَ -استدركت- كيفَ لا، وأنتَ حفيدُ القريعِ العظيمِ قاهرِ أشرارِ الشمالِ، يقالُ أنَّهُ كانَ عادلًا، وحررَ جديسَ أريضةَ من العبوديةِ.

- أنتِ كذلكَ جديسٌ كاملةٌ، تعرفين لو كنتِ أصغرَ سنًا أو أنا أكبرُ عمرًا لاخترتُكِ تكونين شريكتي المستقبلية.

ضحكةٌ بشيءٍ منَ الاستحياءِ الذي يشوبُهُ الكثيرُ منَ الخبثِ.

- فارقُ العمرِ لا يشكلُ عائقًا أمامَ تقاربِ الفكرِ.

- كلامُكِ صحيحٌ، إذا انتهت الحربُ سوفَ يكونُ ليَّ كلامٌ آخرٌ معَ أبي.

ضحكةٌ أخرى من نفسِ نوعِ الأولى.

انصرفَ الاثنان قاصدان مكانِ الطعامِ.

أصبهانُ تحترقُ حزنًا خلفَ إحدى الشجيرات، ثُمَّ صرخَ صوتٌ من أعماقها يحاولُ إيقاظها.

- يا لكِ من بلهاءٍ! هو موقر وأنتِ خادمةٌ سليلةَ خادماتٍ، أفيقي واستفيقي من أحلامِكِ البنفسجية.

ليلًا شدادٌ وهجرُ في مخدعهما.

- لا أخفيكِ سرًا عزيزتي يساورني القلقُ حيالَ الأوضاعِ الجاريةِ، أخافُ من مكيدةٍ تدبرُ في الداخلِ بدعمٍ من الخارجِ،

كذلكَ ثقتي في القادةِ والمحاربين ضئيلة، رغمَ ادعائِهم الاستماتة والوفاء من أجلي والجمهورية.

- كلُّ شيءٍ سوفَ يجري على خيرِ ما يرام، لا تشغل تفكيركَ سوى بيومِ الانتصار، وكيفَ ستحتفي بهِ؟ كلي ثقة أنَّهُ قريبٌ.

- ليستْ هذهِ المرة يا هجرُ، ليستْ هذهِ المرة، فالعدو مصممٌ على تدميرنا، وقد دفعَ بجلِ قواتهِ لمحاربتنا.

طُرِقَ البابُ.

- مساءُ خيرٍ سيدي.

- أهلًا تفضلي.

- ما لي أراكَ عابسَ الوجهِ حزين؟

- لقد غادرت، ولم أكتفِ منها بعد، غادرت ولا أعلمُ متى ستعودُ مرةً ثانية؛ أتعرفين أصبهانُ، إنَّ مريرةَ تحملُ أفكارًا مطابقةً لأفكاري بل حتى أحلامها ذاتها أحلامي، يالَ روعةِ القدرِ عندما يفعلُ فعلهُ.

ـ ما المميزُ فيها سيدي؟ لا أراها سوى أنثى كبقيةِ الإناثِ؛ نعم، الحقُّ يقالُ لها قوامٌ منحوتٌ بدقةٍ، لكنَّ ذلكَ لا يغيرُ منَ الحقيقةِ شيء، هي أنثى في نهايةِ المطافِ.

ـ أنا لا أبحثُ عن الجسم وما شاكله بل عنِ الروحِ التي تسكنهُ، هل هي نقيةٌ ذكيةٌ أم خبيثةٌ ساذجةٌ؟

صمتت ولم تجبهُ، ثُمَّ انسلت دونَ أن يحسَ بها وغادرت الغرفةَ فقد كان غارقًا في تأملاتهِ يناجي البيضاءَ.

عندَ بابِ الغرفةِ فاجأتها مرجانةُ وعيناها محمرتان كجمرتي موقد.

صباحٌ مشرقٌ زاهٍ مرَّ بهدوءٍ وسكينةٍ، ثُمَّ جاءَ الليلُ بهمساتِهِ وعشاقِهِ، فمرَّ هو الأخرُ.

في اليومِ التالي.

صوتٌ مرعبٌ في السماءِ أشبهُ بصراخِ مدوي هزَّ المدينةَ بأكملها من أكثرِ من اِتجاهٍ، ثُمَّ تبعتهُ أصواتُ انفجاراتٍ، فصراخٌ وبكاءٌ وعويلٌ وآهاتٌ.

كانت تلكَ الغارةُ الأولى للّاحماتِ اللائي ألقينَ فيها كميةٍ كبيرةٍ من الجلجلِ الذي هو عبارةٌ عن قنبلةٍ كبيرةٍ أشبهُ

بصندوقٍ معدني ينفجرُ عندما يقترب من الأرضِ، فتخرجُ منهُ أجسام شبهُ حيةٍ أحجامها صغيرة بحجمِ الإصبع مزودةٌ بأجهزةِ تعقبٍ للحرارةِ، ولها أرجلٌ، تتعقبُ أيَّ شيءٍ حي جريًا أو قفزًا، وأنواعٌ أخرى لها أجنحةٌ، ثُمَّ تدخلُ جسم الهدفِ لتستقر في بطنهِ وتنفجرُ.

نزلَ شدادٌ معَ مرافقيهِ ليرى هولَ ما حدثَ، ولأولِ مرةٍ منذُ زمنٍ سحيقٍ الجثثُ ملقاةٌ في كلِّ مكانٍ؛ النحيب في كلِّ زقاقٍ.

صرخَ أحدُهم.

- عادَ العدو، عادَ العدو، انجوا بحياتكم.

- على الفورِ أُخليَّ القريعُ، كانت هذهِ المرةُ هديةُ وزعة هي (الصقاطات)، قنابلٌ من اختصاصها دكَ البناياتِ الكبيرة والمحصنة، فدفنَ العديدُ من جديسٍ أحياءً تحتَ أنقاضِ أكوارِهم.

وزعةُ مبتسمًا أثناءَ مشاهدتِهِ النقلَ الحيّ لما تفعلُهُ المركباتُ.

ليريني شدادٌ الرعديدُ كيفَ سيعالجُ هذا.

أطرقَ قائلًا:

- قمبيزُ باعَ روحهُ لقزحَ، أليسَ كذلكَ يا بطلُ؟ أريني بطولاتكَ المزعومة يا حفيدَ اللصوصِ.

مرَّ بعضُ الوقتِ، وانتشلَ الضحايا.

شدادٌ يظهرُ مجددًا للجميعِ ليلقي عليهم خطابهُ الحزين.

- يا شعبَ جمهوريتنا المجيدُ يا أبناءَ مهدِ أريضةَ الأعزاء؛ غدرَ الغادرون، وكشرَ الشرُ عن أنيابِهِ نافثًا سمومَهُ بأنفاسِهِ الحقيرةِ.

صرخَ شيخٌ كانَ يتسكعُ في إحدى الحاناتِ.

- أسكتوا هذا المجنونَ، أسكتوهُ.

ثُمَّ التفتَ مخاطبًا الشاشةَ.

- لقد ماتَ بسببِكَ اليومَ العشراتُ، وأنتَ تتمنطقُ، تبًا لكَ.

ما هي سوى دقيقة حتى تلقفَهُ الشرطةُ، ولم يرَهُ أحدٌ بعدها.

جندلُ قالَ محدثًا صديقهُ:

- الشيخُ جنَ، لو كنتُ مكانَهُ لما تفوهتُ بذلكَ الكلامِ.

وما يدريكَ لعلَّهُ أحدُ المفجوعين بابنٍ أو زوجةٍ أو حتى عائلةٍ.

في الكورِ.

- أمي إلى متى سنبقى تحتَ الأرضِ؟

- حتى يأذنَ أبوكَ لنا.

- جاءت الأوامرُ أن يبيتَ كلُّ مواطني العاصمةِ في الملاجئِ، وأن توزعَ عليهم الأغطيةُ، ووجباتُ الطعامِ المجانيةِ، فكانَ تهافتُ الفقراءِ لا يمكنُ وصفهُ.

في قرقرَ قمبيزُ هو الآخرُ يخطبُ شعبَهُ:

- يا أبناءَ أُمتنا العظيمة اليوم أبناءكم الذين غادرونا منذُ فترةٍ ليقتحموا المخاطرَ، ويحفظوا كرامةَ الأمةِ من أيِّ تدنيسٍ قاموا بأولى صولاتهم، ودكوا أبراجَ الشرِ، فقتلوا العديدَ منَ الأعداءِ المارقين.

زلعادين يحدثُ نفسهُ:

- ستجلبُ لنا الكثيرَ منَ الحزنِ والخرابِ.

شدادٌ بصوتٍ حازمٍ.

- جهزوا ليَّ مركبتي فورًا.

نزلَ إلى تحتَ الأرضِ ليودعَ عائلتَهُ، وهو يرتدي بزتهُ الحربية الأنيقة.

صيبٌ مستنجدًا أباهُ.

- أرجوكُ أبي، أرجوك سيدي لا تتركني هنا معَ الإناثِ والمقعدين، خذني معكَ.

- لِمَ الصراخ؟ هذا أمرٌ لا يحتاجُ لكلِّ هذهِ الجلبةِ.

صرخت هجرُ راجيةً.

- شدادٌ لا تعم على عومهِ، إلى أينَ تريدُ اصطحابهُ؟

- دعيهِ اليومَ هو جديسٌ واعٍ وقوي، ولن يكونَ أغلى على قلبي من محاربيّ الذينَ سيضحون بأرواحهم من أجلِ الجمهوريةِ.

بينما صيبٌ وأبوه في طريقهما إلى السواحلِ الغربيةِ وصلت أنباءُ إغارة العدو على مدنٍ شرقي وجنوبي الجزيرة، والخسائرُ فادحةٌ، فاستعرَ قلبُ شدادٍ غيضًا، وأخذَ يفكرُ بطريقةِ ردٍ رادعٍ موجع.

وصلَ القريعُ، وأحيطَ بقادتهِ في قاعةِ الاجتماعاتِ، ثُمَّ دارَ الحوارُ واستعرت الأخبارُ عن فتكِ العدوِ بمزيدٍ منَ الأبرياءِ.

شدادٌ في ثورةِ غضبٍ.

- أخبروني أينَ هم الآنَ؟

أشارَ يعسوبُ إلى الخارطةِ.

- هنا حضرتُكم، يتمركزون هنا بعيدًا عن حدودِنا المائية، أظنُّ اللعينَ وزعةَ قد قرأَ أفكارنا، فهو يريدُ الضغطَ علينا من خلالِ غاراتهِ لنخرجُ إليهِ، وبذلكَ يفقدنا عنصرَ التمترسِ خلفَ دفاعاتنا.

- لا يهمني مَنِ اللعينُ، ومَنِ الرحيمُ، المهمُ إيقافُ نزيفِ نفيسِ شعبي فورًا، ألا توجدُ لدينا مركباتٌ تصلهم؟ ألا توجدُ لدينا قاذفاتٌ تدكُ سفنهم؟ هيا أخبروني.

- سيدي لدينا مركبات، لكن إن أرسلناها سنتكبدُ خسائرًا كبيرةً، هم يملكون دفاعاتٍ جوية تفوقُ قدرات سفننا على المقاومةِ أو التملصِ منها.

نهضَ أحدُ القادةِ طالبًا الإذنَ بالحديثِ، فأوماً لهُ شدادٌ بالموافقةِ.

- لدي فكرةٌ لعلّها تجدي؛ أرى أن نجعلَ مركباتنا الجوية تعترضهم، وتشتبكُ معهم عنَد دخولِهم أجواءنا علنا بذلكَ نخففُ حجمَ الضغطِ الذي يريدون إحداثهُ علينا.

اقتراحٌ لا بأسَ بهِ، اعملوا عليهِ فورًا، ووظفوا كلَّ وسائلِ الرصدِ في جميعِ أمصارنا، وإن حدثَ ونمى إلى علمي أنَّ هناك تقصير من محارب أو قائدٍ سأقتلهُ بيدي.

في العاصمةِ بدأَ جديسٌ يعودون تباعًا إلى كيرانِهم بعدَ ليلةٍ شاقةٍ تحتَ الأرضِ، وبينما هم يتنقلون بينَ الأزقةِ باغتتهم قنابلُ الجلجلِ.

جندلٌ يحتضنُ أمَهُ.

- أماه.. يا أماه، وا ويلتاهُ، وا مصيبتاهُ!

صمتٌ قصيرٌ ترافقهُ دموعٌ حارقةٌ، ووجهٌ محتقنٌ، ثُمَّ صرخَ بأعلى صوتِهِ.

- اللعنةُ على الحروبِ، اللعنةُ على الأطماعِ، اللعنةُ عليكَ يا شدادُ، اللعنةُ عليكَ لعنةً ترافقكَ أينما ذهبتَ، تبًا لكَ ولعائلتِكَ، أولها سلبتموني عيني وها أنتُم تسلبوني روحي.

اختفى الفتى بعدَ إطلاقهِ تلكَ الكلماتِ.

الفصل التاسع

-الحوثُ-

أحدُ المحاربين.

- عظمتُكَ، فشلت خطةُ الاعتراضِ وخسرنا كلَّ المركباتِ المعترضةِ.

صراخٌ وانفعالٌ وهستيرية.

- اهجموا، لم يبقَ أمامنا سوى الانقضاضِ عليهم.

يعسوبُ مضطربًا.

- لا تتسرع سيدي، ستبادُ سفننا، وتقتلُ حيتاننا إن تحركنا بعفويةٍ، دعنا نتدبرُ الهجومَ بهدوءٍ ورويةٍ.

- هذا شعبي ليسَ شعبكَ، وهؤلاءِ محاربي ليسوا ملككَ، أصدر الأوامرَ بالتحركِ بعدَ ظهرِ اليومِ.

وزعةُ، وهو يقهقهُ طرِبًا.

- أنا متأكدٌ من أنَّ شدادًا لن يصبرَ، وسيأمرُ بالهجومِ الشاملِ.

أحدُ المحاربينَ المقربين.

- نأمرُ بالانقضاضِ عليهم وسطَ الزاخرِ حتى ننهكهم فيصلونا ممزقين؟

- لا، بل تتركونَهم يصلون إلى هنا بمنتهى الحرية، أريدُ إنهاءهم بضربةٍ واحدة؛ أخبر الباقينَ بالأمرِ.

قبلَ أن يغلقَ المحاربُ البابَ خلفَهُ.

- بالمناسبةِ أخبرهم أيضًا، لا أسرى في هذهِ الحربِ، وأرسل ليّ المحاربةَ (تينا)، عندي اجتماعٌ سري معها.

- أميرويهِ يطلبُ الإذنَ بالدخولِ على شدادٍ تبعهُ يعسوبُ، وبعدَ طولِ انتظارٍ سمحَ لهما.

- اسمعا، إن كان مجيئكما بخصوصِ إلغاءِ قراري، فهذا مستحيلٌ.

أميرويهِ.

- بل جئتُكَ بخطةٍ لتعزيزِ قراركم.

يعسوبُ مستدركًا.

- وأنا مثلهُ.

غيرَ شدادٌ من جلستِهِ، وأنارَ وجههُ الذي أظلمَ.

- كان صيبٌ في تلكَ الأثناءِ يقومُ بجولةٍ ليست للاطلاعِ بل من أجلِ التدريبِ على السلاحِ.

القريعُ حازمُ الملامحِ مشدودُ العزمِ.

- يا أميرويهِ، انطلق رافقتكَ السلامةُ؛ أما أنتَ يعسوبُ، فجرد الحيتانَ من كلِّ سلاحٍ تحملهُ ما عدا المدفعَ الرئيسي، ولا تبدأُ بذلكَ إلا في أعماقِ الزاخرِ، وأنتم متوجهين إليهم.

- كيفَ ذلكَ؟

- ترافقكم مركباتُ الشحنِ التي ستحملُ الأسلحةَ والدروعَ، ثُمَّ تعودُ بها، والحوتُ يتحركُ باتجاهِ العدو الذي بالتأكيدِ سيكونُ يرصدُ ذبذباتِكم في الأعماقِ عن طريقِ رصدِ المعدن، ولن يتمكنَ من رصدِ حوتٍ الذي يحملُ المدفعَ الرئيسي لأنَّهُ مصنوعٌ من عظامِ ملكِ الزاخرِ وذخيرته من أحشائهِ.

أميرويهِ يعطي أوامرَهُ لمحاربيهِ.

- هيا يا أبطال، علينا المغادرةَ إلى البلادِ، حملوا كامليون، وما جئنا بهِ، فقط اتركوا بعضَ المحاربين ونصفَ عددِ الغاطسات.

وصلَ الخبرُ لوزعةَ، والمحاربةُ بينَ أحضانهِ، فانتفضَ واقفًا.

- إذًا العدو قادمٌ، أويعتقدُ نفسَهُ ذكيًا بإرسالهِ عددًا من حيتانهِ البلهاء وآلياتهِ الصدئةِ؟ هل سمعَ بأننا عمينا عن رصدِهم في الأعماقِ؟

لحظاتُ تأملٍ قصيرةٌ.

- لكنَّ موقفَ أميرويهِ فيهِ شيءٌ منَ الغرابةِ.

تينا: ما الغرابةُ في ذلكَ؟ أنتَ تعلمُ مدى إيمانِ إعصار بنظريةِ المؤامرةِ التي تسري في جسمهِ، إنَّهُ مدمنُ شكوكٍ؛ لذلكَ أرسلَ في طلبِ قائدِ جيشهِ المخلص لأنَّ وساوسَهُ أخبرتهُ بوجودِ انقلابٍ أو ما شابهَ، ولكي يكونَ لبقًا تركَ لصديقهِ المحتار عددًا منَ المحاربين، وشيئًا من خردتِهم المسماةُ غاطسة.

ضحكَ وزعةُ.

- أبهرتني، متميزةٌ في كلِّ شيءٍ أنتِ.

صيبٌ يسألُ مدربهُ عن بعضِ الأمورِ التي تتعلقُ بما يفعلونهُ، وكان قد استساغَ الأمرَ بعد أن راودَهُ إحساسٌ أنَّهُ وجِدَ لهذا، فأخذَ يطلبُ المزيدَ والمزيدَ.

أميرويهِ لبعضِ قادةِ محاربيهِ.

- يا أبطالُ، بعدَ وصولنا إلى البلادِ سوفَ نتوجهُ من فورنا للانقضاضِ على عدونا الأزلي (يفاع)، متخذينَ من طريقِ (برزخ الغيبة)، مسلكًا لنا، فهو مؤمنٌ تمامًا من أيِّ تجسسٍ ولا يمكنُ لفضائيهم أن يخترقَهُ.

وزعةُ يسألُ عن العدوِ بعدَ مضي أيامٍ معدودةٍ لم يتوقف فيها عن إرسالِ مركباتهِ القاصفةِ إلى المهدِ وشقيقاتها بل حتى أنَّهُ فكرَ في إرسالِ بعضها لتأديبِ إعصار.

- سيدي هناكَ أمرٌ غريبٌ يحدثُ معَ العدوِ.

- ما هو؟

- بدأت أعدادهم تتناقصُ، وهم يتراجعون عائدين شيئًا فشيئًا، لم يعد يظهرُ أمامي منهم على شاشةِ المراقبةِ سوى القليلِ.

صاحَ متعجبًا: انظر سيدي، ها هي تختفي دونَ أثرٍ، أمرٌ عجيبٌ.

غضبٌ وانفعالٌ.

- لِمَ لمْ يخبرني أحدٌ من قبلُ بمثلِ هكذا حدثٍ؟ أتآمرتم عليَّ أم ماذا؟ ما المسافةُ التي تفصلُ بيننا والعدو؟

- خمسون (أكتوتار زاخري)، فقط.

- إذًا أرسل الجاسوسةُ الصغيرةُ (ترونا)، لنرى ما الخطبُ.

انطلقتْ الغواصةُ الصغيرةُ تجسُ لكنَّها لم تعد أبدًا.

صمتٌ قصيرٌ، أعقبتهُ أصواتُ انفجاراتٍ مدويةٍ صرخت في كلِّ مكانٍ حولَ سفنِ قرقرَ ويفاع، اللاحمةُ بدأت تتهاوى دونَ سابقِ إنذارٍ.

قذائفُ الخليك تملأُ الأرجاءَ.

الجميعُ يصرخُ، مِن أينَ مصدرُ الهجوم؟ لا ردّ يشفي الصدورَ، فشاشاتُ الرصدِ لا تُظهِرُ شيئًا.

لم يتوقف صوتُ الدويّ حتى أحالَ جزءًا لا بأسَ بهِ من سفنِ ومركباتِ العدو لقطعٍ متناثرةٍ تغطسُ أو تطفو في الزاخر، ثُمَّ أتى الهدوءُ المخيفُ.

عندَ السواحلِ الغربيةِ وصلَ الخبرُ لشدادٍ، فأمرَ بإعدادِ العدة لخطابٍ ناري يطمئنُ من خلالهِ شعبهُ أنَّ الخسائرَ التي حدثت في صفوفِهم لم تذهب سدى، وطلبَ منهم النومَ هانئين قريري الأعين، فلن يسمعوا أصواتَ صريرِ الجلجلِ، وهو يخترقُ لحومَهم.

بعدَ انتهائهِ منَ الخطابِ طلبَ منَ القادةِ تهيئةِ ألف حوتٍ آخر ليكونوا بدلاءً، وأمرَ بتحميلِ تلكَ الحيتانِ بالمؤنِ خاصةً نبتةُ رأس الهريرِ.

في قرقرَ الأخبارُ تردُ تباعًا، والجميعُ منزعجٌ.

قمبيزُ انتابتهُ نوبةٌ عصبيةٌ، فأرعدَ وأزبدَ، وراحَ يسيرُ ذهابًا وإيابًا في مكتبِهِ كالمجنونِ.

مرَّ الليلُ على أسطولِ قرقرَ وحليفهِ ثقيلًا؛ وزعت مهامُ المراقبةِ والحراسةِ على المحاربين بعدَ استقرارِ رأي قائدِهم بالاعتمادِ على البصرِ، كذلكَ أمرَ الفنيينَ أن يحاولوا جهدهم

تحويلَ بعضِ الأسلحةِ للنظامِ التقليدي، ليكونَ التحكمُ كلَّهُ من قبلِ جديسٍ مختصٍ.

معَ أولِ إطلالةٍ للصبحِ اِنهالت عليهم مئاتُ القذائفِ منَ الخليكِ الملتهبِ لتوسعَهم موتًا وحرقًا.

وزعةُ في حالةٍ هستيريةٍ على إحدى السفنِ.

- أخبروني أينَ المدافعُ التقليديةُ.

- سيدي، نقومُ بتجهيزها الآنَ، لكنَّ المشكلةَ بعدمِ وجودِ مَن يجيدُ العملَ عليها، علينا الانتظارُ ريثما ندربُ بعضَ المحاربين.

صرخَ: جهزوا ليَّ أحدها على الفورِ.

امتطى صهوةَ المدفع، وكانَ غايةٌ في الدقةِ، لكن على مَن؟ على مصدرِ نيرانِ العدو، ما الفائدةُ من ذلكَ، فالمصادرُ في الأعماقِ.

بينما هو على تلكَ الحالةِ منَ الانفعالِ ظهرَ أمرٌ عظيمٌ من الزاخرِ، جسمٌ كبيرٌ قفزَ من الأعماقِ المظلمةِ ليحجبَ أشعةَ أنانكي، وهو في عرضِ السماءِ، ثُمَّ عادَ من حيثُ أتى بعدَ

إذهالِ الجميع، ومنهم وزعةُ الذي امتنعت أصابعهُ الأربعَ عشرةَ من الضغط على الزنادِ.

كان حوتٌ بالتأكيدِ، لكنَّهُ مستهترٌ يقودُهُ طائشٌ مغامرٌ.

عادَ لوزعةَ رشدهُ بعدَ ابتلالهِ بالمياهِ، وعادَ معَهُ الغضبُ والصراخُ؛ بعدَ انطلاقِهِ ناحيةَ قمرةِ القيادةِ بهدفِ مطاردةِ المستهزئ، لحقهُ أحدَهم يهتفُ.

- سيدي، أسطولُ القائدِ (شرشابين)، ينسحبُ.

- هذا ما كانَ ينقصنا.

وصلت أخبارُ هجومِ أميرويهِ على السواحلِ الجنوبيةِ ليفاعٍ، واحتلالهُ الشبهُ كاملٍ لثلاثِ مدنٍ.

بعدَ صمتٍ طويلٍ غاصَ فيهِ القائدُ المخضرمُ، أطلقَ ضحكةً مجنونةً، ثُمَّ أخذَ يصيحُ قائلًا: أحسنتَ أميرويهِ، رائعٌ يعسوبُ.

استغلَ يعسوبُ ما آلت إليهِ الأحداثُ، فنشرَ خمسمائةِ حوتٍ محتلًا أماكنَ تواجدِ الأسطولِ المنسحبِ ليحكمَ الخناقَ على العدوِ، وبذلكَ قطعَ الطريقَ أمامَ أيِّ إمدادٍ، فبدأت مرحلةٌ جديدةٌ هي الحصارُ الخانقُ لإجبارِ العدوِ على الاستسلامِ بعدَ

نفادِ مؤنِهِ منَ الطعامِ، وكذلكَ تجنيبِ الجيشِ أيَّ خسائرٍ غيرِ مرغوبٍ بها إذا ما دخلَ في صدامٍ مسلحٍ؛ هذا ما كتبهُ يعسوبُ إلى سيدِهِ.

أرسلَ شدادٌ لقائدِ المحاربينَ يقولُ: بعدَ المباركةِ على العملِ المقدامِ يا همامُ، أريدُ منكَ إبلاغَ جميعِ قادةِ الحيتانِ أن يأمروا سادةَ الزاخرِ بأن يأمروا جميعَ المخلوقاتِ بالابتعادِ عن أماكنِ تواجدِ أسطولِ العدوِ لضمانِ إحكامِ الحصارِ.

فورَ وصولِ خبرِ حصارِ أسطولِ قرقرَ، وانسحابِ أسطولِ يفاع منَ المواجهةِ اشتعلت المهدُ بمظاهرِ الاحتفال والفرحِ رغمَ الخرابِ والدمارِ.

أما الجانبُ الآخرُ، فالهلعُ والخوفُ معَ مظاهرِ الحزنِ كانوا سادةَ المسرحِ.

صدرت الأوامرُ بتحريكِ بقيةِ القطعاتِ تجاهَ العدوِ حتى تحصلَ الحيتانُ ومن معها من جديسٍ على الدعمِ الكافي.

وزعةُ بعدَ أن هدئَ قليلًا، بدأَ يأخذُ الأمورَ برويةٍ، أصدرَ أوامرَهُ بالمحاولةِ قدرَ الإمكانِ المحافظةَ على المؤنِ والعتادِ وأرواحِ المحاربينَ خاصةً بعدَ تيقنِهِ من أنَّهُ لا أملَ يرجى

من قمبيزَ في إرسالِ قوةٍ من حرسهِ الخاصِ الذي يتجاوزُ عددهم العشرين ألفًا.

سادَ الهدوءُ لدى الجانبينِ نوعًا ما، ولم يعد يسمعُ دويُّ المدافعِ إلا قليلًا.

شدادٌ يصدرُ أوامرَ جديدةٍ.

- أريدُ إرسالَ خمسٍ من (غيثومَ المدمرةَ)، يرافقهنَّ عشرون منَ الصغارِ يتجهنَّ إلى (شاليم)، عاصمةِ قرقرَ ليمطرنَ بؤرةَ الشرِ والفسادِ بوابلٍ منَ اللهيبِ المستعرِ.

في تلكَ اللحظاتِ وصلت رسالةٌ من هجرَ.

"عزيزي المفدى، أرجو أن تكونَ بصحةٍ جيدةٍ، قد أفرحتنا أخبارُ انتصاراتِكم على العدوِ، نحنُ هنا بخيرٍ؛ سيدي ليَّ طلبٌ عندكَ أتمنى منكَ إرسالَ ولدي لأراهُ فترةً قصيرةً، ثُمَّ يعودُ ليكونَ برفقتكم والأبطالَ من أبنائنا؛ زوجتُكم المحبةُ".

كانت نبرةُ صوتِها حزينةٌ تعبقُ بشذى الاشتياقِ.

لم يبخل عليها الأبُ.

- تجهز ستبيتُ في حضنِ أمِكَ، وغدًا ترجعُ؛ هذا أمرٌ أيُّها المحاربُ الصغيرُ.

في قرقرَ التي ذاقَ أهلُ عاصمتها من نفسِ الكأسِ الذي شربَ منهُ أهلُ المهدِ.

عويلٌ وصراخٌ، أكوارٌ مهدمةٌ، وجثثٌ متناثرةٌ في الطرقاتِ.

قمبيزُ داخلَ مقرهِ.

- لا أريدُ رؤيةَ أحدٍ منكم، اخرجوا جميعكم.. هيا.

صمتٌ معَهُ خطواتٌ مضطربةٌ تجيءُ وتغدو، واليدان معقودتان خلفَ الظهرِ، ثُمَّ لحظاتُ تفكيرٍ متخبطٍ.

- عليَّ إرسالَ رسالةٍ شديدةَ اللهجةِ لشدادٍ أُهددهُ فيها، لا بل أُرسالها إلى إعصارٍ، ها لا لا بل لوزعةَ الغبي، هو مَن وضعنا في هذا المأزقِ بخططِهِ البلهاء.

في أحياءِ شاليم.

- كيفَ حالكَ زوجي العزيز؟

- بخيرٍ، أنتِ والجميعُ بخيرٍ؟

- أجل، لكنَّ جارنا زلعادين قتلت زوجتُهُ وصغارُهُ.،

في أريضةَ عناقٌ حارٌ.

- حبيبي، أراكَ مشرقَ الوجهِ باسمَ الثغرِ؟

- أجل أماهُ، قد استفدتُ واستمتعتُ كثيرًا.

- هذهِ الليلةُ مكانُكَ هنا بينَ أحضاني، سنقضي الليلَ سمرًا وحكاياتٍ.

في الصباحِ، وبعدَ مغادرةِ صيبٍ عائدًا إلى أبيهِ.

- مرجانةُ، أعدي ليَّ مركبتي، وأخبري قائدها أنَّ الوجهةَ السوقُ الخاصُ.

- عذرًا على التطفلِ، لكنَّ الأفضلَ إرسالي في طلبِ ما تحتاجينَهُ بدلَ الخروجِ بنفسِكِ، فالأوضاعُ في الخارجِ مضطربةٌ.

- أريدُ شكرَ شدادٍ بطريقتي، وهذا الأمرُ يحتاجُ خروجي بنفسي للتبضعِ، هيا نفذي أمري.

بينما أمُ الطائفةِ وخادمتها تتجولان في أروقةِ السوقِ برزت أمامَ هجرَ أنثى بارعةَ الجمالِ مستقيمةَ القدِ فاتنةَ العينين.

تقدمت ناحيتها بخطا معتدلةٍ هادئةٍ وهي تبتسمُ برقةٍ، وعندَ اقترابها بما يكفي مدت يدها في جيبها، ثُمَّ أخرجت (خنجرًا) حادَ النصلِ جعلتهُ يستقرُ داخلَ صدرِ هجرَ في الجهةِ اليمنى حيثُ قلبها الفرحُ الذي كانَ ينبضُ.

لحظةُ سكونٍ تامٍ جاءت بعدها صرخةٌ مدويةٌ.

- خذي تحيتي لكِ سيدتي أمُ الطائفةِ يا زوجةَ القاتلِ العتيدِ.

جلست على الأرضِ بجوارِ المحتضرةِ، وهي تراقبُ النفيسَ الذي يتدفقُ بغزارةٍ.

ضحكٌ هستيري، ثُمَّ أخذت تخضبُ شعرَ رأسها من الأبيضِ النازفِ، وهي تقولُ بأعلى صوتها.

- أخذتُ بثأركَ يا حبيبي، أخذتُ بثأركَ.

حضرَ الشرطةُ والحرسُ الخاص؛ أما الوصيفةُ، فلم تنطق أو تحركُ ساكنًا، فصدمتها أكبرُ من أيِّ ردةِ فعلٍ ممكن أن تصدرَ في مثلِ هكذا مواقف.

أُلقيَّ القبضُ على الجانيةِ، وتم التحقيقُ معها، واعترفت بكلِّ شيءٍ دونَ مقاومةٍ.

أما الجثةُ، فنُقلت إلى مكانٍ آمنٍ ليحتفظَ بها حتى عودةِ الزوجِ، وقد أمرَ القريعُ أيضًا بعدمِ إشاعةِ الخبر لحينِ انتهاءِ الحرب، وتمَ رفعُ محضر التحقيقِ صوتًا وصورةً، وقد جاءَ فيهِ.

المحقق: ما اسمكِ؟ من أينَ؟ وما الذي دفعكِ لفعلتكِ هذهِ؟

- أنا (مهاري)، كنتُ أسكنُ قرقرَ، لكن أصلي من أريضةَ، عدتُ معَ الذين عادوا خوفًا من الانتقامِ، وقد فعلتُ ما فعلتُ انتقامًا لكبيرِ الوزراءِ زوجي ولابنتهِ التي أضحت يتيمةَ الأبِ.

لكنَّ الخائنَ كبيرَ الوزراءِ كانَ متزوجًا ومعروفة زوجتهُ وأطفالهُ، وقد عوقبوا بعدالةٍ، فلما الكذبُ؟

- أنا زوجتهُ السريةُ؛ أنثاهُ تحتَ العشقِ كما تسمونها أنتم.

- هل أنتِ نادمةٌ على ما فعلتِ، وتطلبين السماحَ؟ أطلبيهُ لعلّنا نجدُ لكِ طريقةَ موتٍ سريعةٍ.

- لستُ نادمةً، ولو تكررَ الموقفُ لأعدتُ ما فعلتُ عشراتِ المراتِ بل أنا فخورةٌ، وفي يومٍ ما ستقتلُ ابنتي ابن المجرم، هذا ما علمتها إياهُ.

ضحكةٌ هستيرية تبعتها شهقةٌ عنيفةٌ عاليةٌ وفارقت الحياةَ بعدها.

لا يمكنُ وصفَ الحزنِ الذي غرقَ فيهِ شدادٌ، لكن ما العمل؟ فالمواجهةُ التي يخوضها أعظمُ وأكبرُ، وعليهِ إظهارَ رباطةُ جأشٍ وإلا إنهارَ كلُّ شيءٍ.

أميرويهِ يرسلُ رسالةً صوتيةً إلى شدادٍ.

- سيدي، أُرسلُ إليكَ أخبارَ صمودنا في المدنِ الثلاث التي سيطرنا عليها، وها نحنُ نستنزفُ العدو، ونكبدهُ خسائرًا فادحةً في كلِّ محاولةٍ لهُ اقتحامَ دفاعاتنا، فقد استخدمنا مواطنيهم دروعًا ممّا عطلَ هجماتهم الجوية؛ حقيقةُ الأمرِ لا أستطيعُ وصفَ ما يحصلُ عندي بشكلٍ دقيقٍ، فكما تعلمُ منذُ الصغر لدي ضعفٌ في التعبيرِ، سوفَ أرسلُ لكم كلَّ جديدٍ.

عندَ وزعةَ الأمورُ غايةً في الاضطرابِ؛ الحصارُ اشتد، والطعامُ يكادُ ينفد؛ محاولاتُ اصطيادِ شيءٍ من الزاخرِ باءة بالفشلِ، كذلكَ العتادُ باتَ قليلًا.

قمبيزُ لا يستجيبُ لطلباتِ قائدِ جيشهِ في إرسالِ الحرسِ، والحليفُ مشغولٌ بنكباتهِ؛ أما الفتى الصغيرُ فأضحى مشغوفًا بالتدريبِ، وانغمسَ في التعلمِ حتى نسي كلَّ ما حولِهِ.

مضت أشهرٌ مما تعدون، والحالُ في يفاعَ على ما هو عليهِ؛ استنزافٌ في استنزافٍ.

- أخبرني يا مستشاري، أليسَ هذا هو الرأيُّ الأصوب؟ إن بقينا على هذا الحالِ سوفَ ينهارُ كلُّ شيءٍ، وحليفنا الوحيدُ حالهُ لا يختلفُ عنا.

- نِعمَ الرأي رأيكَ، لا أرى أنجعَ منهُ ولا أصوبَ.

- إذن أرسلُ إلى قائدِ محاربينا، وأخبرهُ بأن يحاولَ عقدَ الصلحِ، وإبرامُ معاهدةً مع أميرويهِ اللعين، ومعرفةُ ما طلباتهم مقابلَ الانسحابِ.

الأحوالُ عندَ وزعة.

- سيدي (جعلوس الشره)، يريدُ رؤيتكَ.

نظرَ إلى الهاتفِ بوجهٍ شاحبٍ وعينين ذابلتين؛ كانَ منظرُهُ فظيعًا، فلم يغتسل منذُ مدةٍ، وحولهُ الكثيرُ من بقايا (الإكستاسي)، تلكَ المادةُ المخدرةُ.

- دعهُ يأتي.

أنفاسٌ لاهثةٌ، وبطنٌ مترهلٌ بعدَ أن كانت منتصبةً منتفخةً في ما مضى من أيامٍ.

- سيدي نفدَ الطعامُ نهائيًا، لم يبقَ شيءٌ يؤكلُ.

بتهكم.

- أكانَ هناكَ شيءٌ يؤكلُ منذُ أسبوعٍ أنصرم؟ حتى (الطاز)، الذي كنا نخلطهُ بالماءِ نفدَ، أرجوكَ سيدي جد لنا حلًا، حتى لو اضطررتَ للاتصالِ بالعدوِ.

احمرتْ عيناهُ، وكشرَ عن أسنانِهِ التي أحالتها الإكستاسي إلى خرائب سوداءٍ.

- أتريدُ وزعةَ الذي قهرَ الجبالَ والفيافي، وزعةُ الذي وطِئَ بقدميهِ رؤوس الأبطالِ يكلمُ عدوهُ ليرجوهُ شيئًا من طعامٍ؛ أُغرب عني وإلا أحلتكَ جثةً هامدةً.

أميرويهِ يرسلُ إلى إعصارٍ.

- لقد عرضَ اليفاعيون الصلحَ، ويريدونَ معرفةَ شروطنا مقابلَ الانسحابِ من أراضيهم بالكاملِ. أنا أرى بعدَ رأيكم السديد أن ننسحبَ مقابلَ ما ترونَهُ مناسبًا، ثُمَّ ننطلقُ لتعزيزِ قواتِ القريعِ. التوقيعُ خادمكم والخاضعُ لأوامركم أميرويهِ.

أجابهُ إعصارٌ.

- نِعمَ الرأيُّ رأيكَ، أبلغهم أننا موافقون على عقدِ معاهدةٍ ومهادنةٍ معهم، وألّا يشاركون قمبيزَ بأيّ عملٍ حربي ضدنا

أو حليفنا، وألّا تقتربَ سفنهم من حدودنا؛ هذا فقط ما نريدُهُ، وأتركُ لكَ حقَّ إضافةِ ما تراُه مناسبًا في الشأن العسكري.

التوقيع: الحاكم.

وزعةُ يحدثُ نفسَهُ.

- أراسلهم قال! تبًا لكَ، نقصُ الطعامِ أفقدكَ صوابكَ.

هتفَ صوتٌ من دهاليزِ عقلهِ يحدثهُ.

- لِمَ لا تخاطبهم وتراسلهم بل حتى تهادنهم وتعاهدهم، ما الذي ستجنيهِ من عنادكَ؟ محاربيكَ الذين تعتزُ بهم سيموتونَ جوعًا؛ حاكمكَ المجنون، عفوًا أقصدُ المحبوبَ غارقٌ في شطحاتهِ وجنونهِ.

تلفتَ حولَهُ مصدومًا.

- مَن أنتَ؟ أظهر نفسكَ وإلا.

- إلا ماذا؟ أنا صوتُ عقلكَ، أنا صوتُ واقعكَ الذي فُرِضَ عليكَ؛ اصحَ من نومِكَ وإلا هلكتَ وأهلكتَ الآلف.

اختفى الصوتُ.

جلسَ وزعةُ وحيدًا، وقد سرى الجوعُ إليهِ، فعرفَ ألمَهُ أخيرًا.

- يا هذا، يا أنتَ أجبني، أيجوزُ لبطلِ الأبطالِ الخضوعَ بهذهِ السهولة؟ هل يمكنُ ذلكَ؟

شدادٌ دعا لاجتماعٍ فوري يحضرُ فيهِ جميعُ القادةِ دونَ استثناءٍ، صغيرهم وكبيرهم.

- أشكرُكُم تلبيتَكُم دعوتي في هذهِ السرعةِ رغمَ بعدِ المسافةِ على بعضكم. اليومُ جمعتُكُم لنقررَ ما الخطوةُ التاليةُ التي يتوجبُ اتخاذها، فأخبارُ كسرِ ذيلِ حصرو على أيدي إخوانِكم جديسِ سببَ وصلتنا وأبهجتنا كثيرًا، كذلكَ العدو بعدَ حصارِهِ كلَّ تلكَ المدةِ باتَ شبهَ منهارٍ.

سكوتٌ قصيرٌ جدًا.

- ما هي تصوراتكم عنِ الخطوةِ التاليةِ؟ أنا هنا لأسمعَ آرائكم واقتراحاتكم، فرجاءً لا يبخل علينا أحدٌ بفكرةٍ.

لاحظَ جميعُ الحاضرينَ النفسَ الحزينَ الذي كانَ يلفظهُ مع كلماتِهِ.

بدأت الاقتراحاتُ تتهافتُ على مسامعِ القريعِ، فمنهم مَن يريدُ الانقضاضَ على العدوِ والفتكِ بهِ، ومنهم يريدُ أسرَهُم، وآخرون اقترحوا إلقاءَ القذائفِ عليهم من مسافةٍ بعيدةٍ، وغيرهم اقترحَ تركَهُم محاصرين مدةً أطولَ.

أخيرًا نهضَ يعسوبُ الذي كانَ منهمكًا بالحديثِ مع أحدِ محاربيهِ.

- ها قد وصلتني البشارةُ من وزعةَ، إنَّهُ يريدُ الاستسلامَ مقابلَ الطعامَ وتركهم يعودون إلى ديارِهم سالمين.

ضجت القاعةُ بالضوضاءِ.

الجميعُ التزمَ الهدوءَ بعدَ بدءِ شداد الكلامَ.

- أظنُّ هذا ما كنتَ تريدَهُ.

- نعم، لكنّي الآن مع الرأي القائلِ نمطرهم بالقذائفِ، ثُمَّ نقضي عليهم بهجومٍ واحدٍ لا ثاني لهُ.

- لِمَ تغييرُ الرأي؟

- للحروبِ ضروراتها، وأرى إن أخلينا سبيلهم سوفَ يعودون بعدَ حينٍ، ولن نجدَ مثلَ فرصتنا هذهِ، فعدونا منهارٌ تمامًا.

- مَن الذي قالَ لكَ أننا سنخلي سبيلهم؟ أرسل لذلكَ الوزَيعةُ وأخبرهُ عن لساني، أنّا نقبلُ تسليمَكُم أنفسَكُم كأسرى معاركٍ وإلا لن ينالَكُم منا سوى الموتِ.

وزعةُ غارقٌ بنوبةِ غضبٍ فصدت النفيسَ من وجههِ.

صرخَ مزمجرًا.

- تبًا لكَ قمبيزُ، كيفَ تسمحُ لجبانٍ مثلَ شدادٍ التحكمَ بمصائرِ آلافِ من أبناءِ شعبكَ؟ اللعنةُ عليكَ حيثُ تكونُ يا ربيبَ قزح وحزرانَ، لكني لن أكونَ أنانيًا مثلكَ سأنقذُ أرواحَ أبنائي وبناتي، سوفَ أنقذُ أرواحَ أخوتي وأخواتي.

يعسوبُ يبلغُ سيدَهُ بموافقةِ العدوِ.

- أخبرهم أنَّ الأمرَ سيتمُ بعدَ يومين.

- سيدي سأسمحُ لنفسي بسؤالٍ.

- تفضل عزيزي.

- أرى الحزنَ يبرق من عينيك رغم محاولاتكَ الصمودَ، ولا أعرف مصدرهُ، فكلُّ الأحداثِ التي نمرُ بِها تدعو للابتهاجِ والغبطةِ.

ألقى شدادٌ بنفسِهِ على كرسيهِ الضخمِ، ثُمَّ بدأ ينتحبُ.

- هجرُ يا يعسوبُ، قتلت بيدٍ آثمةٍ؛ غادرت هذا العالمَ، وتركتني.

حاولَ السائلُ مواساةَ المسؤولِ، فاختارَ أنقى العباراتِ غيرَ أنَّ الحزنَ زُرِعَ في القلبِ الموجوعِ، ونبتَ وأثمرَ؛ لا قدرةَ لأحدٍ غيرَ صاحبهِ على اقتلاعَهُ منَ الجذورِ.

خرجَ من عندِ شدادٍ يدمدمُ، ويهزُ برأسِهِ متحسرًا، فأعترضَهُ صيبٌ ضاحكًا باسمًا.

- مرحبًا عمي كيفَ حالكَ؟ هل اتصلتَ بمريرةَ مؤخرًا؟ أرجوكَ أنقل لها تحياتي، واطلب منها زيارتنا عندما نعودُ إلى المهدِ.

نظرَ إليهِ وعيناهُ قد اغرورقتا، فادعى الابتسامَ كما سيدعيها أبوهُ حينَ يراهُ.

- لكَ ذلكَ يا موقر -في أعماقِهِ- مسكين يا مسكين، قد أمسيتَ بلا أمٍ، أواهٍ كم مؤلمٌ هذا الإحساسُ، إني أعانيهِ حتى الآنَ رغمَ اقترابي منَ الهرمِ.

في الليلِ بينما الجميعُ نيامٌ من شدةِ الإعياءِ جوعًا؛ حركاتٌ غريبةٌ في الزاخرِ قربَ إحدى سفنِ وزعةَ الطافية.

قليلٌ منَ الوقتِ مرَّ، ثُمَّ بدأَ يظهرُ ويتضحُ شيئًا، فشيئًا حتى بدا للعيانِ بوضوحٍ، إنَّهُ ذلكَ الشابُ المتهورُ قائدُ الحوتِ قد قررَ المغامرةَ مرةً أخرى بعدَ عِلمِهِ بالاتفاقِ الذي سيطبقُ، لذلكَ عزمَ على أخذِ حصتِهِ منَ الغنائمِ مسبقًا قبلَ انتهاءِ المطافِ بها إلى كرشِ القريعِ كما قالَ في سريرتِهِ.

توقفَ الحوتُ بمنتهى الرشاقةِ قربَ السفينةُ الحزينةُ؛ وثبَ، ثُمَّ انتصبَ واقفًا على ظهرِ السفينةِ، وأخذَ يتجولُ بحريةٍ كأنَّهُ في كورِهم.

الحوتُ ينتظرُ قائدَهُ تحتَ السفينةِ كما أمرَهُ.

- إني أسمعُ صوتًا، يبدو أنَّ أحدَهُم لم ينل منهُ الجوعُ بما يكفي أو قد منعهُ منَ النومِ، سأنزلُ هذهِ السلالم لأرى لعلّي أستمتعُ قليلًا أو يدلني على أشياءٍ ثمينةٍ أو عساها تكونُ أنثى.

كانَ جعلوسُ الشرهُ يصولُ ويجولُ في المطبخِ، وهو يقضمُ قطعَ (البَّخ اليابس)، الذي خبأهُ بعيدًا عن أفواهِ زملائِهِ؛ مع

كلِّ قضمةٍ يقضمها تزدادُ بطنهُ صراخًا، وتطلبُ نفسُهُ المزيدَ.

لم يجد من طعامِهِ ذاكَ فائدةً تذكرُ، وفي نفسِ الوقتِ لا يستطيعُ التوقفَ، فأخذَ بالبكاءِ.

والدخيلُ يراقبُ، فقررَ الاستهزاءَ بالباكي قليلًا؛ حاولَ الوثوبَ ليرعبَهُ، وقبلَ تنفيذِهِ لأولى خطواتِ خطتِهِ أرداهُ الشرهُ صريعَ (براقهِ الصامت)، كان الأخيرُ يظنّهُ كائنًا يؤكلُ دفَعَهُ الحظُ إليهِ، وسيكونُ حشوًا جيدًا لمعدتِهِ المسكينة، ففوجئ بجديسٍ شابٍ مفتولِ العضلاتِ يرتدي بزةَ محاربي أريضةَ.

أخذَهُ الهولَ بما فعلَ، وضاقَ الأزرقُ عليهِ أكثر من ضيقِهِ الحالي لأنَّ ظنونَهُ أخبرتهُ أنَّ خطةَ التسليمِ والاستسلامِ التي إحدى نتائجها التهامُ الطعامَ في سجونِ الأعداءِ ذهبت في مهبِ الرياحِ، فراحَ يولولُ، ثُمَّ حاولَ إخفاءَ الجثةِ في مكانٍ آمنٍ، ونظفَ الأرضيةَ منَ النفيسِ، ثُمَّ جلسَ يفكرُ في حلٍ أو حيلةٍ.

أما الحوتُ، فعلمَ بمقتلِ قائدِهِ على الفورِ، فانتابتهُ موجةَ فرحٍ عارمةٍ عبرَ عنها بإطلاقِ أصواتٍ خاصةٍ لا يسمعها إلا بنو جنسهِ، نفظ عن رأسِهِ المدفعَ أثناءَ غوصِهِ عميقًا محتفلًا بحريتِهِ التي يأسَ منَ الحصولِ عليها.

.....

بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

الفصل العاشر

-السماءُ تموتُ-

- يا ويلي، ما العملُ؟ تبًا لحظي، تبًا لبطني النهمةِ، سيقتلني وزعةُ إذا علمَ.

نظرَ إلى الجثةِ المخبئة مرةً أخرى، وحدثَ نفسَهُ مجيبًا نفسَهُ عن فكرةٍ طرأت فجأةً.

- هذا جنونٌ، وقتُهُ الآنَ؟ مستحيلٌ، هذا شيءٌ غيرَ جديسي.

هتفَ صوتٌ.

- ما الجديسي في كلِّ ما يحدثُ ها؟ أنتَ مفارقٌ الزوجةَ والأطفالَ، وتتضورُ جوعًا، ولم تقترب منكَ أيُّ أنثى رغمَ محاولاتِكَ. توصفُ بالنتنِ والشرِهِ، فما الضيرُ إذا أضفتَ للقائمةِ صفةً جديدةً.

- نعم، صفةٌ جديدةٌ، صفةٌ أخسرُ بها رأسي وأطفالي يتشردون من بعدي.

- مَن سيعلمُ؟ جرب إن كانَ الأمرُ حسنًا فبها ونعمت، وإلا فصمٌ بكمٌ.

تفكيرٌ طويلٌ.

صفةٌ جديدةٌ: (جلعوسُ آكلُ لحومِ جديسِ أريضةَ)، يا ويلي، سوفَ أشوى على نارٍ هادئةٍ مع ذلكَ سأجربُ، وليكنْ ما يكونُ، المهمُ تُملأُ العزيزةُ.

نهضَ حاملًا خنجرَهُ الكبير، ثُمَّ احتزَ شيئًا منَ القتيلِ وحاولَ قضمَهُ، لكنَّ نفسَهُ لم تطاوعهُ، فجلسَ يبكي ويندبُ الأقدارَ، ثُمَّ جاءت فكرةُ الطهي.

بعدَ النضجِ.

- ما هذا الطعمُ الزاكي الرائع، هل أحلمُ؟! أمعقولٌ هذا المذاقُ الممتعُ مخبأٌ في لحومنا؟! مرحى.

أخذَ يرقصُ طربًا حولَ الجثةِ، ثُمَّ انقضَ عليها محولًا ما يصلحُ إلى قطعٍ.

أثناءَ احتفالِهِ بالوليمةِ، وهو يعملُ بعزيمةٍ سمعَ صوتًا، كأنَّ السماءَ تهمسهُ بكلماتٍ غيرِ مفهومةٍ.

- الجوعُ أنا متأكدٌ ما زلتُ جائعًا، سأطهو وآكلُ، ثُمَّ أذهبُ بشيءٍ منهُ إلى سيدي؛ يا للروعةِ! ما تلكَ القوةُ التي أُحسُ بها؟!

هتفَ الصوتُ:

- لمَن تريدُ إهداءَ شيءٍ منَ الكنزِ؟ أتريدُهُ أن يقتلَكَ؟

- لن يفعلَ عندَما يحسُ بما أحسُ الآنَ، لن يفعلَ دعني وشأني، واهتم بشؤونِكَ.

في قرقرَ.

- عظمتُكُم وصلتنا معلوماتٌ تؤكدُ أنَّ القائدَ وزعةَ اتفقَ مع...

سحبَ يديهِ منَ الطعامِ، وهوَ فاغرٌ فاهُ، والطعامُ شبهُ الممضوغِ بدأَ يخرجُ ببطءٍ.

- أعد ما قلتَهُ، سأقطعهُ إربًا؛ أرسل إليهِ أمرًا بالعدولِ عن فعلتِهِ.

الشرهُ: سيدي.. سيدي، ما الذي أصابَكَ؟

- خذ هذا طعامَ تذوقهُ، ثُمَّ أعطني رأيَّكَ.

منزعجٌ لإزعاجِهِ.

- تظننا في نزهةٍ أم برنامجٍ لتعليمِ الطهاةِ؟

- انتبه لما بين يدي الطباخ.

- اللعنات تتراءى عليكَ أرني، انتظر لحظةً، من أينَ أتيتَ بهِ؟ لا تقل لي هبطَ منَ السماءِ، فلن أصدقَ الأساطيرَ.

نظراتٌ بمكرٍ وشكوكٍ.

- يا ملعونُ، كنتَ تخبأهُ عن زملائِكَ المساكين، شرهٌ وستبقى شرهًا.

نبرةٌ فيها شيءٌ منَ الجلدِ والحزمِ.

- دعني أتكلمُ رجاءً؛ هبطَ من فوق، لم يأتِ بمعجزةٍ بل قدرهُ وقدرنا؛ تذوق، واستمتع، ثُمَّ قل ليَّ ما رأيكَ؟

لقمة، اثنتان، ثلاث، ثُمَّ الصراخُ الفرحُ ذاتهُ.

- ما هذا الطعام؟! من أينَ أتيتَ بهِ؟!

- هذا جديسٌ من أريضةَ ساقَهُ سوءُ طالعِهُ إلينا، أترى يا سيدي، كيفَ أنَّ الأقدارَ تلطفت بنا.

عندَ معرفتِهِ الحقيقةَ أرادَ رميَّ ما بيدِهِ، والانقضاضُ على الطباخِ اللعينِ، غيرَ أنَّ الطعمَ والإحساسَ الغريبُ منعاهُ بل دفعاهُ لتقبيلِ الشرهِ من ذقنهِ، ثُمَّ انغمسَ يكملُ طعامَهُ.

يلعقُ الصحنَ.

- ما الكميةُ المتبقيةُ منَ الطعامِ أم أودعتَهُ كلّهُ كرشَكَ؟

- يمكنني توفيرَ ما يكفي لمئةٍ من خلالِ إعدادِ الحساءِ بعدَ استعانتي بعظامِ الغالي.

- تعتقدُ أنَّ الحساءَ يسري مسرى اللحم؟

نجربُ ونرى.

- أريدُ كلَّ شيءٍ جاهزًا قُبيلَ الصبحِ؛ لا تنسَ حصتي منهُ.

تعالت ضحكاتهما.

- هل الجميعُ مستعدون؟

- أجل سيدي، سوفَ أذهبُ على رأسهم، قد جُهِزَ طعامٌ وسلاسلٌ.

- أتمنى لكم التوفيقَ.

على متنِ السفينةِ.

- صباحُ خيرٍ يا أبطالُ، تناولتم فطوركم، أتعرفون ما مصدره؟

بعدَ إطلاعِ الجميعِ على نوع الطعام الذي تناولوه صاروا في شوق ولهفة، ومَن لم يصلهُ شيءٌ بعد تحرقَ شوقًا لنيلِ

شيءٍ منهُ لما شاهدَ على زملائهِ من عزمٍ وقوةٍ وعيونٍ تقدحُ شررًا.

الجميعُ ينتظرُ أوامرَ القائدِ الذي وعدَهُم بالكثيرِ والكثيرِ.

وصلت أوامرُ قمبيزَ بعدمِ الاستسلامِ.

- عزيزي سوفَ ترى أنتَ الآخر ما لا يسرُكَ قريبًا.

كلماتٌ دارت داخلَ رأسِ وزعةَ، ثُمَّ نادى على أحدِهم.

اكتب: الأمورُ ستجري كما تحبُ، وتشتهي.

جمعَ قادتَهُ المُخلصين، وطلبَ منهم إبلاغَ الباقين بالآتي: عندما يأتي العدو غدًا ليأخذنا كأسرى سلموا لهم ما يريدون، وطاوعوهم في أمرِهم، وليحملَ كلٌّ واحدٍ خنجرًا صغيرًا يخبأهُ، وعندَ إشارتي الجميعُ ينقضُ على الجميعِ، فيحزوا الرقاب، ثُمَّ يباشروا بتقطيعِ اللحومِ كالذي يهمُ بتجهيزِ وجبةِ طعامٍ شهي.

أشارَ لآخرينَ من جديسِهِ المخلصين.

- أريدُ تجهيزَ وسائلَ نقلٍ مرئي ومسموعٍ ليرى العالمُ كلّهُ ما سوفَ يحصلُ.

بعدَ ذلكَ أرسلَ في طلبِ الطباخِ.

- ستكونُ المشرفَ الأولَ على عملياتِ الطهي، ويكونُ جميعُ الطباخين في الأسطولِ تحتَ أمرِكَ، فهيئ مراجلَكَ ليومِ غدٍ.

قبلَ الانصرافِ استوقفهُ.

- لا تنسَ أن ترسلَ لي حصتي من اللحمِ المخبأ.

بعدَ انصرافِ الشرهِ أرسلَ في طلبِ المختصين بالمدافعِ، وأبلغَهم الأوامرَ الخاصة بكيفيةِ إخفاءِ قذيفةٍ داخلَ كلِّ مدفعٍ دونَ اكتشافها من قبلِ العدو.

في صباحِ اليومِ التالي وصلت سفنُ ومركباتُ الشحنِ التابعةُ لأريضةَ، وظهرت الحيتانُ من ظلماتِ الزاخرِ مطوقةً المكانَ من قريبٍ وبعيدٍ؛ ملئت الأجواءُ بالغيثومِ العملاقةِ والصغيرةِ.

خالجَ بعضُ جديسِ المحاربين الشكَ في نجاحِ خطتهم، لكن في جميعِ الأحوالِ التعذيبُ، ثُمَّ الموت ينتظرهم، فلا ضيرَ من موتٍ سريعٍ.

هكذا كان لسان حال المنهكين اليائسين.

شحن الجميعُ بما تبقى من بصيصِ قوةٍ، ووجهوها لأيديهم منتظرين إشارةَ البدءِ.

بدأ محاربو أريضةَ الصعودَ لسفنِ العدو، وهم مدججينَ بالأسلحةِ والحيطةِ، مع الحذرِ.

انتشروا في كلِّ زاويةٍ، ثُمَّ بدأوا يتسلمون الأسلحةَ، وما تبقى منَ الذخائرِ القليلةِ أصلًا، ثُمَّ ينقلوها إلى مركباتهم في حينِ أنَّ جزءًا منهم بدأ بتصفيدِ أسراهم بالسلاسلِ، وقد كان أولُ مَن وضعت الأغلالُ في يدِهِ وزعةُ الذي سمعَ شتى أنواعِ الشتائمِ.

يعسوبُ يراقبُ من إحدى المركباتِ المحلقةِ، وقد أثارَ الهدوءُ والسلاسةُ التي تجري بها الأمورُ الريبةَ داخلَهُ.

جاءت لحظةُ الحسمِ حينَ سمعَ محاربي أريضةَ يبلغون عن انتهاءِ عمليةِ نقلِ الأسلحةِ والأعتدةِ، وشاهدَ بعضَ الارتياحِ والاسترخاءِ على الملامحِ، فأُطلِقَت صيحةُ الإشارةِ.

دونَ أيِّ تراخٍ أُستُلَت الخناجرُ، وحزت الأعناقُ، ثُمَّ قطعت الرقابُ، وعمت الفوضى.

الأسلحةُ علا أزيزها.

صراخ.

انسحاباتٌ عشوائيةٌ.

جاءت الصرخةُ الثانيةُ التي كانت إشارةً لإطلاقِ المدافعِ التي اختارت أهدافها منذُ الصرخةِ الأولى كما تمَ برمجتها مسبقًا.

انهمكَ محاربو قرقرَ بتقطيعِ أوصالِ العدو بعدَ تخلصهم من قيودِهم.

اللحومُ تفصلُ عن العظمِ، وتقطعُ العروقُ قبلَ أن يفارقَ بعضَ أصحابها الحياة.

أُشعِلَت المواقدُ، وجلَست المراجلُ جِلستها أيامَ الطعامِ الوفيرِ.

كلٌّ ذاكَ يحصلُ وسطَ بثٍ مباشرٍ لجميعِ مَن في أزرقَ؛ كذلكَ وسطَ لهيبِ مدافعِ غيثومَ المدمرةِ التي بدأت تتخبطُ مصيبةً النفسَ قبلَ العدوِ.

الأمرُ لم يطل، فيعسوبُ أعطى أوامرَهُ بالانسحابِ إلى المركباتِ، وظهورِ الحيتان.

الجميعُ ذهلَ لما حصلَ، ويحصلُ؛ الشرهُ يعملُ بجدٍ وكدٍ كذا الباقين.

طبخَ وطبخَ وطبخَ.

قادةُ السفنِ، وقادةُ الحيتانِ لم يصدروا أيَّ أوامرٍ، فقد كانوا خيرَ جمهورٍ، ثُمَّ جاءَ صوتُ القائدِ الأعلى في محاولةٍ لإيقاظِ المذهولين بعدَ فواتِ الأوانِ.

الأحداثُ وصلت إلى أوجها حينما انقضَ الجياعُ على القدورِ، وباشروا التهامَ وجبتهم سريعةَ التحضيرِ.

المنظرُ محيرٌ وحقيرٌ!

جديسٌ في فمِهِ أو يدِهِ يدُ جديسٍ أو كتفٌ أو شيءٌ من قدمٍ، أو ساقٍ لجديسٍ مثلهُ، ثُمَّ دوى صراخٌ صادرٌ منَ الآكلينَ الشرهينَ يعلنُ عنِ انطلاقِ وحوشٍ كاسرةٍ لا تخافُ شيئًا، ولن يقفَ أمامها أحدٌ.

بدأ الهجومُ المضادُ؛ سلاحٌ ومعدنٌ يقابلُ أجسادًا قافزةً، وأيدي قويةً، مع أصابعَ مثلَ النصالِ.

احتدمت المعركةُ، فكانَ محاربو أريضةَ أبطالَ الفرارِ بسرعةٍ وسلاسةٍ بعدَ فقدانِهم نصفَ حيتانِهم نتيجةَ انقلابِ الأخيرةِ عليهم عندَ ما اضطربَ قادتُها.

هلعٌ مع خوفٍ أصابَ مَن في الزاخرِ، ومَن على اليابسةِ.

حاولَ أميرويهِ الواصلَ لتوهِ امتصاصَ ذلكَ الاضطرابَ دونَ جدوى.

قمبيزُ يقفزُ فرحًا، يصرخُ، يصيحُ ابتهاجًا كفتًى أُهديت لهُ لعبةٌ ينتظرها بفارغِ صبرٍ.

صيبٌ غيرُ مصدقٍ لِما ترى عيناهُ، وبقي متسمرًا مكانَهُ أمامَ إحدى الشاشاتِ.

لم يمضِ الكثيرُ منَ الوقتِ حتى بدأت طلائعُ الفارين تظهرُ، فاستقبلوا بمحاولاتٍ يائسةٍ للتهدئةِ.

تقدمت كاملیونُ وفرسانها، وفريدُ الروحِ وركابها، وعلى رأسهم أميرويهِ المحاربِ يمتطي أنتانهُ إضافةً لما يملكونَ من مركباتٍ حربيةٍ.

في تلكَ المغامرةِ خسرَ وزعةَ أكثرَ من نصفِ المتبقينَ من جيشِهِ، لكنَّهُ حققَ أمرين الأول: إنقاذُ مَن تبقى بعدَ تحويلهم لمحاربين لا يقهرون بسهولةٍ، والثاني: تحطيمُ العدو فعليًا ونفسيًا، وكسب خوفهم بل رعبهم.

بدأت معركةُ اليابسةِ التي لم تستغرق الكثيرَ منَ الوقتِ حتى دَحَرَ محاربو قرقرَ أعدائهم.

فَقَدَ أميرويهِ روحهُ كما فَقَدَ يعسوبُ ساقًا وعينًا؛ أما شدادٌ، فعادَ القهقري إلى العاصمةِ معَ مَن تبقى في محاولةٍ للحفاظِ عليها منَ السيلِ العارمِ.

أدركَ وزعةُ بفطنتِهِ أنَّ القتالَ داخلَ المدنِ الكبيرةِ سيكلفُهُ الكثيرَ، فقررَ توجيهَ الضربةِ التاليةِ لقمبيزَ، فقامَ بإعلانِ جمهوريةٍ أسماها (قرقرَ أريضةَ الغربيةِ)، ودعا الجميعَ القبولَ بها، وإلا سيكونُ مصيرُ المعارضِ قدورَ جلعوسَ الشرهِ.

بينَ الأحداثِ المتصارعةِ المتضاربةِ وقعَ حدثٌ لم يلاحظهُ إلا القلةُ، ومنهم صيبٌ، إذ بدأ لونُ السماءِ بالتغيرِ منذُ وطئت أقدامُ محاربي وزعةَ أرضَ أريضةَ، فاستحالَ لونُ السماءِ إلى داكنٍ، وراحت تتشققُ كزجاجٍ ضربَ بحجرٍ، ثُمَّ أخذَت الظاهرةُ تتسعُ وتزدادُ سوءًا مع مضي الأيامِ حتى أضحت ظاهرةً للجميعِ، لكنَّ الخطبَ الذي يمرونَ بهِ حجبهم عنِ التركيزِ على ما سواهُ، والبحثِ عن تفاسيرٍ.

قمبيزُ يكادُ يجنُ لانشقاقِ جيشه عنهُ، فأصدرَ حكمًا بالإعدامِ بحقِّ وزعةَ، ومَن معَهُ من قوادٍ.

ذلكَ الحكمُ أشبهُ بضحكٍ على النفسِ من جديسٍ معتوهٍ.

كما وصفَهُ حاكمُ الدويلةِ الجديدةِ عندَ سماعهِ النبأ.

شدادٌ قبلَ بالمعاهدةِ والصلحِ المذلِ في محاولةٍ منهُ الحفاظَ على ما تبقى من جمهوريتِهِ.

صيبٌ علمَ بموتِ أمهِ، وحضرَ مراسمَ جنازتِها، وحدثَ لها ما كان يتوقعَهُ عندَ ما وضعت على همتونَ المقدسةِ.

بعدَ فترةِ حدادٍ طويلةٍ قصيرةٍ انغمسَ شدادُ خلالها بمحاولاتٍ لترميمِ ما حصلَ، وأخذَ يجتمعُ، ويناقشُ حتى وصلَ بهِ الحالُ لمراسلةِ قمبيزَ، وعرضَ عليهِ التحالفَ من أجلِ القضاءِ على العدوِ الجديدِ الذي إذما تُركً، فسوفَ يفتِكُ بالجميعِ.

وزعةُ مشتغلٌ بتحصينِ نفسهِ ودويلتهِ من أيِّ خطرٍ، فهو يعلمُ أنَّهُ لن يتركَ.

بعدَ طولِ انتظارٍ أخيرًا القادةُ الأربعةُ في قرقرَ مجتمعينَ لبحثِ مشكلتين مهمتين، الأولى: دويلةُ وزعةَ المزعومةُ، والثانية: حدثُ السماءِ، وقد خلصَ المجتمعون لنتائجٍ مبهرةٍ كما أسموها.

فيما يخصُ مشكلتَهم الأهم قرروا تشكيلَ جيشٍ عرمرمٍ يدحرون بهِ عدوَهم الواحد بأسرعِ وقتٍ ممكنٍ؛ أما المشكلةُ الثانيةُ، وبعدَ اجتماعٍ ثانوي لجهابذةِ العلمِ خلصوا إلى أنَّ سماءَهم مريضةٌ نتيجةَ الغازاتِ والأدخنة التي انطلقت جراءَ المعاركِ الأخيرة إضافةً لما أطلقتهُ معاملُ الجزرِ ومصانعها طيلةَ الأعوامِ الماضيةِ.

الحلُ وضعُ خطط طويلةِ الأجلِ للتقليلِ من سببِ مرضِ عزيزتهم على حدِ زعمهم على شرطِ ألا تكونَ على حسابِ المعركةِ المرتقبةِ.

أما صيبٌ، فبدأ البحثَ عن العرافِ الأعمى؛ لم يكن مقتنعًا بكلِّ ما قيلَ عنِ المرضِ المزعومِ، لذا استغلَ عدم وجودِ حسيبٍ أو رقيبٍ على تحركاتِهِ، وانطلقَ بقوةٍ يبحثُ عن ضالتِهِ المنشودة.

بحثَ وبحثَ دونَ جدوى، وبينما هو يتجولُ في الأزقةِ الضيقةِ، ودون أيِّ مقدماتٍ أو تمهيداتٍ اهتزت الأرضَ تحتَهُ ممّا أفقدَهُ توازنَهُ حتى سقطَ أرضًا.

نظرَ حولَهُ باحثًا عمّن أسقطَهُ، لكنَّهُ وجدَ الكثيرين كحالِهِ.. انتابتهُ ريبة.

نهضَ ينفضُ الأوحالَ عنهُ متتبعًا بعينيهِ أماكنها على ملابسِهِ.

هتفَ أحدُهم.

- انظروا إلى السماءِ، انظروا إليها.

رفعَ رأسَهُ بسرعةٍ، وحدثَ نفسَهُ مأخوذًا بالمنظرِ، وقلبهُ يخفقُ بغيرِ انتظامٍ.

يا للهولِ! تشققت كما يتشققُ الجليدُ، وازدادَ لونها عتمةً كأنَّها تحتضرُ، عليَّ إيجادُ المجنونَ بأقصرِ وقتٍ، ثُمَّ تذكرَ المكتبةَ، وكلامَ بسطام.

الحاجبُ: حضرتُكم لا أحدَ يعرفُ السببِ، لكنَّ العلماءَ اجتمعوا منذُ لحظاتٍ.

-حسنًا، انصرف أنتَ.

- هناكَ أمرٌ آخرٌ.

- هاتهِ.

- هبطت قبلَ قليلٍ مركباتُ قادمةٌ من قرقرَ ويفاعَ تحملُ أطعمةً وموادًا أخرى، والمسؤولون ينتظرون أوامرَكم؟

نظرةٌ حازمةٌ، كأنَّهُ كانَ في سباتٍ واستفاقَ.

- أينَ هم الآنَ؟

- في مركباتِهم لحينِ صدورِ أمرَكم.

غضبٌ، ثُمَّ نهضَ من مكانِهِ.

- هذا جزاءُ الإحسانِ؛ فورًا يُعتذرُ منهم، ويُستضافون في أفخمِ أكوارِنا، ثُمَّ تستلمُ الموادُ منهم وتوزعُ على العامةِ؛ فهمتَ، العامةُ لا أريدُ أحدًا منَ الخاصةِ يحصلُ على قطعةٍ منها.

في المكتبةِ.

- اللعنةُ على هذهِ الكتبِ لا شيءَ فيها يفقَهُ؛ تفاهاتٌ في تفاهاتٍ، ألا يوجدُ ما يشفِ الصدرَ؟

اقتربَ المسؤولُ بهدوءٍ، ثُمَّ سألَهُ: معذرةً سيادتكم، أراكَ لا تجدُ ما تبحثُ عنهُ، فهل لي بمساعدتِكَ؟

- أتمنى ذلكَ، أريدُ ما يفسرُ الذي نمرُ بهِ، هل لكَ أن تدلَني على مثلِ هكذا كتاب؟

هزَّ رأسَهُ.

- أنا في غايةِ الأسفِ لا وجودَ عندنا لما تبغِ.

لاحظَ كميةَ اليأسِ التي طفت على عيني الفتى، فأحزنَهُ أن يخرجَ خالي الوفاضِ؛ لذا قررَ المغامرةَ برأسِهِ، واطلاعَهُ على سرٍ. هكذا حدثَ نفسَهُ.

- سأخبرُكَ بشيءٍ هامٍ سيدي، لعلّي أتمكنُ من خدمتِكَ.

- أرجوكَ افعل.

- هناكَ جديسٌ عجوزٌ يعرفُ الكثيرَ عنِ الأساطيرِ والغرائبِ، لكنَّ إيجادَهُ صعبٌ.

تلفت في جميعِ الاتجاهاتِ، ثُمَّ اقتربَ أكثرَ من الفتى وهمسَهُ.

- يعرفُ باسمِ العرافِ الأعمى، عليكَ بهِ.

انطفَأ شعاعُ الأملِ الذي أضاءَ وجههُ، وعاودَهُ اليأسُ والحزنُ.

الحاجبُ: معذرةً سيدي هناكَ رسالةٌ صوتيةٌ من قرقرَ.

بسرعةٍ.

قمبيزُ: (تحيةٌ حارةٌ لعزيزنا القريعُ العظيمُ، أحبُ إخباركم أنَّ سفني الحربيةُ، وما تبقى من محاربيّ على متنها تحركوا نحوَ الخائنِ وزعةَ، كذلكَ فعلَ أخي حصرو. المخلصُ قمبيزُ.

- أيُّها الحاجبُ.

- جيرِ سيدي.

- أرسل في طلبِ القادةِ.

الحاجبُ يحدثُ نفسهُ: في أيّ تهلكةٍ تريدُ رمينا هذهِ المرةَ؟

معَ أولى خطواتِ صيبٍ خارجَ المكتبةِ اهتزت الأرضُ مرةً أخرى، وكانت أعنفَ من سابقتها.

نهضَ مسرعًا، ورأسُهُ يسابقُ بصرَهُ إلى السماءِ، وقبلَ إدراكِهِ الهدفَ أحسَ بأشياءٍ صغيرةٍ تسقطُ على رأسِهِ وبقيةِ جسمهِ برفقٍ، فأمسكَ بعضها، وإذا بها قطعٌ شفافةٌ ذاتُ لونٍ داكنٍ؛ حاولَ معرفةَ حالتها، فضغطَ عليها بأحدِ أصابعهِ.

كانت مرنةً بعضَ الشيءِ وباردةً، ثُمَّ دونَ مقدماتٍ تحولت القطعةُ الصغيرةُ إلى شيءٍ أشبهَ ما يكونُ للرمادِ، وانسلت من بينِ أصابعهِ، لم يفق ممّا فيهِ إلا بسقوطِ قطعةٍ أخرى تفوقهُ حجمًا بالقربِ منهُ.

قفزَ مبتعدًا.

ما هذهِ الأشياءُ؟! من أينَ أتت؟!

سَمِعَ صغيرًا يصرخُ.

- أمي، انظري إلى السماءِ.

رفعَ رأسَهُ، فكانت تلكَ القطعُ هي السماءُ!

الجميعُ يختبأ داخلَ البناياتِ، لكن لم يمنع الاختباء حدوثَ الحوادثِ التي كانت أفضلها ما حصلَ لجيشِ وزعةَ.

- سيدي وصلتنا أخبارٌ تفيد بأنَّ العدوَ أصيبَ في مقتلٍ.

- كيفَ ذلكَ؟ وضح كلامَكَ.

سقطت قطعةُ سماءٍ بحجمِ مهد قربَ السواحلِ الغربيةِ لأريضةَ محدثةً موجةً هائلةً، ولحسنِ الطالعِ جزءٌ كبيرٌ من جيشِ العدوِ هناكَ، فالتهمتهُ المياهُ.

الحاجبُ مقاطعًا: سيدي، أخبارٌ عن مركباتِ الحلفاءِ.

شدادٌ: هذا يومٌ سعيدٌ، بينما السماءُ تبدلُ جلدها، الأقدارُ تهديني هذهِ الهدايا الثمينة.

- آسفٌ على المقاطعةِ، لكنَّ تلكَ السفنَ والمركباتِ لن تصل، فقد ابتلعها الزاخرُ.

- اللعنةُ، كيفَ؟!

صمتَ للحظةٍ، ثُمَّ قالَ: معَ ذلكَ لا يهمُ، جيشنا يفي بالغرضِ.

- جميعُ سكانِ الجزرِ الأربع وقفوا مذهولين لسقوطِ السماءِ متحطمةً؛ هل يعقلُ؟!

سؤالٌ لم يفارق الأفواه المتحيرةَ.

انقطعت الاتصالاتُ، فالفضائياتُ هي الأخرى هوت، ثُمَّ جاءت مشكلةُ انخفاضِ الطاقةِ الذي تزامنَ مع خمولِ أنانكي ونانا.

صيبٌ كالمجنونِ في الطرقاتِ يبحثُ عنِ الحكمِ صارخًا بأعلى صوتهِ مناديًا لهُ باسمهِ الصريحِ.

هبت رياحٌ قويةٌ لتنهي تواجد ما تبقى منَ السماءِ المبعثرةِ على أرضِ الجزرِ.

- ما هذا؟ لِمَ لمْ أعد أستطيعُ النظرَ إلى أعلى حيثُ مكان السماءِ؟

القريعُ يصدرُ أوامرَهُ.

أن يتمَ إبلاغُ جميعِ العلماءِ باجتماعٍ عاجلٍ لإيجادِ تفسيرٍ حقيقي لما حصل، ثُمّ أمر تأمينَ اتصالٍ معَ قمبيزَ، والباقين في بثٍ مباشرٍ مغلق.

الإجابةُ جاءت سريعةً.

- لا يمكننا فعلُ ذلكَ سيدي، وسائلُ الاتصالاتِ تعطلت.

صارَ المناخُ غريبًا، فهبوبُ رياحٍ، وتساقطُ أمطارٍ تارةً، وحرٌ ورمالٌ تارةً أخرى؛ زوابعٌ، رعدٌ، والجو مشمسٌ.

مدنٌ ساحليةٌ أغرقها الزاخرُ الغاضبُ، لم تستثنَ جزيرةٌ منَ الأربعِ، الجميعُ أخذَ حصتَهُ منَ الدمارِ والاضطراباتِ.

ما يحصلُ لم يثنِ الموقرُ عن البحثِ، فالخروجُ في وقتٍ مبكرٍ، والعودةُ آخرَ النهارِ صارَ ديدنَهُ؛ لم يفت من عضدِ

همتِهِ عودتَهُ كلَّ مرةٍ خالي الوفاضِ. يعودُ في الصباحِ ليشحنَ نفسَهُ بحزمةِ أملٍ.

الكلُّ يعملُ على إيجادِ تفسيرٍ، ثُمَّ حلٍ.

.....

بقلم (ك) للنشر الإلكتروني

الفصل الحادي عشر

-برجُ شنعار-

الحركةُ في المهدِ شبهُ مشلولةٍ.

ظهرتْ مجموعةٌ من جديسٍ يدعون معرفةَ الغيبِ، وما سيحصلُ مستقبلًا؛ وقاموا بتفسيرِ ما حدثَ ويحدثُ على هواهم.

تلكَ الأحداثُ يقابلها عجزُ العلماءِ عنِ الإتيانِ بتفسيرٍ واضحٍ جلي.

صيبٌ يتنقلُ بينَ المدعين غيبًا، ويستمعُ لتفاهاتِهم وترهاتِهم، فيتكلمُ محاولًا كشفَ الزيفِ والظلالِ للمتجمهرين حولَ الدجالين، غير أنَّ الجميعَ بينَ شاتمٍ أو ضاربٍ باسقٍ عليهِ، فالكلُّ يريدُ إراحةِ عقلهِ الحائرِ حتى لو تيقنوا في أعماقِهم أنَّهُ خداعٌ وزيفٌ.

شدادٌ لم يكن أحسنَ حالٍ من مواطنيهِ، لكنَّهُ شغلَ نفسَهُ بالمراسلاتِ الخطيةِ معَ زعماءِ الجزرِ الأخرى بعدَ أن أصبحت كلُّ جزيرةٍ تعيشُ لوحدها في عزلةٍ تامةٍ، فعادَ

موصلُ الرسائلِ باليدِ للظهورِ، وهو يسافر بينَ الجزرِ على متنِ إحدى المركباتِ.

مرَّ زمنٌ ليسَ بالقصيرِ، وبدأ الجميعُ يعيشُ تجربةَ التكيفِ معَ ما جدَّ من أوضاعٍ.

شدادٌ يحشدُ جيشًا جديدًا ليحررَ ما تبقى من أراضيهِ خاصةً بعدَ تجددِ اعتداءاتِ العدو المتمثلِ بخطفهم عددًا من رعيتهِ كانوا يتنقلون قربَ حدودِ الأراضي المغتصبة.

صيبٌ ما زالَ غيرَ يائسٍ؛ أما الباقينَ، فبينَ بانٍ لكورِهِ الذي تهدمَ أو مرممٍ، وبينَ عائدٍ لعملٍ أو تجارةٍ.

في أحدِ الصباحاتِ الهادئةِ بلا سماءٍ أو إنارةٍ كافية، والبردُ يسري بنعومةٍ في العروقِ متسللًا إلى العظامِ حدثَ أمرٌ غيّرَ كلَّ شيءٍ.

- صباحُ خيرٍ سيدي.

- صباحُ خيرٍ.

- صباحُ خيرٍ حضرتُكم.

- صباحُ خيرٍ.

- صباحُ خيرٍ سيدي.

- صباحُ خيرٍ، صباحُ خيرٍ، صباحُ خيرٍ عليكم جميعًا، ثُمَّ اندسَ منَ الممرِ الضيقِ باتجاهِ المخرجِ المظلمِ ذي الرائحةِ النتنةِ.

تنهدَ وهو يحدثُ نفسَهُ.

- أتمنى إيجادهُ اليوم، وإلا لن أبحثَ عنهُ بعدها، وسوفَ أهتمُ بشؤونٍ أخرى.

الحاجبُ: سيدي، حضرةُ يعسوب يطلبُ الإذنَ بالدخولِ.

شدادٌ استقبلَ يعسوبَ بحفاوةٍ وترحيبٍ مبالغٍ فيهِ، ثُمَّ أجلسَهُ بالقربِ منهُ.

- لو لَمْ تأتنا كنا أرسلنا إليكَ اليومَ، فقد اتخذتُ قرارًا مهمًا بشأنكَ، وسيذاعُ على الشعبِ بمرسومٍ جمهوري ظهرَ اليومِ، فقد قررتُ منحكَ منصبَ وزيرِ حربٍ، ما رأيكَ؟

ابتسامةٌ جمهوريةٌ، ثُمَّ عدلَ من جلستِهِ، وأشاحَ بوجههِ عنِ المستمعِ في انتظارِ سماعِ الكثيرِ والكثيرِ من كلماتِ الشكرِ والعرفان، إلا أنَّ ذلكَ لم يحدث، فأعادَ وجههُ ناحيةَ وزيرهُ الجديد ليجدَ رأسَهُ قد تدلى على صدرِهِ حزينًا مهمومًا.

- ما بكَ؟ ألم تسمع ما قلتُ؟

بألمٍ كبيرٍ.

- هذا شرفٌ لي عظمتكم، لكنَّ مكاني ليسَ في الغرفِ خلفَ المكاتبِ بل في ساحاتِ الوغى حيثُ الأشلاء تتناثرُ، وأصواتُ الانفجاراتِ تهدرُ.

ربتَ على كتفِهِ بهدوءٍ.

- هو الواقعُ عزيزي، الحياةُ لا تبقي على ما نُحبُ، فهي تأخذُ بقدرِ ما تعطي وفي كثيرٍ منَ الأحيانِ تأخذُ أكثرَ ممّا تعطي؛ أبتهج واحمد الأقدارَ أن لا زلتَ حيًّا؛ ها أنا أمامكَ أيضًا فقدتُ عزيزًا، لكنّي مكنتُ نفسي من امتصاصِ الصدمةِ وتحويلها إلى طاقةٍ ايجابيةٍ، وها أنا اليومَ أعدُ العدةَ لحفلٍ كبيرٍ في المساءِ أدعو إليهِ جميعَ فاتناتِ المهدِ لاختيارِ أحداهنَّ زوجًا لي.

في سجنِ المهدِ المركزي.

- ما بكَ أخي حزينٌ مهمومٌ؟ ابتهج لا تحزن، فلكلِّ ضيقٍ بابُ فرجٍ.

- فقداني لأمي آلمني كثيرًا يا أخي، ما عادَ لي غيرُ الصبرِ؛ أما الفرجُ، فقد نسيتُهُ.

- لعلَّ في قادمِ الأيامِ بهجةً وسرورًا.

- أتمنى ذلكَ.

في السوقِ، والغضبُ تملكهُ منَ الداخلِ.

- سأعودُ مللتُ البحثَ عنِ الخرفِ الأعمى.

بعدَ أن خَلَفَ السوقَ في ظهرِهِ حصلت هزةً أرضيةً لم تكن كالتين سبقتا.

كانَ الصوتُ غريبًا، واستمرت الهزةُ وقتًا طويلًا؛ صوتٌ أشبهُ بمَن يمسكُ مطرقةً حديديةً ويدقُ بقوةٍ على سندانٍ فولاذي.

الجميعُ ينادي صارخًا على الآخرِ، ولا أحدَ يعرفُ ما يجري.

ناقلُ البريدِ وهو منطلقٌ بمركبتِهِ فوقَ الزاخرِ بارتفاعٍ منخفضٍ.

- يا للأقدارِ! ما الذي يحصلُ للزاخرِ؟! أمواجهُ تتضاربُ بينها، كأنَّها تتصارعُ! ما ذاكَ الشيءُ؟! عليَّ الاقترابُ أكثر،

واستطلاعُ الأمرِ.. يا للهول! ما هذا الشيءُ المهولُ الذي يخرجُ من هناكَ؟! إنَّهُ كمن ينهضُ من سباتٍ عميقٍ ، كأنَّهُ يقطعُ المياهَ، ويحيلها أوصالًا ليزيح عنهُ ثقلها؛ سأرتفعُ أكثرَ للحصولِ على رؤيةٍ أوضح.

بعدَ لحظاتٍ.

- شيءٌ مخيفٌ سيظهرُ، أنا متأكدٌ.

انتظرَ يراقبُ رغمَ الخوفِ الذي تسللَ إلى قلبهِ.

- ماذا؟! ماذا؟! أحجارٌ متراصةٌ معَ بعضها في عرضِ الزاخرِ، وفي منطقةِ بوابةِ الجحيمِ المهجورة! لعلها إحدى ألاعيبِ قمبيزُ المخادعُ، سأنتظرُ لأرى، لن أدعَ الحدثَ يفوتني.

في أريضةَ.

وزعةُ يصرخُ كالمجنونِ.

أحدُ المحاربين لصاحبهِ: أظنُّ حاكمنا جنَ بشكلٍ كاملٍ، أيعقلُ أن نحاربَ أمواجَ الزاخرِ المتصارعةِ؟!

في الكورِ شدادٌ يصدرُ أوامرَهُ الجديدةَ:

- استعدوا لأيِّ طارئٍ، وأغلقوا المداخلَ والمخارجَ؛ اجلبوا الجيشَ إلى هنا ليحيطَ بي.

صيبٌ يحثُّ الخطى تجاهَ الكورِ، والرعبُ قد تمكنَ منهُ.

صاحبُ البريدِ.

هذا بناءٌ حجري غايةً في الكبرِ بل هو بحجمِ أريضةَ أو يزيد؛ ما يزالُ يرتفعُ ويعلو، يبدو أنَّ أحدَهم بناهُ بطريقةٍ نموذجيةٍ، شكلهُ غريبٌ يذكرني بحكاياتِ جدي الأسطوريةِ.

دونَ إنذارٍ توقفت المركبةُ عن العملِ، وأخذت تهوي بسرعةٍ إلى أحضانِ الزاخرِ المتصارعِ معَ نفسِهِ.

ذاكَ الشيءُ يرتفعُ ويرتفعُ، وقاعدتهُ التي تظهرُ تباعًا من المياهِ تزدادُ اتساعًا معَ كلِّ حجرٍ يعلو يسمعُ الصوتُ الغريبُ، صوت تقبيلِ المطرقةِ للسندان.

استمرَ الأمرُ حتى عانقَ ما أطلقَ عليهِ فيما بعدُ اسمَ: (برجُ الأفقِ العالي).

ثُمَّ صمتَ كلُّ شيءٍ، وعادَ الهدوءُ.

تمكنَ جميعُ سكانِ الأزرقِ من رؤيةِ تلكَ الظاهرةِ، كأنَّ كوكبَهم تحولَ من كروي الشكلِ إلى منبسطٍ؛ الكلُّ دونَ

استثناءٍ فوقَ سطوحِ أكوارهم أو على المرتفعاتِ أو على أيِّ شيءٍ عالٍ منتظرين حدوثِ أمرٍ ما قد يكونُ اِيجابيًا أو سلبيًا، لا أحدَ يفكرُ، فالعقولُ مغلقةٌ لا تعملُ على التحليلِ والتوقعِ، ثُمَّ مرَّ ما تبقى منَ النهارِ بسلامٍ، تبعَهُ أولُ الليلِ هو الآخر.

- أووه، عدتَ للشخيرِ، ما هذا؟ ألم نفرغ منهُ؟ عادَ و بإزعاجٍ أكبر.

- ما بكِ دعيني أكملُ نومي، أهزكِ الشوقُ لهذهِ الدرجة ؟

- أيُّ شوقٍ يا مجنونُ، انهِ هذهِ الحفلةِ حتى، وأنتَ صاحٍ تشخرُ!

- لستُ أنا يا هبلةُ، إنَّهُ قادمٌ منَ الخارجِ.

بدأت الأكوارُ تنارُ الواحدُ تلو الآخرِ حتى صحت المدينةُ بأكملها.

أشرقت الشمسان بضوئِهما الباهتِ منضمتان للبيضاءِ المريضةِ كما أسموها.

مركبةُ استطلاعٍ من قرقرَ تحلقُ عاليًا.

الويلُ لجديسٍ أجمعين، الشيءُ الحجري بدأ يُخرجُ ألسنًا عملاقةً تشبهُ الجسورَ تتجهُ في أربعةِ اتجاهاتٍ؛ ما تلكَ الأشياءُ التي تخرجُ من أسفلِ الجسورِ وتغرسُ عميقًا في الزاخرِ؟ اممم، أعمدةٌ الآنَ اتضحت الرؤيةُ، جسورٌ ممتدةٌ إلى الجزرِ، والصوتُ شبيهُ الشخيرِ مصدرهُ هي، وهي تبني نفسها بنفسها.

انتصفَ النهارُ والجميعُ يراقبُ الحدثَ.

وصلَ الجسرُ إلى الشرقِ، ومع وصولِهِ صارت الأجواءُ هادئة إلا من ضجيجِ جديسٍ أنفسهم أثناءَ جدالهم.

في قرقرَ منعَ الجميعُ منَ الاقترابِ، ووصلَ المتبصرون إلى استنتاجٍ مفادَهُ: (زوارٌ من مكانٍ ما سيصلونَ في وقتٍ ما، ولا يمكن تخمين سلميتهم من عدمها).

لم تكن أفكارُ يفاع بعيدةً كثيرًا عن قرقرَ؛ أما في سبسبَ استعدادٌ للقتالِ؛ في أريضةَ الوضعُ مختلفٌ، فشدادٌ يرى ما يحدث أمر لصالحهِ مهما سيحملُ البرجُ من مفاجآتٍ، فهو بعيدٌ عنهُ بسببِ وجودِ دويلة وزعة بينهما الذي بدورِهِ استنفرَ ما تبقى لديهِ من محاربين ممتطيًا صهوةَ الجسرِ

المتين، متقدمًا بحذرٍ معتقدًا أنَّ فرصتَهُ الحقيقية قد سيقت إليهِ.

الأقدارُ قررت الوقوفَ معي بعدَ كثيرِ ابتهالاتي، فأخرجت لي هذا الشيء حتى أتمكنَ منَ التنقلِ بينَ جهاتِ الكوكبِ، وأحررَ باقي الجزرَ من دنسِ حكامها الرابضين على صدورِ شعوبِهم منذُ زمنٍ بعيدٍ.

ظهرَ الحكمُ أخيرًا.

- العقابُ قد جاءَكُم، فاحذروه وكفروا عن خطاياكم قبلَ فواتِ الأوانِ، ظهرَ (برجُ شنعار)، سوفَ يبتلعُ، ويبتلعُ؛ عليكم بالشرقِ هو ملاذكم.

لم يعرهُ أيُّ أحدٍ اهتمامًا، لكنَّ هذهِ المرةَ ليست عن عمدٍ، بل نتيجةَ ما هُم فيهِ.

كررَ الكلامَ دونَ أيِّ جدوى.

وفي كلِّ تلكَ الجلبةِ والضوضاءِ بصرتهُ فتاةٌ صغيرةٌ، فصاحت:

- انظروا المجنونُ الأعمى، لقد عادَ!

انتبهت أمها وآخرون، وبطريقةٍ عفويةٍ جروا وراءَ الأعمى ليدركوهُ، ويعلموا منهُ ما يعلمُهُ ولا يعلموهُ، لكنَّ المطاردَ اختفى كما ظهرَ دونَ أثرٍ يذكر.

عندَما سمعَ صيبٌ بخبرِ صاحبهِ نزلَ إلى الطرقاتِ كالمجنونِ باحثًا عمن بلقائهِ هو مفتونٌ، ثُمَّ دوى في الأرجاءِ صوتٌ جديدٌ كالصريرِ فوقَ الجليدِ، والجميعُ يدورُ حولَ نفسهِ باحثًا عنِ المصدرِ.

قائدُ مركبةِ الاستكشافِ.

أبوابٌ تفتحُ بهدوءٍ، وغبارٌ يتصاعدُ، ماذا ينتظرنا؟

خفضَ من ارتفاعِ مركبتهِ حتى صارَ أمامَ إحدى البواباتِ التي تُطِلُ على أحدِ الجسورِ، وبعدَ مضى شيءٍ من الوقتِ.

يا لَذلكَ الغبارِ المتصاعدِ، أعاقَ الرؤيةِ لدي؛ أقتربُ أكثرَ لأكونَ قربَ البوابةِ مباشرةً.

صرخةٌ مدويةٌ.

- النجدةُ، النجدةُ.

بدأت تَصدرُ أصواتَ دبيبٍ وصريرٍ وصراخٍ.

غبارٌ يثارُ من بواباتِ البرجِ، ثُمَّ ما لبثَ أن انتقلَ إلى الجسورِ، وأضحى كلُّ شيءٍ مبهم.

الجميعُ ينتظرُ ظهورَ الحقيقةِ، ومن أوائلِ عارفيها وزعةَ ومجموعتهُ.

صاحَ أحدُهم مرعوبًا:

- انظر سيدي ما تلكَ الأشياءُ يا لَلهولِ، إنَّهم، إنَّهم، ا... أنجدوني إني أؤكلُ.

حفلُ صراخٍ جماعي، وأصواتُ قضمٍ وخضمٍ، وتكسرِ عظامٍ، وتهشمِ جماجمٍ، بعدها بقليلٍ صمتٌ غريبٌ.

مضى وقتٌ ليسَ بالطويلِ.

أقدامٌ بخطا ثقيلةٍ تطأُ الأرضَ، وبدأُ التقدمُ البطيءُ.

كلُّ ما هو أمامهم يعتبرُ طعامًا، وما خلفهم خراب مكسو بسوائلٍ مميتةٍ أطلقوها من أدبارِهم؛ نعم، إنَّهم (أجيجٌ)، المخلوقاتُ المفترسةُ التي حكت عنها أساطيرُ قدامى جديسٍ، وظلت تتناقلها الأجيال حتى عهدِ جدِّ شدادٍ الذي أمرَ بإزالةِ ذكرها من الكتبِ والمخطوطاتِ.

أجيجٌ كائناتٌ ذات قوامٍ مزيجٍ من طينٍ ومعدنٍ صلبٍ.

أطوالها ضعفُ أطوالِ جديسٍ البالغينَ، رؤوسها كروية كبيرة، ولديها ثلاثة أزواجٍ من العيونِ الصغيرةِ؛ زوجٌ في المقدمةِ عندَ الجبهةِ، وعينٌ واحدةٌ عندَ الذقنِ، وأخرى أسفلَ الرأس من الخلفِ، وواحدةٌ في يمينِ الرأسِ، وأخيرةٌ في يسارهِ؛ أفواههم كبيرةٌ مليئةٌ بالأنيابِ، ولهم أربعُ شفاهٍ تجعلُ أفواههم كفطيرةٍ مقطعةٍ لأربعِ مثلثاتٍ؛ صدورُهم معدنية عريضة.

الأذرعُ طويلةٌ، والأكفُ فيها خمسُ أصابعٍ، والأقدامُ طويلةٌ أيضًا، فجلُ طولهم في النصفِ الأسفلِ من أجسادِهم، ونهاياتُ تلكَ السيقانِ عبارةٌ عن حوافرٍ مخيفةٍ مكسوةٍ بإبرٍ طويلةٍ، وهم عراةٌ لا يرتدون شيئًا؛ يحملون بأيديهم عصي حجرية بعضها شبيهٌ بالمطارقِ.

يتواصلون مع بعضِهم البعضِ بأصواتٍ تشبهُ الخوارَ، وأخرى مثل النهيقِ.

الوجهةُ مهدُ أُريضةَ.

لم يكنْ حالُ بقية الجزرِ أفضلَ منَ الجزيرةِ الشرقيةِ، فالمصابُ واحدٌ.

حاولَ مَن حاولَ المقاومةَ، وصدِ الغرباءِ بالأسلحةِ دونَ جدوى.

أحدُ الجديسِ.

- وجدتها يا أصحابُ، تلكَ الأشياءُ جزءٌ من قوامها طيني، علينا تذويبها بالماءِ أو إحراقها بالنارِ، فهيا هلموا.

بعدَ التجربةِ.

- يا صديقُ، الماءُ لا يفعلُ شيئًا فقط يعرقلُ تقدمها قليلًا؛ يسقطُ الأجزاءَ الطينيةَ لكنَّ الهيكلَ المعدني يستمرُ قدمًا، ثُمَّ يعيدون بناءَ أنفسهم.

هتفَ آخر:

- النارُ لا تجدي شيئًا، فقط تعيقُ الحركةَ، فلا يلبثُ الطينُ بالتحجرِ حتى يتصدعُ ويخرجُ الوحشُ، كأنَّهُ جديدٌ بهمةٍ أع لن أبرحَ مكاني، وسأقاتلُ حتى آخر رمقٍ في حياتي، اهربوا أنتم أيُّها الجبناءُ، وإلي بولدي هو مَن ينصرني.

الحاجبُ محدثًا قائدَ حرسِ الكورِ:

جنَّ شدادٌ رأيتهُ يرتدي لباسَ جدِهِ الأول، ويعتمرَ خوذتَهُ، وفي يدِهِ سلاحٌ قديمٌ؛ أنا سآخذُ عائلتي وأهربُ، وأنتَ اجلب لَهُ صغيرَهُ.

- أينَ تهربُ؟

- إلى أيِّ بقعةٍ لا تصلها الوحوشُ.

صيبٌ في تلكَ اللحظاتِ يتخبطُ بينَ الأزقةِ، والحواري يراقبُ جديسًا وهم مرتعبون لا يعرفون إلى أينَ يفرون.

أحدُهم يصرخُ: وصلوا، إنَّهم يقتحمون أسوارَ المدينةِ الغربيةِ.

قربَ السورِ السجنِ الذي خلا من نزلائِهِ قبلَ وصولِ أجيجٍ بوقتٍ قصيرٍ.

لاهثًا يفكرُ بصوتٍ مرتفعٍ.

- شكرًا للأقدارِ، ولتلكَ الأوحالِ؛ ماذا يتوجبُ عليَّ فعلهُ الآنَ؟ نعم، شدادٌ هو القصدُ والغايةُ.

صيبٌ يحثُ الخطى عائدًا إلى أبيهِ، لكنَّ الأمرَ صَعُبَ عليهِ، فالزحامُ لا يمكنُ وصفهُ، ومع ذلكَ شقَ الصفوفَ.

- أخيرًا الكورُ القريعي؛ يبدو خاليًا، هذا أيضًا جيد، فإن لم أحضَ بالعاهرِ سأحملُ ما خفَ وغلا.

الأجيجُ مشغولونَ بالتهامِ كلّ شيءٍ، وزادَ من شهيتهم الصراخُ والعويلُ.

- مَن هناكَ؟ عرف عن نفسك.

مِنَ الظلِ خرجَ جديسٌ ملثمٌ يرتدي رداءً أزرقًا.

نظرَ إليهِ شدادٌ.

- بني، جيدٌ أنَّكَ جئتَ، فالخونةُ هربوا، تعالَ اقترب أريكَ كنوزَ أجدادِكَ التي كنتُ محتفظًا بِها لكَ، يبدو أنَّ الوقتَ حانَ لتحصلَ عليها.

بقي الجسم المختفي وراءَ الردِاء واقفًا بينَ الظلِ والضوءِ، ثُمَّ لمعت تلكَ العينُ الواحدةُ عندما رأت مقدارَ الثروةِ التي تناثرت منَ الصناديقِ بعدَ فتحها.

نظرَ هنا وهناكَ. عثرت عينهُ على قطعةٍ صلبةٍ أشبهُ بعامودٍ صغيرٍ؛ التقطها، ثُمَّ هَوى بها على رأسِ المشغولِ بالكلامِ عنِ الأمجادِ الغابرةِ. ضربةٌ والثانيةُ، فالثالثةُ حتى تأكدَ من مصرعِهِ، فتركَهُ غارقًا بنفيسِهِ النفيسِ.

جلسَ قربَ الجثةِ، ونوبةٌ منَ الضحكِ الهستيري انتابتهُ، بدأ يحدثُ قتيلهُ.

- تعرفني سيدي شدادٌ؟ حقًا لم تتعرف عليَّ؟ إذًا حقًا لكَ، ألا يعرفُ المجرمُ ضحيتَهُ؟ تذكرتُ ضحاياكَ كثرٌ.

أماطَ اللثامَ عن وجههِ.

- ها تذكرتني؟ انظر لهذهِ المفقوءة، ألا تذكركَ بشيءٍ؛ أظنُّكَ عرفتني، لكنَّكَ خجلٌ؛ لا تخجل.

لم يتمكن صيبٌ منَ الوصولِ إلى أبيهِ أبدًا، فقد دخلَ أجيجٌ إلى الكورِ، وأحالَهُ إلى عدمٍ.

عادَ يذرفُ الدموعَ محاولًا إقناعَ نفسهِ أنَّ شدادًا نجا.

نظرَ حولَهُ.

- ما هذا؟! لم يبقَ سواي في المدينةِ؛ الأكوارُ والطرقاتُ أقفرَت، أينَ سأذهبُ؟ وإلى مَن سألتجئ؟

دخلَ أحدَ الكيران بعدَ أن أنهَكَهُ التعبُ، وسلمَ أمرَهُ أنَّهُ سيكونُ إحدى وجباتِ الوحوشُ عاجلًا أم أجلًا.

لحسنِ حظهِ هبطَ الليلُ سريعًا، وفيهِ أُجيجٌ لا تتقدمُ، بل تنامُ، وهي واقفةٌ مشكلةٌ مجموعاتٍ حلقيةِ، وكلٌّ واحدٍ منها يتركُ أحدَ عيونِهِ مفتوحة للحراسةِ.

ليلٌ طويلٌ مرعبٌ على الجميعِ.

صيبٌ استغلَ الظلامَ.

بدأ الفتى يخطو خطواتٍ حذرةٍ بعدَ أن أصبحوا فوقَ رأسهِ تقريبًا، وعندما باتَ على مسافةٍ آمنةٍ أطلق العنان لرجليهِ تسابقان الزمنَ.

- ما ذاكَ الشيءُ اللامعُ أمامي؟ سأتقدمُ بحذرٍ؛ فرحتي لا توصف، مركبةٌ، أظنني نجوتُ.

بعدَ استقرارهِ داخلها.

- هيا انطلقي، لم لا تستجيبين؟!

- عفوًا سيدي رائحتكَ، ووزنكَ لا يطابقان رائحةَ ووزنَ القائدِ، أعتذرُ لا يمكنني الاستجابةُ.

خرجَ منها، وهو يركلُ جوانبها.

- تبًا لما تبقى لنا منَ الحداثةِ والتقدمِ.

واصلَ طريقَهُ.. بعدَ خطواتٍ عادَ راكضًا لاجئًا إلى أحضان المركبة، راجيًا لها أن تغلقَ الأبوابَ بعدَ رؤيتِهِ لغريمهِ الخيطلُ.

بقي لائذًا في حمى المركبةِ حتى انبلاجِ الصبحِ، وعودةِ الصياحِ والصراخِ.

جري ركضٌ وخوفٌ؛ هذا ما عرفَهُ صيبٌ، وفجأة.

حمدًا للأقدارِ نهاز، شكرًا أنانكي.

بعدَ عذابٍ ومعاناةٍ تمكنَ من امتطاءِ نهازٍ، والانطلاقَ بهِ بينَ الأزقةِ وبقايا الجدرانِ.

توقفَ بعنفٍ، ثُمَّ صاحَ بصوتٍ مرتفعٍ متناسيًا العدو الجائعَ الزائفَ.

- اكتملت رحمةُ الأقدارِ بي؛ كيفَ حالكَ يا عمُ؟

- مَن؟ ابنُ الأعيانِ، أهلًا، ما الذي تفعلهُ وحدكَ هنا؟

- أحاولُ الفرارَ، وأنتَ ما الذي تفعلهُ هنا؟ آه لو تعرف كم بحثتُ عنكَ.

- لا وقتَ للتأوهِ الآنَ.

ربتَ على المطية.

- أظنُّ لديكَ وسيلةَ تقلنا، هيا انطلق قبلَ أن يلحقَ بنا المسخُ اللعين.

- إلى أينَ؟

- إلى السواحلِ الشرقيةِ، إلى مرتفعاتِ البرسيمة، فلن يصلوا إلى هناكَ أبدًا، وقد أبلغتُ جلَّ أهلِ المهدِ، لكنَّ كُثُرًا منهم لم يحالفهم الحظَ بشكلٍ جيدٍ.

كانت سوفَ تكونُ رحلةً طويلةً، ومخيفةً بالنسبةِ لصغيرٍ مثلَ صيبٍ، لكنَّ العرافَ حولها إلى شيءٍ آخر رغمَ الخطرِ المحدقِ الذي يكادُ يدركهما.

انضمَ الكثيرُ في الطريقِ للمسافرين، كما لم يتوقف صيبٌ عنِ الأسئلةِ.

- ما الذي حدثَ ويحدثُ؟

- هذا عقابٌ من صاحبِ الأسبابِ، تركناهُ وانشغلنا بما خَلقَ، نسيناهُ، فأنسانا أنفسنا، ثُمَّ تَرَكَنا نغوصُ في خطايانا، والقادمُ أدهى وأمر.

- ما القادمُ؟

- الأفضلُ أن تراهُ بنفسِكَ، فغيرُ مصرحٍ لي البوحَ بهِ، اعلمْ بني: ما لم يحدث ليسَ من شأني ولا شأنكَ؛ ما يتوجبُ علينا الآنَ هو تحذيرُ مَن تبقى وحثهم على الرحيلِ إلى الشرقِ قبلَ فواتِ الأوانِ.

- ما مصدرُ المسوخِ؟

- حدد سؤالكَ بدقةٍ أكثر؛ أتقصدُ مصدرَ خَلقها، وجنسها أم مكانَ قدومها وعيشها؟

- كلاهما؛ الأول: هم من طينٍ، كانوا يعيشون على سطحِ الكوكبِ، فطردوا منهُ لكثرتِ مشاكلهم، واعتدائِهم على غيرِهم؛ أما الثاني: قدموا من كرقزح مكانُ عيشهم من زمنٍ بعيدٍ، هناكَ يشاركونَ قزحَ المكانَ، فهو تحتهم بطبقةٍ، ولهُ علاقاتٌ طيبةٌ مع سيدهمِ، وقد سُرِدَت الكثيرُ منَ الأقاويلِ عنهم جلها لإخافةِ الصغارِ ليلًا.

انتهت الرحلةُ الطويلةُ، واستقرَ العجوزُ والصغيرُ، ومعهم جمعٌ غفيرٌ من جديسٍ.

الكلُّ صارَ مسكنَهُ الجديد كهوفُ مرتفعاتِ البريسمية.

صيبٌ يسألُ مستغربًا.

- أراكَ يا عمُ تمارسُ حياتكَ بطبيعيةٍ من غيرِ اكتراثٍ، وكأنَّهُ لا وجدَ لخطرٍ قد يدهمنا ويلتهمنا في أيِّ لحظةٍ؟!

- يا بنَ الخاصةِ، أنا موقنٌ بأنَّ ما كانَ كائنٌ لا محالَ، وكلّهُ مقدرٌ مكتوبٌ، فلا تخف وتبتئس، الفرجُ آتٍ لا ريبَ، اصبر وعش يومكَ هذا، لا ترضَ بغيرِ التميزِ فيهِ، فالحياةُ تنقضي بلحظةٍ حتى لو امتدت آلافَ السنين.

كانَ العرافُ يشحذُ الهممَ، ويواسي الحزينَ، ويطبطبُ على المسكينِ، فتحولَ في نظرِ الآخرينَ منَ الأعمى المجنون إلى الزعيمِ والأبِ الحنون، لذا صاروا يطبقون ويعملون بما يأمرُ أو يخبرُ حتى جاءَ اليومُ الموعودُ.

صعدَ الحكمُ إلى أعلى قمةِ جبلٍ في البرسميةِ، كأنَّهُ ينتظرُ حدوثَ أمرٍ جلل، وما لبثَ أن استقرَ أعلى الجبلِ حتى سمعوا صوتًا مخيفًا لا يعرفُ مصدرهُ، كان صوتَ بوقٍ غاضبٍ.

تسمرَ الجميعُ كأنَّ على رؤوسِهم الطيرَ.

أُجيجٌ كانوا منهمكينَ بابتلاعِ ما أمامهم، وقد عظمت كروشُهم، وثقلت خطواتُهم، وعندما سمعوا الصوتَ بدأوا يحسون بآلامٍ في بطونِهم غيرَ أنَّ ذلكَ لم يثنهم عمّا يفعلون.

صدحَ الصوتُ من جديدٍ، وهذهِ المرة أشدَ وطأةً ووضوحًا.

سقطَ عددٌ لا بأسَ بهِ من أُجيجٍ بينَ رافسٍ ومتلوي ألمًا؛ كلُّ واحدٍ منَ المتألمينَ ينقلبُ على ظهرهِ تنفجرُ بطنُهُ، ويتحولُ إلى جثةٍ هامدةٍ لا روحَ فيها، ثُمَّ جاءَ الصمتُ كعادتِهِ.

صمتٌ مرعبٌ ينذرُ بحدثٍ جللٍ.

لم يمر وقتٌ طويلٌ على مَن تبقى مِنَ الوحوشِ التي استعادة شهيتها بسرعةٍ حتى هبطت كائناتٌ من أعلى، عظيمةُ الأجسادِ عملاقةٌ تفوقُ أُجيجٌ بعشرِ أضعافٍ، لها رؤوسٌ غريبةٌ معظمها عينان، والباقي فمٌ؛ أجسادها اسطوانية طويلةٌ محدبة من جهةِ البطنِ إلى الخارجِ، ولها يدانِ ورجلان قويتان كبيرتان في آخرهما مخالبٌ تلقفُ بها الجثثَ معَ الأحياءِ، ثُمَّ تعودُ بها إلى الأعلى مستخدمةً أكعابَ الأقدامِ للقفزِ عاليًا.

ذعر المسوخُ أولَ هبوطِ الكائنات الغريبة، ثُمَّ بدأت العودةُ ناحيةَ الجسورِ، فنجحَ القليلُ منهم، وما لبث مَن تبقى أن امتطى الجسورَ حتى بدأت تهتزُ عائدةً سيرتها الأولى كما بنيت أولَ عهدها، كأنَّها تعودُ إلى رحمِ أمها برجُ شنعارُ.

بعدَ معاناتٍ وصلَ أربعةُ ناجين من أُجيجٍ إلى بواباتِ البرجِ، وفورَ دخولِهم داخلهُ إنهارَ وغاصَ بلمحِ البصرِ في غياهبِ المياهِ التي هاجت وماجت بعنفٍ.

مضت لحظة منَ الزمنِ حتى عادَ الهدوءُ الذي يثيرُ الطمأنينةَ في النفوسِ المرتعبةِ واختفى الغرباءُ النهمينَ كما جاؤوا دونَ أثرٍ لأجسادِهم فقط الخرابُ برهانٌ على إنَّهم كانوا هنا.

نزلَ الحكمُ آخرَ النهارِ متعبًا منهكًا من طولِ السيرِ، ثُمَّ جمعَ حولَهُ جديسًا.

- أحبتي، إخوتي، أخواتي وأبنائي، ما تخافون ولى لغيرِ رجعةٍ، فقروا ليلتكم هذهِ هانئين، واستعدوا غدًا للعودةٍ إلى الديار، فقد انتهت ضيافتنا هنا، هذهِ الأرضُ لم تعد ترحبُ بنا، عجلوا بحزمِ الأمتعةِ، وجمعِ المتاعِ.

عادت القلةُ المتبقيةُ إلى المهدِ، واختفت مظاهرُ التمدنِ والحضريةِ والتطورِ منَ الكوكبِ بأسرِهِ.

اتفق مَن نجا في أريضةَ على تسميةِ العرافِ قائدًا لهم، ولقبوه بـ(المعلمِ)، وقد تشاركَ الفتى مع العجوزِ بما تبقى من كورٍ كان لأحدِ الخاصةِ.

أما في قرقرَ، فقد ظهر قمبيزُ، وعددٌ لا بأسَ من الناجين من ملجئِهم الحصين تحتَ الأرضِ، وعلى الفورِ خطبَ بهم.

- يا أبناءَ أمتي قد رأيتم ما حصلَ من مهالكٍ، وعلمتُ أنَّ أُممَ جديسٍ الأخرى هلكت عن بكرةِ أبيها؛ أريدُ تذكيركم بما قلتهُ قبلُ: (إنّا فريدونَ متفردونَ)، هذا كلّهُ بفضلِ إلهنا العظيم.

حصلت جلبةٌ وضوضاءٌ.

- نعم، إلهنا؛ كنتُ دائمَ التأملِ في السماءِ والزاخرِ والطبيعةِ فيما مضى متسائلًا عن واجدِ كلِّ هذا، فلم يأتِ كلُّ هذا بمحضِ صدفةٍ، وكنتُ أهزأُ من خزعبلاتِ العلماءِ، وبعدَ طولِ تضرعٍ أرشدني إلهي، وإلهكم معرفًا عن نفسِهِ، ذلكَ منذُ زمنٍ، لكنَّهُ لم يأذن لي إبلاغكم والإعلانُ لحينِ هلاكِ المفسدينَ، والكفرةَ من أُممِ جديسٍ الأخرى، كذلكَ بعضُ الخونةِ من أُمتنا، ولأننا أنقياءٌ أتقياءٌ أنجانا منَ العذابِ.

أحدُ المستمعين يهمسُ لصاحبِهِ:

- لِمَ لمْ يهلك المجنون ويريحنا من ترهاتِهِ البلهاء.

قمبيزُ يواصلُ خطبتهُ: إلهكُم هو العظيمُ ذو المجدِ قزحُ، فاهتفوا باسمهِ واحمدوهُ حمدًا كثيرًا؛ منَ اليومِ سيكونُ هذا المكانُ حيثُ أقفُ معبدًا لتمجيدِ أمجادِ الربِ الرحيمِ قزحُ.

أيدَ مَن أيدَ، ورحبَ مَن رحبَ، وهتفَ آخرون، ثُمَّ لم يطل الأمرُ حتى شخصَ نصبٌ كبيرٌ يجسدُ إلههم الجديدُ.

وحدثَ الحدثُ الذي غيرَ الكوكبَ من حالِهِ الجديد إلى حالِ أخرى.

- بني صيبٌ انهض، علينا الرحيلُ الآنَ.

- ما الأمرُ يا عمُ؟ الرحيل إلى أينَ؟

- إلى شمالِ البلادِ، هلمَ أسرع، اجمع حاجياتكَ.

- لِمَ العجلةُ بل لِمَ الرحيلُ؟!

- لا وقتَ للأسئلةِ، نفذ الأمرَ، هيا.

- سمعًا.

في مكانٍ آخرٍ.

صوتٌ متعبٌ لاهثٌ.

- أصبحنا بعيدين عن العاصمةِ؟

- أجل سيدي، لكن لِمَ أخرجتنا في هذا الوقتِ، وبتلكَ الطريقةِ الغريبةِ؟

- عليكَ ألا تسألَ الأسيادَ، أنا الوحيدُ من حقِّهِ السؤال، والجميعُ عليهِ الإجابةَ، فهمت؟

أُريضةُ.

- ألا نبلغُ مَن تبقَ في المدينةِ؟

- لا، فرحلتُهم انتهت هنا، هذا قدرُهم، ولا مغيرَ لهُ إلا مَن وضعَهُ، حث خطى مطيتكَ، اسمع مني هذهِ الكلمات: مهما حدثَ خلفكَ لا تلتفت، ومهما سمعتَ لا تعر لَهُ قويقعاتٍ صاغية.

قُبيلَ شروقِ الشمسينِ صوتُ انفجارٍ مدوي يهزُّ الكونَ بأسرِهِ، ثُمَّ هبت ريحٌ عاصفٌ جعلت منَ الثلاثةِ يتدحرجون ككراتِ قشٍ.

هدأ كلُّ شيءٍ، وبعدَ بحثٍ قصيرٍ وجدَ الفتى مَن يدعوهُ عمي.

- لا تتحرك عماهُ، فجرحكَ غائرٌ ويحتاجُ لتضميدٍ جيدٍ.

- لا عليكَ، أنا معتادٌ على مثلِهِ؛ بالتأكيدِ الأسئلةُ تكادُ تفلقُ رأسُكَ الصغيرُ، سأخبرُكَ قبلَ إطلاقِ العنانِ لفضولكَ؛ يا ولدي، ما حدثَ خلفنا هو: خسفُ في ثلاث مناطقٍ من كوكبنا لأنَّها مليئةٌ بالشرِ، ولا ينفع علاجٌ معها؛ والمناطقُ الثلاثةُ هي: المهدُ وشاليمُ والسواحلُ الغربيةُ لسببسبَ. قبلَ سؤالكَ عن مصيرِ مَن بقي هناكَ، أقولُ لكَ: هلكوا جميعًا.

الآنَ ما الذي يتوجبُ علينا فعلهُ؟

الوصولُ إلى الشمالِ، وهناكَ سيصلنا ما يوصلنا إلى الحلِ.

مضت الأيامُ، وتمكنَ الاثنان منَ الوصلِ إلى قريةٍ نائيةٍ.

- انظر بني مَن في استقبالنا.

شهقَ.

- مرجانةُ وابنها هتمس، خلتهم ماتوا!

بإجلالٍ واحترامٍ كما في السابقِ.

- أهلًا وسهلا أيُّها الموقرُ.

قالها الاثنان بصوتٍ واحدٍ وبنبرةٍ خاضعةٍ بالمقابلِ أخذهما الفتى بالأحضانِ، ثُمَّ أطلقَ العنانَ لدموعِهِ الحارقةِ، وانطلقَ باكيًا، وهو يخبرُ مرجانةَ أنَّهُ يشمُ رائحةَ أمِهِ فيها.

- يا شيخَ القريةِ، هل يمكنُ تدبير سكنٍ مؤقتٍ لنا؟

وجبةُ منتصفِ النهارِ عندَ مرجانةَ في كورِها الصغيرِ المتواضعِ كما قالت للموقرِ، وهي تدعوهُ للدخولِ.

باندهاشٍ، وشيءٍ بسيطٍ منَ الغبطةِ رغمَ ما حدثَ.

- مَن؟ أصبهان؟! كيفَ حالكِ؟

- تقدمت بخطا هادئةٍ خجولةٍ.

- أهلًا صيب، كيفَ حالكَ أنتَ؟ اشتقنا لكَ.

الأمُ تنظرُ بعينٍ محمرةٍ إلى ابنتها كالعادةِ، ولسانُ حالها يقول:

- عيبٌ هذا سيدك، عليكِ إظهارَ الاحترامِ الوافرِ لهُ أم إنَّكِ تناسيتِ ذلكَ؟

أجابتها الفتاةُ بنظراتٍ.

- انتهى عصرُ العبوديةِ، انتهى زمنُ الخاصةِ، كلنا جديسٌ.

مدتْ يدها مصافحةً الفتى.

مضى القليلُ منَ الوقتِ في الحديثِ.

فتحَ بابُ الكورِ بعنفٍ حتى كادَ ينخلعُ، ثُمَّ دخلَ جديسٌ ضخمُ الجثةِ مترهلٌ يرتدي ملابسًا كثيرةً رثةً؛ بصوتِهِ الأجش قالَ:

- مَن عندنا؟ السيدُ صيبٌ، والعمُ الحكمُ يا مرحبًا، يا مرحبًا.

مرجانةُ تُعَرِفُ صيبًا على المُرحبِ: هذا زوجي، فلا يرعبُكَ مظهرَهُ، هو طيبُ القلبِ.

قبلَ المساءِ شيخُ القريةِ يخبرُ المعلم أنَّ مسكنًا صغيرًا بجوارِ كورِ عائلةِ مرجانةَ أمسى تحتَ تصرفهم.

في الأيامِ التي تلت الجميعُ انشغلَ بشأنٍ يخصهُ، فالبالغون يخرجون إلى العملِ في الحقولِ؛ أما العرافُ، فقد واظبَ على الخروجِ يوميًا دونَ مرافقةٍ من جديسٍ مستعينًا بنهاز الذي كانَ بحوزةِ صيبٍ بعدَ أن يدمدمَ لهُ بكلماتٍ لينطلقَ الأخيرُ مسرعًا، وعلى ظهرِهِ العجوزُ، ولا يعودان حتى المساءِ، وأحيانًا يبيتُ صيبٌ وحدَهُ.

أما قمبيزُ، وبعدَ استقرارِهِ هو الآخر في شمالِ قرقرَ بدأَ يُعِدُ العدةَ لتجهيزِ جيشٍ قوي أطلقَ عليهِ اسمَ (جيشُ عودةِ الإلهِ)، وقد تميزَ ذلكَ الجيشُ بالأسلحةِ التقليديةِ المبتكرةِ

في نفسِ الوقتِ، وأمرَهم قائدُهم بغرسِ الحلقِ المعدني قدرَ ما استطاعوا في لحومهم كذلكَ ذاعت عندَهم ظاهرةُ النقشِ على الرؤوسِ مستخدمين النارَ، فتحولوا من جديسٍ إلى كائناتِ أخرى ذات مناظر مقززةٍ.

فعلوا ذلكَ بأمرٍ من إلههم كما أخبرهم زعيمهم في كلِّ مرةٍ يعودُ بها منَ الكهوفِ في جبالِ الشمالِ مدعيًا أنَّهُ كانَ في حضرتِ العظيمِ المقدسِ.

أما في يفاعَ، فقد كانت الفوضى عارمةً لا يعرفُ أحدٌ ما العملُ خاصةً بعدَ اختفاءِ حصرو فجأةً.

سبسبُ أوضاعها أكثر تعقيدًا، فقد تحزبَ جديسٌ ثلاثَ فرقٍ؛ واحدةٌ بقيادةِ إعصار، وأخرى بقيادةِ شقيقِ إعصار، وأخيرة بقيادةِ أنثى تدعى وقد نشبت حربٌ بينهم أشغلتهم عما هو أهم وأخطر.

تكيفَ الجميعُ بسرعةٍ مع الحياة في القريةِ.

في أحدِ الأيامِ جاءَ الحكمُ إلى شيخِ القريةِ طالبًا منهُ إبلاغَ السكانِ وجوبَ الحضورِ إلى اجتماعٍ هامٍ.

تجمهروا أمامَ بيتِ شيخِ القريةِ، فبرزَ لهم العرافُ، ثُمَّ حدثَهم قائلًا: جمعتُكم اليومَ لأطلبَ منكُم طلبًا هامًا بقدرِ أهميةِ أرواحكم لأجسادِكم، بقدرِ أهميةِ تناولِ الطعامِ والشرابِ؛ أحبائي أريدُكم أن تتوبوا عن جميعِ خطيئَةٍ اقترفتموها في مشوارِ حياتكم، ثُمَّ تتأملوا ما حولكم، وتسألوا أنفسَكم من أينَ جاءَ؟ ومَن الذي أوجدَهُ؟ وهل يستحقُ مَن أوجدَ كلَّ شيءٍ منا هذا الجفاء؟ أريدُ منكم سؤالَ أنفسِكم، لِمَ حصلَ بنا ما حصلَ؟ أحبائي لن أُجبرَ أحدًا على فعلٍ غيرِ راغبٍ بهِ، إلا إني أقولها بصراحةٍ: إنّا مقبلونَ على حدثٍ عظيمٍ، لذا استعدوا، وأعدوا العدةَ.

سكتَ، وهو ينصتُ للضجةِ التي نشبت بينَ صفوفِ المتجمهرينَ، ثُمَّ ضربَ بعصاهُ.

- اجمعوا ما تستطيعونَ من مؤنٍ داخلَ كيرانِكم، اعدوا العدةَ لعشرةِ أيامٍ أو يزيد؛ أما الإناثُ عليهنَّ قصَ ضفائرهنَّ، وكلُّ واحدةٍ تقومُ بصنعِ حبلٍ صغيرٍ توصدُ بهِ بابَ كورِها على

عيالها بالحبلِ المصنوعِ من شعر رأسها؛ نصيحتي الأخيرةُ: عليهنَّ قصَ شعرهنَّ كلُّهُ، وألّا يبخلنَ فيَهلكنَ ويُهلكنَ.

قمبيزُ هو الآخرُ اجتمعَ مع جماعتِهِ.

البشارةُ يا أبطالُ، فالفرحُ قربَ أوانهُ، كلُّ واحدٍ يقومُ بجلبِ (مردوس)، يرعاهُ جيدًا حتى يحينَ الحينُ، وأعطيكم الأمرَ، حينها تقومون بذبحِ ما رعيتُم، ثُمَّ تدهنون أبوابَ كيرانكم بنفيسِهِ، وتعلقونَ أحشاءَهُ ذاتَ الرائحةِ النتنةِ على الأبوابِ، بعدها تدخلون ولا تخرجون إلا بعدَ تسعةِ أيامٍ، لا تقتاتون فيها إلا على لحمِ ذبحكم، وابشروا فإنَّ الخيرَ العميقُ قد دنا وقتُ وصولِهِ.

الجميعُ يهتفُ للإلهِ، وقائدهم الذي أصبحَ شبيهَ قطعِ لحمٍ متورم حشيت بالكثيرِ الكثيرِ منَ المعدنِ، ولها رأسٌ حملَ نقوشًا وعباراتٍ لا يفقها أحدٌ.

لم تنصرم الكثيرُ منَ الأيامِ على خطابِ الزعيمين.

الحكمُ أصدرَ أوامرَهُ بلزومِ الأكوارِ، وعدمِ الخروجِ منها إلا وقتَ انتصافِ النهارِ.

قمبيزُ أمرَ محاربيهِ وعائلاتِهم بالاختباءِ، وعدمِ إصدارِ أيِّ ضوضاءٍ أو إشعالِ أضواء إضافةً لأوامرِهِ السابقة.

صيبٌ خائفٌ مرتمي بينَ أحضانِ العمِ الأعمى.

- ما الخطبُ؟ ما كلُّ الصراخِ المخيفِ خارجًا.

- (الأرواحُ الهائمةُ)، أو كما يسمونها (الدناهشة)، أطلقها اللعينُ من بطنِهِ الكبيرِ، لن يمسكَ منهم مكروهٌ، وأنا معكَ، فلا ترتعب، هي الآنَ تتجولُ باحثةً عن ضحيةٍ تروي ظمأها من روحِهِ؛ آمل أن تكونَ جميعُ الإناثِ التزمنَ بأوامري حرفيًا.

لم تكنْ آمالُ المعلمِ في محلها، فكثيرٌ منَ الإناثِ خالفنَ أجزاءً منَ الأمرِ، فمنهنَّ مَن بدلت شعرها بشعرِ النهازِ، وأخريات تركنَ لأنفسهنَّ شيئًا من ضفائرهنَّ اِستخفافًا.

لحسنِ الحظِ انصرفت الأرواحُ قبلَ أن تصلَ بعضهنَّ عندَ مَا انتصفَ النهارُ.

مرجانةُ مرتعبةٌ خائفةٌ، وهي تقومُ بقصِ ما أبقت من شعرٍ في رأسها بعدَ رؤيتها ما حلَ بعائلاتٍ وجدوها بأجسادٍ متخشبةٍ شاحبةِ الألوانِ دونَ أرواحٍ أو أفواهٍ وعيونٍ.

أصبهانُ زارت العرافَ، فانقضى الوقتُ دونَ ملاحظتِهِ، فمُنِعَت منَ الخروجِ، وبقيت في ضيافةِ الاثنينِ.

النعاسُ غلبَ الفتاةَ عندَ انتصافِ الليلِ.

صراخٌ قريبٌ.

صيبٌ أحسَ بما حصلَ، فرفعَ رأسَهُ ناحيةَ عمِهِ الأعمى ليومئ لَهُ الأخير بالتأكيدِ.

- أتريدُ معرفةَ كيفَ فقدتُ عينيَّ؟

- بكلِّ تأكيدٍ أريدُ.

- فقدتهما نتيجةَ تعرضي لهجومٍ من إحدى تلكَ الأشياءِ، فهي أولُ انقضاضها على العينين، ثُمَّ تسحبُ الذكرياتِ منها، وبعدها على الفمِ لتسحبَ الروحَ منهُ.

- وكيفَ نجوتَ؟

- قصةٌ طويلةٌ لا محلَ لسردها الآنَ إلا أني أقولُ لكَ، قد فقدتُ بصري، فأُنيرَت بصيرتي، وفقدتُ ذاكرتي، وسوفَ يُخلدُ ذِكرِي، لذا أحمدُ واجدي من عدمٍ كلَّ يومٍ، وأنتَ عليكَ فعلُ ذلكَ؛ مسكينةٌ هذهِ اليتيمة، تعامل معها كأختٍ لكَ بني.

مضت الأيامُ التسعُ، قضت فيها الدناهشةُ على العديدِ من الجديسِ، ولم يتبقَ سوى عددٍ بسيطٍ لا يكادُ يذكرُ مقارنةً بما كانوا عليهِ قبلَ الحربِ الأخيرةِ.

- هيا بنا بني نخرجُ، فصباحُ اليومِ هذا جميلٌ.

- لكن عمي!

عادت إلى مأواها الأول بعدَ أن روَت عطشها.

- هيا انطلق أبلغ الجميعَ، وأنتِ يا صغيرةُ، رافقي أخاكِ؛ عيشوا هذهِ الأيامَ بمرحٍ وسرورٍ، فمَن يعرفُ ما الذي سيحدثُ ويدورُ.

لم تستمر دعتهم كثيرًا حتى حدثَ حدثٌ آخرَ، وهذهِ المرة مصدرهُ منَ الأعلى.

- أمي، أمي انظري إلى فوق.

صغيرٌ يمسكُ رداءَ أمهِ المشغولةُ بالعملِ في حقلِها يريدُ تنبيهها للقادمِ من فوق.

- دعني أكملُ عملي.

- أمي.

- شش، قلتُ دعني، وانصرف لشأنِكَ.

قالت كلماتها الأخيرةَ صارخةً بوجههِ، لكنَّها تسمرت عندَما لمحت المخلوقُ الكبيرُ بل العملاقُ الذي يحلقُ عاليًا، وهو فاردٌ أجنحتهُ الست، وقد حجبَ بهنَّ نورَ أنانكي.

ولت راكضةً ناحيةَ القريةِ، وهي تجرُ الصغيرَ.

الحكمُ يحاولُ تهدئةَ الجميعِ.

- لا تقلقوا، هذا المبعوث أرسلَ لتطهيرِ العالمِ من الشرِ الأعظمِ؛ اهدؤوا أرجوكم.

أطلقَ المحلقُ عاليًّا صوتهُ المميزُ الذي كان عبارةً عن نعيقٍ ممزوجٍ بزعيقٍ مزعج حتى أنَّ جيشَ الإلهِ قزحُ سقطَ عن بكرةِ أبيهِ بينَ باكٍ متألمٍ أو صارخٍ فارٍ.

لم يكن شكلُ المخلوقِ ببعيدٍ عن جديسٍ إلا في بعضِ التفاصيلِ.

استمرَ الكائنُ الطائرُ في إطلاقِ صرخاتهِ حتى وصلت كرقزح.

- أوه، أمعقولٌ؟ وصلَ الإزعاجُ إلى هنا.

ابتسامةٌ تسلبُ اللبَ، وتثيرُ الاشمئزازَ في النفسِ.

- لا يهم كنتُ سأخرجُ قريبًا، أيُّها الخادمُ هيئ لي دابتي.

- أمركُ إلهنا.

سكتَ المخلوقُ، واستمرَ في التحليقِ بمستوىً منخفضٍ.

قمبيزُ يجمعُ شتاتَ جندِهِ مخاطبًا إياهم: يا محاربي الأعزاء، انتهى زمنُ جديسٍ؛ ها أنتمُ اليومَ تولدون من جديدٍ كـ(متحررين)، عبيد قزح، ها هو في طريقِهِ إليكم ليقودكم إلى النصرِ.

حط المبعوثُ على الأرضِ، وفي يدِهِ اليمنى سيفٌ طويلٌ لامعٌ، وفي الأخرى ترس غير منتظمِ الشكلِ.

لم يمر الكثيرُ منَ الوقتِ حتى سُمعَ نهيقُ دابةِ قزح من ظلماتِ الزاخرِ.

انشقت تلكَ البقعةُ منَ المياهِ، فخرجَ منها كائنٌ كبيرٌ يمتطيهِ جديسٌ أسودُ اللونِ بحجمِ النازلِ من أعلى صاحبِ الأصواتِ المزعجةِ.

لم تكذب الأساطيرُ الجديسية بشأنِ وصفهِ إلا في بعضِ المواطنِ؛ أما الدابةُ، فكانت تقفُ على أربعة قوائمٍ، بشعةُ

المنظرِ كثيفةُ الشعرِ لها فمٌ كبيرٌ وثلاثُ عيونٍ معَ رأسٍ كبيرٍ بقرونٍ، وأذن واحدةٍ، وعلى ظهرِهِ سرجٌ من صخرٍ أحمرٍ.

انطلقَ ناحيةَ مَن أزعجهُ، وهو الآخر يحملُ سيفًا وترسًا.

صرخَ، وتعالت صرخاتُهُ المرعبةُ في إعلانٍ عن بدءِ منازلةٍ حتى الموتِ، وفي طريقِهِ لمقارعةِ عدوهِ هوى بسيفه، فأردى قمبيزُ عبدُهُ الوفي قتيلًا مع محاربيهِ المقربين، ولا يعلمُ كان عمدًا أم خطأ غيرَ مقصودٍ.

أخيرًا التقى السيفُ بالسيفِ، والترسُ بالترسِ، وبين هذا وذاكَ حاولَ المتحررون تسديدَ ضرباتٍ قاتلةٍ إلى غريمِ إلههِم.

استمرت المنازلةُ ثلاثةَ أيامٍ دون توقفٍ أو تعبٍ استخدمَ فيها قزحُ كلَّ حيلهِ، ثُمَّ جاءت الضربةُ الحاسمةُ، وتدحرجَ الرأسُ الأسودُ الكبيرُ على الأرضِ فارتعدت، ثُمَّ ضُرِبَ رأسُ الدابةِ، فانفجرت بعدها. جاءَ دور الجيش؛ ورمى بما في يدِهِ ليقومَ بعملِ حصادِ الرؤوسِ.

حملَ جثةَ قزح ورأسَهُ، ثُمَّ انطلقَ عائدًا من حيثُ أتى بعدَ مَا ألقى جثثَ المتحررين في الزاخرِ الذي ما هدأ من لحظتِها.

العرافُ مهمهمًا.

- الآنَ قاربت رحلتنا على النهايةِ، عليَّ حزمُ الأمتعةِ، وتجهيزُ الزادِ للفتى.

صيبٌ وأختهُ أصبهانُ يتجولان على ظهرِ نهاز قربَ الساحلِ.

- منظرُ الزاخرِ لا يعجبني، حدثٌ جللٌ سيقعُ؛ انظري اضطرابَ أمواجهِ.

- وهل بقي ما هو مألوفٌ في عالمنا؟

نزلَ من على ظهرِ المطيةِ، وتقدمَ ناحيةَ المياهِ، ثُمَّ جسها بأصابعِهِ.

- انزلي تفقدي المياهَ.

- لا، اِمتطاؤهُ مرةً أخرى صعبٌ، دعني راكبةً، وقل لي ما خطبُ المياهِ؟

- حرارتها مرتفعةٌ، ألم أقل لك هنالكَ خطبٌ في الزاخر.

تهكمٌ، وقليلٌ منَ البلادةِ الحزينةِ.

- حرارةُ الزاخرِ مرتفعةٌ، إذًا علينا عمل الكمادات لهُ في الحالِ.

- تبًا لكِ.

- شكرًا، ولكَ المثلُ، فلنعد قد تأخرنا، والعمُ سيوبخنا.

- صيبٌ، أطلعَ العمَ عمّا اكتشفَ.

- ما كان قد كان، وما يكون قد كانَ.

لم يفهم شيئًا، فقررَ الاستسلامَ للنومِ.

في الصباحِ أحدهم يصرخُ.

- يا سيدي المعلمُ، أغثنا، أغثنا.

- ما خطبكَ يا هذا؛ تصرخُ كالذي خرجَ لهُ قزحُ من الفراشِ، أوه، قزح قتلَ علينا إيجادُ مثلًا آخر.

- ابتعدي عن طريقي عمتي، الأمرُ جللٌ.

- أفٍ من شبابِ هذهِ الأيام.

حاولَ العرافُ التهدئةَ من روعِ الشابِ، ثُمَّ طلبَ منهُ الكلامَ برويةٍ.

- سيدي العرافُ، مياهُ الزاخرِ بدأت تغلي عندَ الساحلِ.

- يمكنكَ اصطحابي إلى هناكَ؟

تحسسها حتى لسعت أصابعهُ، فقال مكررًا قولتهُ: ما كانَ قد كانَ، وما يكونُ قد كانَ.

انصرفَ، وهو يوصيهم بعدمِ الصيدِ بعدَ اليومِ، وأن يخزنوا ما في استطاعتِهم من مياهٍ، ويقتصدوا في استهلاكِها.

في اليومِ التالي نفسُ الشابِ، وهو مخطوفُ اللونِ دامعَ العينِ، وقد أصيبَ كفُ يدِهِ ووجههُ بحروقٍ بليغةٍ.

- ما بالكَ هذهِ المرة؟

- الزاخرُ يا سيدي، الزاخرُ احترقَ، أضرمت فيهِ النيران، لا أعرفُ كيفَ.

هدوءٌ وطمأنينةٌ، ثُمَّ قال: المياهُ تعودُ إلى أصلِها كما وجدت أولَ مرةٍ فرادًا، بعد صارت أزواجًا، فكلُّ مخلوقٍ مكونٌ من أفرادٍ تزاوجت فيما بينها، وعندما تموتُ تعودُ لتفترقَ شيئًا فشيئًا لتكونَ واحدةً واحدةً، وهكذا هي دورة الحياةِ يا ولدي.. اذهب واحتمي منَ الحرِ.

- أيُّ حرٍ؟ نحنُ في عزِّ البردِ؟!

- ستحتاجُ للاحتماءِ.

ذهبَ مدمدمًا: أظننا نسيرُ وراءَ خرفٍ أعمى.

أيامُ حرٍ قائظٍ ترافقها شحةٌ في الماءِ.

بعدَ أيامٍ انطفأت النيرانُ في الزاخرِ، واختفى أثرها إلا من دخانٍ رمادي تركتهُ كذكرى بدلَ كلِّ تلكَ المياهِ العذبةِ.

- دخانٌ دخانٌ، أينَ ما أجولَ ببصري دخان؛ لا شيءَ غيرهُ، إذًا هي النهايةُ سنموتُ عطشًا، أليسَ كذلكَ يا عمُ؟

- الموتُ أمرٌ حتمي، وهو بدايةُ الحقيقةِ، فما قبلهُ حلمٌ أو كابوسٌ، وما بعدَهُ حلو أو مرٌ، لا تشغل بالكَ بهذا، اصبر وانتظر.

صيبٌ في سرِهِ: ليتني لم أسألكَ، ألغازٌ في ألغازٍ، أسألكَ عن هامٍ تجبني بأحاجي وحكاياتٍ لا أعرفُ معنًا لها!

.....

الفصل الثاني عشر

-أصبهانُ-

مرَّ القليلُ منَ الوقتِ.

جديسٌ خائفٌ يصيحُ بأعلى صوتِهِ.

- ما هذهِ الهزةُ الأرضيةُ المرعبةُ؟! أعادَ أُجيجٌ؟ وا ويلتاهُ، وا ثبوراهُ.

تجمهرَ الكثيرون عندَ المعلمِ، فخرجَ عليهم.

- لا ترتعبوا أبنائي، هونوا عليكم، هذا صوتُ تنبيهٍ يعلمنا ببدايةِ رحلتنا إلى محطتنا الأخيرةِ؛ هانت سينتهي العذابُ، وتهدأ النفوسُ المتعبةُ، سوفَ نعودُ.

استمرت الهزةُ، وما هدأتْ حتى خرجَ من أحشاءِ الأرضِ شيءٌ كبيرٌ لامعٌ أشبهَ بطريقٍ أو جسرٍ، ثُمَّ بدأَ يمتدُ باتجاهِ الشمالِ، كأنَّهُ دربُ الرحلةِ التي أُعلِنَ عنها.

أكثرُ من جسرٍ يخرجُ منَ الأرضِ، والوجهةُ شمالًا.

العرافُ يمسكُ عصاهُ بيدٍ وصيبًا بيدٍ، وأمتعتهُ على ظهرِهِ، كذلكَ الفتى أمتعتهُ على ظهرِهِ، ويمسكُ بإحدى يديهِ أصبهانَ.

تقدمَ المعلمُ ناحيةَ الجسرِ، ثُمَّ وقفَ عندَ أولهِ، وخلفَهُ الباقين، وهم بينَ حائرٍ خائفٍ، أو مرتبكٍ مذهولٍ.

- اسمعوا؛ مَن أرادَ الراحةَ من همومِهِ، وتركِ الزيفِ والخداعِ والكذبِ والرياءِ، فليتبعني، لكن قبلَ أن يخطو أحدكم خطوةً واحدةً داخلَ هذا الطريقِ عليهِ تنقيةَ قلبهِ منَ الأضغانِ والأحقادِ والأطماعِ؛ ينقهِ بكلِّ ما تحملُ الكلمةُ من معنى وإلا سيكونُ جزاءُهُ هو جزاءهُ، ولن يتحسرَ عليهِ أحدٌ.

ركبَ الجسرَ والصغيران، ثُمَّ الباقون لحقوه تباعًا حتى الذي لم يتبعهم في أولِ يومٍ لحقَ بركبِهم في اليومِ الثاني.

كذلكَ الحالُ في الأماكنِ التي خرجَ منها السبيلُ المعدني، فقد وصلَ سكانها إلى قناعةٍ أنَّ الجسرَ سيوصلهم إلى ضالةٍ ما، فمهما ينتظرهم عندَ نهايتهِ أفضلُ من وضعهم الحالي.

انطلقَ الجميعُ بعزيمةٍ، وواصلوا السيرَ الحثيثَ دونَ توقفٍ إلا لبعضِ الضروريات.

صيبٌ يكلمُ الحكمَ، وهو ينظرُ إليهِ بعينين يملأهما التفاؤلُ والأملُ.

- أظنُّها النهايةَ.

في منتصفِ الطريقِ، ومن دون سابقِ إنذارٍ برزت لهم منَ الدخانِ الرمادي ما يشبهُ النباتاتِ الحيةِ؛ رؤوسها على شكلِ خطافاتٍ كبيرةٍ لازمتهم تلكَ الأشياءُ، كأنَّها تراقبُهم منتظرةً شيئًا ما لتقومَ بفعلٍ ما.

مرَّ الوقتُ، والطرفان يراقبُ كلٌّ منهما الآخرَ.

كما ظهرت فجأةً بدأت عملها فجأةً.

بلا مقدماتٍ أوغلت ضربًا وتقطيعًا بالمارين على الجسرِ، فهذا تخطفُ ذراعَهُ، وتلكَ تقتلعُ عينها، وآخرُ تسحبهُ إلى أسفل.

مُلِئ المكانُ بالصراخِ والنفيسِ.

العرافُ يطلبُ منَ الجميعِ عدمَ الارتباكِ، والتزامِ الهدوءِ.

- أيعقلُ التصرفُ بهدوءٍ وعقلانيةٍ في مثلِ هكذا موقف؟!

الجميعُ يدفعُ الجميعَ.

سقطَ كثيرون من على جانبي الجسرِ، وركضَ آخرون محاولين الابتعادَ قدرَ الإمكانِ.

- إلى أينَ المفرُ؟!

كلُّ خطافٍ يعرفُ ضحيتَهُ خيرَ معرفةٍ، و يطاردُ فريستَهُ بلا كللٍ أو مللٍ.

العرافُ يصيحُ بأعلى صوتِهِ: اهدأوا؛ المكتوبُ لا مفرَ منهُ.

صيبٌ يرجو العمَ حثَ الخطى للابتعادِ، وبينَ جذبٍ وردٍ خطفت أصبهانُ بخطافٍ غرسَ في أعماقِ صدرها، حاولت التشبثَ بأيِّ شيءٍ، وهي تصرخُ مستغيثةً.

- أرجوكَ صيبٌ، أنقذني لا تتركني.

حاولَ إغاثتها إلا أنَّ الأعمى منعهُ، وأمسكهُ بإحكامٍ.

- دعها تذهبُ، فهي تستحقُ ذلكَ.

التفت الفتى إليهِ محمرَ العينين معلنًا ثورةً على المعلمِ.

الحكمُ بصوتٍ حنونٍ: الاستحقاقُ ليسَ بالمعنى السيئِ أو الجيدِ، بل هو معنى آخر للقدرِ، فلولا أنّا نستحقُ ما حصلَ أو

يحصلُ، لم حصل، والذي لا يحصلُ لنا ليسَ استحقاقنا ولا نستحقهُ بغضِ النظرِ كانَ سلبيًّا أو غيرهِ، فهمتني يا ولدي؟

- نعم، فهمتُكَ أكثر من كلِّ مرةٍ تريدُ إفهامي فيها.

تقدمَ الاثنانِ بينَ تلكَ الجلبةِ، وتناثرتِ الأشلاءُ، ثُمَّ انتهت المأساةُ، وبقي مَن بقي مِن جديسٍ بينَ سليمٍ معافى أو فاقد لأحدِ أعضائهِ، وبينَ جريحٍ متألمٍ أو باكٍ على فقدانهِ أحد أعزاءهِ.

طلبَ العرافُ التوقفَ لأخذِ راحةٍ وعلاجِ المصابين، لكنَّهم رفضوا خوفًا من عودةِ الخطافات، فأمنهم منها، وضمنَ لهم عدمَ عودتها.

أحدُهم وهو ثائرٌ: كنتَ تعلمُ بأمرها، لِمَ ورطتنا؟!

انضمَ آخرون للثائرِ متسائلين.

أجابَ المعلمُ: هذا قدري وقدركم، وقد نصحتُ وحذرتُ قبلَ وطئكُم هذا السبيل بأقدامِكم.

صمتٌ تبعهُ صمتٌ، ثُمَّ بدأت الرحلةُ من جديدٍ، واستمروا في السيرِ وقتًا طويلًا نفدَ خلالهُ الماءُ والغذاءُ، فتمكنَ من أكثرِهم الإعياءُ.

العرافُ يشدُ منَ الأزرِ، ويحثُ على الصبرِ.

بدأت الانهياراتُ بينَ الصفوفِ الأضعفِ، فالأقوى، ثُمَّ الأكثرُ قوة.

- لو كانَ طريقُهم في صحراءٍ لأُستدلَ عليهم لما تركوهُ من جثثِ خلفهم.

- اتركني وارحل لم أعد قادرًا على المواصلةِ.

- لن أتركَكَ لو اضطررت لحملكَ، لم يحن وقتُ رحيلكَ بعدَ، واصل لم يبقَ سوى القليلِ.

- قليلكَ كثيرٌ عليَّ يا عمُ.

- قلتُ لكَ استمر، وستستمرُ، دعني أعينكَ.

في مكانٍ آخر على ظهرِ أحدِ الجسورِ زوجةٌ توصي زوجها خيرًا بالصغارِ بعدَ أن استسلمَت للموتِ، وأنثى أخرى تموتُ بينَ أحضانِ ابنها الذي تبعها بعدَ لحظاتٍ من رحيلِها.

كانت جسورُ هلاكٍ لا نجاةٍ.

بعدَ تَمكُنِ اليأسِ منَ القلوبِ صاحَ أحدهم:

- الأرضُ يا جماعةُ، أراها ملءَ العينِ، أرضُ الشمالِ، وما تزالُ بهيةً جميلةً.

صيبٌ يتساءلُ رغمَ الإعياءِ، وهو يمتصُ شفتيهِ اللاتين تشققتا منَ العطشِ.

- هل بقيت ينابيعُ ماءٍ عذبٍ في يفاع؟ وهل طعمُ مائِها طيبٌ كما في أريضةَ؟

العرافُ بصوتٍ عطوفٍ حزين: ستجربُ طعمها بنفسكَ، فقط أُشدد من عزمِكَ.

خطواتٌ مترنحةٌ تتبعها أخرى وأخيرة، ثُمَّ وطأتْ الأقدامُ العاريةُ أرضَ الشمالِ الغناءَ الباردةَ.

اضطجعَ صيبٌ على ظهرِهِ بعدَ أن أخذَ نصيبهُ من العذبِ الغالي، وهو ينظرُ إلى الوافدينَ من الجسورِ، ثُمَّ يكلمُ نفسَهُ مستغربًا:

واحد، اثنان، ثلاثة؛ يمكنُ عدهم، يا للمصيبة، لم يتبقَ من جنسنا سوى العشراتِ فقط!

بعدَ نزولِ آخرِ جديسٍ من على ظهرِ الجسورِ عادت أدراجها معلنةً عن إتمامِ مهمتها في قتلِ أكثرهم وإيصالِ آخرِهم.

جلسَ الجميعُ بالمقربةِ من بعضِهم البعض، والكلُّ ينظرُ إلى الكلِّ، العيونُ تدمعُ، والنفوسُ مشحونةٌ بمشاعرِ حزنٍ كبيرٍ، وانكسارٍ ليسَ لهُ نظير.

حلَّ النعاسُ على الجميعِ، فأسلموا أنفسَهُم لنومٍ عميقٍ لا يُعلَمُ الوقتُ الذي قضوهُ في النومِ.

- ما هذا الضوءُ، وهذهِ الحرارة؟! أنحترقُ أم ماذا؟!!

صاحَ آخرٌ: إنَّهما أنانكي ونانا تبدوان غاضبتين.

ما هي سوى لحظاتٍ حتى دوى صوتٌ ارتجت لهُ الأصقاعُ، ثُمَّ سادَ الظلامُ التامُ.

سكونٌ والوقتُ يمرُ، وهدوءٌ والوقتُ يجري، وصمتٌ والوقتُ طالَ جريانهُ.

- آه رأسي ماذا جرى؟ أنانكي، نانا اِختفيتا، والبيضاءُ اِنطفأ ضياؤها! مهلًا ما مصدرُ الضوءِ الذي أراهُ بالقربِ مني؟ عيناي لا تساعداني على الرؤيةِ جيدًا؛ إنَّهُ العمُ الحكمُ يحيط بهِ ضوءٌ كثيرٌ! أظنني أحلم.

أغمضت العينان الجميلتان الصغيرتان، ولم تفتحا أبدًا.

- ما الذي يحصلُ لي؟! ما كلُّ هذا الضوءِ؟! ومَن هؤلاءِ النائمين حولي؟! نائمون وضوء، رحماكَ يا واجدي، عيناي ردتا لي، إني أرى، إني أرى! أوه، وأيضًا بدلتَ لي الوجهُ المجعدُ بآخرِ نظرٍ.

الضوءُ يدورُ حولَ العراف، ويدور مرتفعًا، ورافعًا معهُ العرافُ.

استمرِ في الارتفاعِ حتى اختفى في المجهولِ.

انطلق صوتُ بوقٍ، فتحول كلُّ حيّ وميتٍ إلى غبارٍ، ثُمَّ أتت رياحٌ دافئةٌ رقيقةٌ حملت الغبارَ الأبيضَ المتلألئ إلى أعالي الفضاءِ، ونثرتهُ هناكَ.

أخيرًا وليسَ آخرًا، ها أنا قد تمكنتُ من سردِ ما حصلَ في الكوكبِ البعيدِ، وهذهِ هي الرواية من البدايةِ إلى النهايةِ.

صوتٌ يصرخُ معترضًا.

- انتظر، ماذا تفعلُ أيُّها القلمُ المعتوهُ؟!

- أنهي ما بدأتَ أنتَ سيدي الفارسُ.

- أيُّ نهايةٍ التي تتحدثُ عنها؟ ما زالت هناكَ بقيةٌ باقيةٌ، تنحى جانبًا، دعني أستلمُ دفةَ الكلامِ؛ إليكم التكملةَ؛ بعدَ الذي

حصلَ اختلَ الكوكبُ الخالي، وتحطمت أعمدةُ الصخرِ التي تربط الجزرَ، ثُمَّ ارتطمت اليابسةُ ببعضها لتشكلَ جزيرةً واحدةً، بعدها غاصَ الكوكبُ الصغيرُ في غياهبِ الكونِ دونَ أن يعرفَ ما حصلَ لهُ، لكنَّهُ سوفَ يعودُ يومًا ما أنا واثقٌ من ذلكَ، بل وأنتظرُ اليومَ الذي يعودُ فيهِ حينها سوفَ تُكتبُ أسطورةَ فناءٍ أخرى على أرضِهِ، لكنَّكم لن تكونوا موجودين لتسمعوا مني حكايةً أخرى.

هذهِ هي نهايةُ البدايةِ، ولكلِّ بدايةٍ نهاية، وكلُّ بدايةٍ، بدايةُ نهايةٍ.

وداعًا

الإمضاء: الفارس الضائع

بقلم(ك)للنشر الإلكتروني

تمَت بحمدِ اللهِ و فضلِهِ

بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

نُسجَتْ الأحدَاثُ في عَالمٍ غَيرِ عَالمكُم أيُّها البَشرُ،
وأدَارَتْ الصراعَ كائنَاتٌ حيةٌ غَيركُم.. لَستُمْ الوَحيدينَ
الذينَ يَسعَونَ لتَدميرِ الكَونِ، لَكنَّ مَا جرى بَينَ ثَنَايَا
المَجرات سَوفَ تَعيشونَهُ عَاجلًا أو آجلًا.. تَأمَلُوا
الكَلِمَات جَيدًا، قفوا على العبارَات كثيرًا، فَالأقدارُ
كُتِبَتْ، وَالنّهايَاتُ أُوشكَتْ، وَالنّاجِي
هُوَ المعتَبرُ المُتعظُ.

التّوقِيع

ف. ض

بقلمك للنشر الإلكتروني